مهدي الحسيني الرومعاني

بحوث مع

أهل السنة والسلفية

"رسالة تبحث في عدة مسائل مهمة يختلف فيها الشيعة وأهل السنة عامة والحنابلة السلفية خاصة"

المكتبة الإسلامية

أهل السنة والسلفية

مهدي الحسيني الرومعاني

بحوث مع

أهل السنة والسلفية

"رسالة تبحث في عدة مسائل مهمة يختلف فيها الشيعة وأهل السنة عامة والحنابلة السلفية خاصة"

المكتبة الاسلامية

الطبعة الأولى
حقوق الطبع محفوظـــة
١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م

تقـديم

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين ، محمد وآله الطيبين الطاهرين ... وبعد :

فقد نشرت مجلة : « الدعوة » السعودية مقالاً حمل فيه كاتبـــه على الشيعة وعقائدهم .. وسب وشتم وافترى ما شاءت له قريحته ، واقتضته جبلته ، وسمح له به أدبه الجم !!

ونحن هنا .. لا بد لنا من أن نقول كلمتنا ، ونبين مواقع التجني والافـتراء على مذهب أهل البيت ، صلوات الله عليهم وعلى شيعتهم أجمعين ..

إيران – قم – ذي الحجة الحرام – ١٣٩٨ هـ

مهدي الحسيني الروحاني

اختلاف أهل الاديان :

قال الله تعالى لنبيه : قل ما كنت بدعاً من الرسل [1] ...

وكذلك أمته أيضاً لم تكن بدعاً من الأمم ..

وقد حكى الله تعالى في كتابه ما فعلته الأمم السابقة من تحريف أديانهـا .. واختلاف أهل كل دين في دينهم – حتى صاروا فرقاً وشيعاً وأحزاباً ، كل حزب بما لديهم فرحون ..

– حكى الله تعالى ذلك لأمة محمد ﷺ ، تنبيهاً لها إلى أنهـا هي أيضاً يمكن أن تبتلي بما ابتليت به الأمم السالفة .. ولذا فإن عليها أن تحذر ذلـك ، وأن لا تقع في هوة الإختلاف والتفرق . كما وقعت تلك الأمم ، وأن لا تنحرف كما انحرفت ..

وأما عن سر اختلاف أهل الأديان وتفرقهم .. فإن الله تعالى قد بين لنا ذلك وعرفنا إياه .. ألا وهو عدم قبولهم بما علموا أنه من الدين ، بغياً منهم وعنـاداً

---

(١) الأحقاف ٩ .

للحق ، فقال تعالى : فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم [1] .

وقال : وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم [2] .

وقال تعالى : وما اختلف فيه إلا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات [3].

فالبغي إذن هو سبب تفرق أهل كل دين ، وصيرورتهم فرقاً وشيعاً . وهو السبب في عدم الاستسلام والخضوع لما يعلم أنه من الدين .. ومن ثم يكون عدم الاستسلام هذا موجباً للخروج من الدين ، لأن الدين عند الله هو الاستسلام ، والاسلام والتسليم له تعالى أولاً وآخراً ، أصلا وفرعاً .

اختلاف الشيعة والحنابلة

ولم يكن الاختلاف بين الشيعة والحنابلة بدعاً خارجاً عن هذا الإتجاه الذي بينه الله تعالى في كتابه العزيز .. فإن للبغي في النزاع بين هاتين الفرقتين تاريخاً طويلاً .. نقول هذا مع علمنا بأن البغي كان من طرف واحد أي من طرف الحنابلة فقط عملا بقوله تعالى : « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين[4] ».

ولو قد كان يجري البحث بين الفرقتين موضوعياً ، ووفق أصول مسلمة بين الفريقين لكان جديراً بالشكر والتقدير .. ولكان يؤدي إلى نتائج خيره ، وعظيمة .

ولكن – ومع الأسف الشديد – نجد أن تلك الفرقة – الحنابلة – لا تريد من وراء مخاصمتها لنا ، وجدالها معنا .. إلا أن ترشدنا إلى خصائصها المذهبية

---

(١) الجاثية ١٧ .
(٢) الشورى ١٤ .
(٣) آل عمران ١٩ .
(٤) سبأ ٢٤ .

بالتهويش والسب ، والكذب ، الكذب الصراح ، والافتراءات العظيمة ، التي يبرأ منها الشيعة ، ويتنزهون عنها .

.. فهم إذن يريدون إثبات صحة ما يذهبون اليه ، بهذا الأسلوب الوقح والملتوي .. ويأبى الله ذلك عليهم وكل العقلاء والمنصفين ، وأصحاب الفكر النير ، من شبابنا الأبي الناهض .. فان لكل شيء حساباً وميزاناً . وإن على كل حق نوراً ، وعلى كل باطل دلالة مهما حاولت الأيدي الأثيمة طمس ذلك النور ، أو التعتيم عليه ، ثم حشد الشبهات لتأييد ذلك الباطل .. وأقرب مثال على ما ذكرناه من طريقة الحنابلة تلك ، هو المقال الذي نشرته أخيراً مجلة « الدعوة » السعودية ، تحت عنوان « مزاعم طائفة الشيعة » .. فان ذلك المقال يحتوي (حسب عدّي الإجمالي) على ما يقرب من خمسة وأربعين جملة . . نراه قد كذب وافترى في عشرين منها على التحقيق .

ولأجل هذا أيضاً .: نلاحظ : أن الكتب والمقالات الردية التي يؤلفها الشيعة يطغى عليها طابع بيان كذب تلك الافتراءات ، ودحضها ، وبيان مخالفتها للواقع بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة .

ولكن ... ومع كل الجهود العظيمة للشيعة . . نرى أن خصومهم عن بغيهم لا ينتهون ، وعن غيهم لا يرعوون .. وعن الإرشاد بالأكاذيب والافتراءات لا يرجعون .

هل من جديد ؟

هذا .. ولقد جاء هذا المقال .. بعد مضي فترة من الهدوء النسبي ، الذي حملنا على الاعتقاد بأنهم ربما كانوا يفكرون بالرجوع إلى شيء من الإنصاف ، والتعقل ، وإذا بنا نفاجأ بمقال عجيب أبسط ما يقال فيه : إنك لا تلمس فيه الروح العلمية والموضوعية والاتزان وانها حاقدة ومسمومة ، تثير الفتنة وتجر إلى

المحنة ، قد كتبت بعقلية عامّية عمياء، متحيزة متعصبة لا تتورع عن تلفيق التهم والافتراء دون وازع من ضمير أو رادع من دين أو وجدان ، هذا عدا عن أنها ليست إلا ترديداً لصدى افتراءات لفقها ابن تيمية في القرن الثامن وموسى جار الله ومحب الدين الخطيب في القرن الحاضر وغيرهم ممن أعمت بصيرتهم الأحقاد البغيضة وسيطرت على عقليتهم روح التعصب الذميم حتى ليستهينون بلا سبب ولا مبرر بكرامة أمة عظيمة تتدين بأصول الدين وفروعه وتتمسك بأوثق عرى الايمان كتاب الله الكريم وسنة نبيه العظيم .

الجهل والتناقض :

أضف إلى ذلك ، أن في هؤلاء المستهترين المرشدين !!! جهل متراكم وهم عوام في زيّ العلماء يقولون بالشيء ونقيضه ويؤمنون بالحديث ومعارضه، وهذا الاستسلام للمتناقضات هو البلاء للعقل والفتك به ، وذلك جمود متوارث في هذه الفئة ولذا قلّ فيهم العلماء المحصّلون بل غاية علمهم هي نقل الأحاديث وحفظها.

الموقف الحق :

ونحن شعوراً منا بالواجب وتقديراً للمسئولية الملقاة على عواتقنا نرى لزاماً علينا أن نقول كلمتنا كلمة الحق لإلجام هؤلاء العوام وازالة هذه الأوهام لئلا يثيروا الفتنة من جديد وحتى يعرف الشباب المسلم الواعي تعنتهم وصلفهم، وحتى يعلموا أن المذهب ذي الخصائص المذهبية المقيته والذي يدعوا اليه هؤلاء باسم السنة الصحيحة ! !ومذهب السلف الصالح ! !مملوء بالمتناقضات مشحون بالخرافات بعيد عن الاسلام الصحيح، يزيد العمى والحيرة في قلوب الواعين والمثقفين ويسلب عن العاقل البصيرة في الدين ويورّطه في الاستسلام للمتناقضات والجهل، وبكلمة إن فيه قضاء على الدين والعقل جميعاً .

ونحن في حين نرى أن الناس والمسلمين قد شرعوا في تثقيف أنفسهم و كثرت

المدارس الالحادية بمختلف ألوانها وشعبها، وزاد ويزيد كل يوم باستمرار الترابط الثقافي بين الجماعات والأمم ، ونرى أيضاً أن اصطياد شباب المسلمين هو الهم الأكبر للغربيين والنصارى (واليهود) يريدون ادخالهم في دينهم واستهلاكهم في تمدّنهم وعاداتهم واخلاقهم بل هم يقنعون منا وخاصة الشباب ان يخرجوا من الاسلام وان لم يدخلوا في دينهم ، أخيراً فانهم قانعون منهم ولو بالشك في الدين والحيرة فيه إذ في كل هذه المراتب لهم غاية مقصودة .. إننا في حين نرى ذلك نرى أيضاً .

الخرافات والأكاذيب :

ان من أكبر ما يتعلقون به للوصول إلى غاياتهم تلك هو ما لصق بالاسلام عن طريق الاسرائيليات الباطلة والعقائد السخيفة من التشبيه والتجسيم والجبر والقدر وقدم القرآن وأحاديث الغرانيق والجسّاسة وقصة زينب وقصة عبس وتولى واشباهها وكثير من هذه الأباطيل – ما ورد باسم السنة الصحيحة ومذهب السلف الصالح .

وقد جعل هؤلاء المتسمين بالعلماء والمرشدين بينهم وبين غيرهم من الفرق الاسلامية حواجز وفواصل بسبب تعلقهم بهذه التافهات ومن العجيب المدهش كثرة أحاديث التشبيه والتجسيم المعلوم انها تسرّبت من اليهود إلى التراث الاسلامي بصورة الاسناد إلى رسول الله ﷺ ومثلها أحاديث الجبر والقدر التي صارت بلاءً عظيما على المسلمين فكل الجهود التي تبذل لرفع شأن هذا النوع من الأحاديث وهذه العقائد الباطلة بدعوى انها السنة الصحيحة وانها مذهب السلف الصالح وانها ... وانها ... فانما هو خيانة للدين الحق وجناية على القرآن الكريم لأن هذا النوع من الأحاديث مخالف للقرآن ووضوح بطلانه وشناعته عند غير هؤلاء الجامدين المغفلين لا يحتاج إلى مزيد بيان ولا إلى إقامة برهان .

وأرى أن ترابط الجماعات والأمم وزيادة المد الثقافي سوف يكون من أبسط

نتائجه أن يبتلى الشباب المسلم من أهل السنة بنوع من انفصام الشخصية والتعقيد النفسي تجاه الدين ومفاهيمه واسسه ، ولسوف يواجهون مشكلة قاسية بالنسبة للمسائل الدينية ، وذلك عندما يواجهون الأسئلة التي لا جواب مقنع لها ، والايرادات الكثيرة التي لا يجدون لها حلا ، ولا إلى دفعها سبيلا .

ونحن نقول لهم عند ذلك أنه ليس (عقلا) أن ينكروا أصل الدين الاسلامي بل عليهم أن يتفحصوا عن الحق ؛ فلعل هذا الإيراد مبني على عقيدة خاصة لأهل مذهبه ، بينما تخالفها الفرقة الأخرى ، ويكون الحق مع الفرقة المخالفة تلك .

مع الشباب الواعي :

وانني أؤكد للشبّان المثقفين انهم إذا أرادوا التحقيق في عقائد الشيعة ؛ فعليهم ألا يعتمدوا في تحصيل معلوماتهم ومعارفهم في عقائد الشيعة على نقل مشايخ أهل السنة فضلا عن مثل أهل الكتاب المستأجرين المتهوسين ، فإنا نرى أن من يعد من العلماء والأئمة ، ومن شيوخ الاسلام ، ومن الأتقياء عندهم نراهم يفترون على الشيعة بلا مبالاة ، ويتبع بعضهم بعضاً بلا تحقيق ولا تدقيق .

والله نسأل أن يوفقنا في دراستنا هذه إلى الخير والصواب وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه ، وان ينفع به إنه ولي قدير .

الكلمة الحاقدة المسمومة :

هذا هو أحد المقالات الحاقدة والمسمومة اخترناه من مقالات عديدة لأن صاحبه قد جمع فيه خلاصة موقفه وموقف من هم على شاكلته من الشيعة والتشيع مذهب آهل البيت عليهم السلام اخترناه ليكون منهاجاً لبحثنا مع اهل السنة والسلفية ، ولربما نشير الى شيء مما ورد في غيره. وهذا المقال قد نشرته مجلة «الدعوة» السعودية في العام الماضي، واليك نصه :

مزاعم طائفة الشيعة

بقلم ابراهيم السليمان الجهمان

في هذه الظروف التي تجتازها الامة الاسلامية ، اجد من واجبي امام الله ان انبه العلماء الى الخطر العظيم المتمثل في وجودطائفةتزعم الانتماء الى الاسلام. ولكنها تعتنق عقائد وتؤدي طقوسا تتنافى مع الاسلام نصا وروحا ، بسبب غلو من يتزعمونها وانحراف من يتصدون لقيادتها ، ممن يتسمون بالعلماء .. وما هم في الحقيقة ، الا من العملاء ..

وانني باسم الاسلام ، الذين تدينون الله به .. ارجوكم ان تصدروا

الفتوى اللازمة في حق من يقترفون جريمة اغواء عشرات الملايين من النـــاس المخدوعين ، وان تتعاونوا معنا في ازالة هـــذا الكابوس الذي يجثم على صدور المسلمين منذ ثلاثة عشر قرنا من الزمن .. فقد كفانا ما جره هؤلاء المتاجرون بالدين من نكبات على الاسلام والمسلمين .

ان طائفة الشيعة الامامية يا سادتي يتدينون بدين لا يمت الى الاسلام إلا بصلة واهية ، هي اشبه ما تكون بخيط العنكبوت .. واليكم الدليل :

أولاً : ان اصول الاسلام عندهم خمسة هي : (التوحيد ، والنبوة، والعدل، والميعاد ، والامامة) .. وهي كما ترون ، اصول مشتركة بيننا وبينهم باستثناء (الامامة)التي هي عندهم لأشخاص معينين لا تصح الولاية لهم الا بالبراءة من اعدائهم ، وبمعنى آخر ان البراءة من الاعداء المصطنعين هي ايضاً اصل من اصول الاسلام عندهم ، لأن الولاية لا تصح بدونها، وحسبكم ان تعلموا ان من يسمون عندهم بالاعداء هم (ابو بكر ، وعمر ، وعثمان) رضي الله عنهم ، لتعلموا أي معول اتقنوا صنعه لهدم الاسلام من اساسه ..

فان أبا بكر رضي الله عنه هو أول من أمر بجمع القرآن ، وان عمر قد اقر هذا الاجراء واعان عليه ، وان عثمان قد اعاد نسخ المصحف لتوحيد رسمه .. والتشكيك في عدالة هؤلاء هو تشكيك في صحة القرآن نفسه – بل ان مـــا يزعمون صدور من الائمة من احاديث في زيادة القرآن ونقصه، هو أكبر شاهد على ذلك . لأنها عندهم من المسلمات الاولية التي لا تقبل الجدل ، وبمعنى آخر انها اصح عندهم سنداً من القرآن .

ومما لا يختلف اثنان في صحته ان الشك في صحة القرآن هو كفر بلا جدال – فاذا أضفنا الى شكهم في صحة القرآن – وفي عدالة الخلفاء الراشدين بوجه خاص ، وفي صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه عام (تعطيل الصفات.

وتأويل الايات ، واعتقادهم أن للقرآن ظاهراً وباطنا ، واخضـاعهم النصوص القرآنية لقاعدة التحسين والتقبيح العقليين ، التي بمقتضاها يتصرفون في النصوص كما يشاؤون وما يعتقدونه في الائمة ، من العصمة ، والعلم المحيط بكل شيء ، بحيث أباحوا لانفسهم ولاتبـاعهم الاستغـاثة بالائمة واللجوء اليهم في السراء والضراء وتقديم النذر لهم وشد الرحال الى قبورهم ، واقامة المأتم في مستهل كل عام بما تنطوي عليه هذه المأتم من مهازل وتمثيليات، ونياحة وتكرار لمأساة كربلاء ، لبعث الاحقـاد الدفينة وايقـاد نار الفتن ، وغرس بذور الشقـاق ، وتوسيـع شقة الخلاف بينهم وبين اناس ابرياء لا يد لهم في كل ما حدث ، في صدر الاسلام ، وليسوا شركاء في أي صراع وقع بينهم ، وكل ذنبهم أنهم يكلون أمر الطرفين الى الله تعالى في كل ما حدث ، امتثالا لتوجيهات القرآن الكريم في قوله تعالى (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ، ولا تسألون عما كانوا يعملون) .

وعلاوة على ذلك فانهم يزعمون بان علياً شريك الله في جنته وناره ، وان حبه حسنة لا تضر معها سيئة ، وأن النظر إلى وجهه عبادة ، وانه لا يجوز أحد الصراط إلا باذنه ، ثم اباحة المتعة ومنها المتعة الدورية (أي التي يشترك فيهـا عدة رجال في التمتع بامرأة واحدة ، يتناوبونها لكل شخص ليلة واحدة).. ثم اعتقاد البداء في الله ، وهو ما اجمع العلماء على تكفير القائلين به .. وكذلك استعمالهم للتقية . التي هي النفاق بعينه ، واجماعهم على جواز الكذب على أهل السنة ، واباحة شهادة الزور ضدهم ، واستحلال دمائهم ، وأموالهم وأعراضهم والتاريخ شاهد صدق على ذلك .

زد على ذلك ان اذانهم يختلف عن أذاننـا وصلاتهم تختلف عن صلاتنـا ووضوءهم يختلف عن وضوءنا،وصيامهم يختلف عن صيامنا وحجهم يختلف عن حجنا وهم لا يعترفون بالزكاة ولا بمستحقيها ، وانما يؤدون خمس محاصيلهم

وأرباحهم إلى من يسمونه نائب الامام لينفقه في تدبير الدسائس والتآمر على الاسلام واهله ونشر بدعة التشيع بكل وسيلة ممكنة .

هذا بالاضافة إلى زعمهم بان للائمة حق التشريع والنسخ في الشريعة الاسلامية وأدعاؤهم بأن علياً مساو للانبياء واعتقادهم بوجوب اللطف والعوض ونصب الائمة على الله ، وقولهم بالرجعة ، وانهم لا يعذبون بصغير ولا بكبيرة ، وان سواهم مخلدون في النار ، واباحتهم فروج الاماء واسقاطهم الجمعة والجماعة ، والجهاد والحدود ، بحجة غيبة الامام ، وتسميتهم امة محمد بالامة الملعونة ، واعتقادهم بأن لعن الصحابة ومن تبعهم أحدى المقربات إلى الله ، بل من أعظمها .

هذا عدا ما يخالفوننا فيه ، في المعاملات ، والاحوال الشخصية ، والعبادات الأخرى ، تنفيذاً لأمر جعفر بن محمد في قوله حسب زعمهم (إذا أختلفتم في شيء من المسائل فخالفوا هؤلاء فان الرشاد في مخالفتهم) ..

فإذا كان العلماء قد حكموا بشرك من يذبح لغير الله ، أو يحلف بغير الله أو يستغيث بغير الله ، والشرك كما تعلمون هو صنو الكفر ، بل هو الكفر بعينه ، لأن الله لم يتوعد بعدم المغفرة وبالحرمان من الجنة إلا المشركين والكافرين فما ظنكم بمن تجتمع فيه كل هذه الموبقات .

ثانياً : أن مما لا يختلف اثنان في صحته أن عبدالله بن سبأ اليهودي هو المؤسس الأول لعقيدة التشييع ، وأن أول من اخترع فكرة الرجعة ، وخرافة الوصاية ، وانتشار اراء هذا الرجل بسرعة في المجتمع الاسلامي في صدر الاسلام ، دليل على أن له أعواناً وشركاء منبثين في العالم الاسلامي وانه قد اسند إلى كل واحد منهم دور خاص .

ومما لا شك فيه أن الجمعيات السرية التي تسمى بالمحافل الماسونية ، والتي

أسسها اليهود لمحاربة الدين المسيحي وتجزئة اتباعه إلى فرق ومذاهب متعددة كانت لها خلايا منتشرة في البلاد العربية وانها قد تلقت الأوامر بأن تأخذ على عاتقها محاربة الاسلام بنفس الطرق والاساليب الملتوية ، التي حاربت بها الدين المسيحي ، ومزقت اتباعه شر ممزق .

ومن لم يطلع على ما كتبه الباحثون عن الماسونية ورموزها وقوانينها والقابها ودرجاتها ودسائسها ومؤامراتها فإنه لا يستطيع أن يتصور بأن المحافل الماسونية ما هي في الحقيقة إلا حكومات خفية يتولى اصحاب الدرجات العليا فيها السلطات التشريعية والتنفيذية وتسند إلى المبتدئين فيها مهام البوليس السري والمخابرات ، ومن بينها التزوير واشاعة الاراجيف ونشر الرعب عن طريق التهديد والخطف والاغتيالات ، وكان اختيار هذه المحافل الماسونية لعبدالله أبن سبأ اليهودي موفقا إلى ابعد الحدود لأنه استطاع بذكائه ولباقته التأثير على عقول الكثيرين من السذج والبسطاء بالاضافة إلى جيش العميان الخفي الذي خصص لحمايته وشد أزره واشاعة افكاره ..

وبمساعدة هذا الجيش الخفي استطاع تأليب الرأى العام في مصر والعراق ضد عثمان رضي الله عنه ، وبمساعدة هذا الجيش الخفي استطاع الافلات من عقوبة الاحراق بالنار على يد علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وبمساعدة هذا الجيش الخفي انتشرت بدعة التشيع في المجتمع الاسلامي انتشار النار في الهشيم .

ولا أحد ينكر ما للمحافل الماسونية من اثر بالغ في زعزعة الاديان ، ومحاربة الشرائع السماوية ، كما لا يجهل أحد أن هذه المحافل من صنع يهودي لا سيما بعد افتضاح (بروتوكولات حكماء ، صهيون) التي تكشف عن أخبث مؤامرة عرفها التاريخ ..

هذه يا سادتي بعض الحقائق التي تختفي وراء لعنة التشيع ، وهي غيض

من فيض ، وقليل من كثير ، وهي كما ترون معول هدام صنع خصيصاً ليهدم الاسلام على رؤوسنا ، وخنجر مسموم صنع ليعمل في جسم الامة الاسلامية طعناً ووخزا حتى تخر صريعة تحت أقدام اليهودية العالمية .

وبهذا الخنجر المسموم قتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وبهذا الخنجر المسموم اغتيل عثمان رضى الله عنه . وبهذا الخنجر المسموم قدمت الامة الاسلامية عشرات الالوف من الضحايا في معارك صفين والجمل. وبهذا الخنجر المسموم نسجت خيوط مأساة كربلاء . وبهذا الخنجر المسموم سقط ملايين الشهداء من المسلمين على أيدي من قادوا جيوش الظلام من امثال (المختار الثقفي . وأبي الخطاب الأسدي . والمغيرة العجلي . وأبي سعيد الجنابي . وأبي طاهر القرمطي . وبابك الخرمي . وقائد الزنج وعصابات العبيدين ابن تومر وغيرهم ممن لطخوا تاريخنا بالسواد وصبغوه بالدم وشحنوه بالمآسي . وكانوا عبئا ثقيلا على الانسانية :

وانه لما يبعث على الأسى أن يتجاهل العلماء ورجال الفكر فينا هذه الحقائق وان لانجد بينهم من يتطوع لابداء رأيه والمساهمة في مقاومتها كل حسب امكانياته واستطاعته في الوقت الذي نجد فيه بين انصار الباطل من التعاون ما لو وجد فينا عشر معشاره لاصبح التشيع في خبر كان .

أيكون يا سادتي من حق حفنة من المتأكلين بدينهم أن يعبثوا بعواطف عشرات الملايين من عباد الله ليحولوهم إلى قطعان من الماشية تدر لهم اللبن والحليب ولا يكون من حقنا أن نرد إلى هذه القطعان اعتبارها وآدميتها. وان نرتفع إلى مستوى بني الانسان .

أيكون من حق فئة من الدجاجلة والمشعوذين وأكلة السحت المتهجم علينا وتشويه تاريخنا والتطاول على مقدساتنا . وتحويل عشرات الملايين من الجهلة

والمغفلين إلى موس ينخر في عظامنا وطابور خامس بين اظهرنا ولا يكون من حقنا أن نضع حداً لهذا العبث والاستهتار .

الا تروا معي أن قول الله تبارك وتعالى (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله . ويسعون في الأرض فساداً ان يقتلوا ويصلبوا أو تقطع أيديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الأرض) ان كان ينطبق على من يقطعون الطريق بين المدن والقرى فان انطباقه على من يقطعون الطريق بين العباد وبين بارئهم أقرب وأولى .

سادتي – قد تقولون ان ما نحن فيه من ضعف وانحلال لا يسمح باثارة المشاكل واحياء النعرات الدينية ، وايقاظ التعصبات المذهبية . ولكني أقول ان هذا الاعتقاد منقوض . يقول الله تعالى (انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) وأن السكوت على الباطل مما يساعد على استفحاله . والوحدة لا تتم بين قلوب متنافرة. ونفوس متدابرة والائتلاف لم يوجد حتى نخشى الاختلاف . والاتحاد لم يحدث حتى نخاف التفرقة .

لذلك فاني أسألكم بما تدينون الله به . أن تتفضلوا باصدار الفتوى بشأن زعماء هذه الطائفة . وتخليص الاسلام والمسلمين من شرورهم ومؤامراتهم ودسائسهم وأداء ما أنتم مسؤولون عنه أمام الله تعالى من دفاع عن الاسلام والمسلمين . والله أكبر ولله الحمد .

براعة الاستهلال :

ان أول ما يراه القاريء في مقال هذا الكاتب ، هو براعة الاستهلال ، وذلك حين استعد كاتبه وتأهب لدفع مزاعم الشيعة ، فأتى بأنموذج فريد من نوعه يعبر عن عقليته ، ويدل على نوع أدلته التي سوف يدفع بها مزاعم الشيعة ، فأظهر لباقته الكاملة في البحث العلمي الديني ، حين اعترف باديء ذي بدء بأن الذين

يشن عليهم هجومه ، ويرد على عقائدهم هم الذين يعتقدون بأصول الاسلام الخمسة !! وقد أقر بأنها مشتركة بينه وبينهم باستثناء الامامة [1] .

وإذا سلمنا له بأن أصول الاسلام أربعة فقط كما يقول ! فلا بد وأن نطرح – على هذا الغيور على دينه – هذا السؤال :

« هل يصح أن يقال للذين يعتقدون بأربعة أصول الدين الاسلامي : أنهم يتدينون بدين لا يمت إلى الاسلام إلا بصلة واهية ، هي أشبه ما تكون بخيط العنكبوت ؟ !! » – كما قال ..

فتكون اذن أركان العقائد الأسلامية من توحيد الله تعالى، ورسالة نبيه محمد صلى الله عليه وآله ، والمعاد والعدل – كلها منفردة ومجتمعة – كخيط العنكبوت – بناء على زعمه !! .

وإذا كانت هذه العقائد الأربع – التي اعترف هو نفسه بأن الشيعة يعتقدون بها تتنافى مع الاسلام نصاً وروحاً كما قال ، فيا ليت شعري ما هو الاسلام ؟ وما هي عقائد الاسلام بنظره اذن ؟ !!

إلا أن يكون الاسلام عنده مرادفاً للتجسيم والجبر ، وقدم القرآن وسائر خصائص المذهب الذي سموه بمذهب « السلفية » – وليس هو به – .

نعم إذا كان الاسلام هو ذاك فإن عقيدة الشيعة – لا ريب – تتنافى مع هذه السخافات نصاً وروحاً .

---

(١) وستعرف – ان شاء الله تعالى – ان أصل الامامة أيضاً هو من الأعتقاديات عند الجميع ولكن كلامنا معه أولا مبني على التسليم – جدلا – بخروج أصل الأمامة عن المعتقدات الدينية عند السلفية وأهل السنة .

ثم انظر أيها القاريء إلى مهارته في الحساب ، وإلى علمه بنسب الأعداد ، حيث اختلطت عليه الأعداد القليلة ، ونسبة بعضها إلى بعض ، فلا يرى نسبة الأربعة إلى الخمسة إلا واهية مثل خيط العنكبوت !! .

وهل يختلط ذلك على الصبيان ؟ فضلا عن أن تصل النوبة إلى من يدعي العلم والعرفان .

هذه من علاه إحدى المعالي وعلى هذه فقس ما سواها

الامامة عند أهل السنة :

أما أصل الامامة ، وهو الأصل الخامس ، فهو بموضوعه ومحموله أصل ديني عند الشيعة الأمامية ، ونصف ديني عند أهل الحديث والسنة ، لأنه عند هؤلاء: أن يكون الأئمة من قريش – للحديث المعروف عندهم – فأصل الأمامة من الدين إجماعاً ..

وأما تعيين الامام فإنما يكون بالنص من الله ورسوله حسب عقيدة الشيعة ، وبالاجماع أو الشورى ، حسب عقيدة أهل السنة والحديث ، بشرط أن يكون المنتخب من قريش عندهم ..

وهذا هو الفارق بين الشيعة والسنة في مسألة الامامة؛ حيث أن أهل الحديث والسنة كانوا يعتقدون أن النبي صلى الله عليه وآله لم يستخلف ، فقد ذكر ابن كثير الحنبلي في كتابه « البداية والنهاية » [1] باباً مستقلا – ومثله السيوطي في « تاريخ الخلفاء » ص ٥ – لاثبات ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يستخلف.

وقال النواوي في شرح صحيح مسلم حين استشهاده بكلام لأم المؤمنين عائشة

---

(١) البداية والنهاية ، ج ٥ ص ٢٥٠ .

(رض) يفيد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يستخلف قال :

« وفيه دلالة لأهل السنة أن خلافة أبي بكر ، ليست بنص من النبي (ص) على خلافته صريحاً .. » [1]

كما أن الامام الأشعري يصرح في آخر كتابه « اللمع » بأن خلافة أبي بكر ليست بالنص ، وهكذا في آخر كتابه : « الإبانة » [2] .

النتيجة :

واذن .. فعلى حسب أصول أهل السنة والحديث تكون خلافة الأشخاص المعينين خارجة عن متن الدين – وان كان أصل الامامة من الدين اجماعاً – وينتج من ذلك : أن أشخاص الخلفاء من لدن أبي بكر الصديق (رض) إلى آخرهم .. ليسوا هم محور الدين والسنة والبدعة ، إذ لو وجب الاعتقاد بخلافة الخلفاء الأربعة ، لوجب الاعتقاد بخلافة معاوية ويزيد ، وعبد الملك والوليد بن يزيد الفاسق .. وهكذا إلى الخليفة المستكدي[3] في مصر ، ثم إلى كل طاغية وجبار ، ومستضعف ومأفون ، ممن رقى عرش الخلافة بأسمائهم وأشخاصهم إذ لا فرق بينهم حسب أصول مذهب السنة كما عرفت .

ولنفرض أن خلافتهم كلهم كانت صحيحة – لا سيما خلافة الخلفاء الأربعة – لكن ليس كل قضية صحيحة تكون من الدين ، ثم ليس كل ما هو من الدين

---

(١) ج ١٥ ص ١٥٤ .

(٢) ولكن اليد الخائنة قد تصرفت في عبارة الكتاب ، ويظهر للمراجع هذه الخيانة بأدنى تأمل فراجع .

(٣) وهو ابراهيم بن محمد الواثق . وكانت العامة تسميه « المستعطى » فانه كان يستعطي من الناس ما ينفقه ، وكانت بيعته بعد سنة ٧١٠ هـ . فراجع النجوم الزاهرة ج ٩ ص ١٥٢ .

يكون من العقائد ، وأيضاً ليس كل ما هو من العقائد ، يلزم أن يكون محور السنة والبدعة ، والايمان والكفر .

التقليد والمحاكاة :

والحق الذي يراه المتتبع في التاريخ هو أن عقيدة خلافة الخلفاء الثلاثة وقداستهم البالغة ، قد اقحمت في عقائد أهل السنة إقحاماً . وإنما كان ذلك رد فعل ، ومحاكاة لعقيدة الشيعة في علي وأولاده الطاهرين ، ولذا صيغت هذه العقيدة أولاً عند أهل السنة في قالب الرد والمعارضة لعقيدة الشيعة فقط .. ثم ألحقوا علياً عليه السلام بهم ، وكان ذلك في عصر متأخر .

وبتفصيل أكثر نقول : أن جعل خلافة الشيخين من العقائد لم يكن في القرن الأول – الذي هو خير القرون على حد تعبيرهم – وغاية ما كان يقال فيهما هو : أن خلافتهما كانت صحيحة . [1]

هذا فضلا عن عقيدتهم في خلافة عثمان وعلي . بل ان عثمان لم يكن بذلك المرضي عند الناس ، ولا كان له عندهم أية قداسة أو احترام .. ولا نريد التعرض لذلك فإنه بحث تاريخي طويل الذيل .

ويعرف مقدار قداسته لدى أهل المدينة – بلد الصحابة حيث تكمن كثرتهم الكاثرة – يعرف مما ذكره بعض ولد عثمان فإنه قال :

« لما مات أبو هريرة (سنة ٥٩) كان ولد عثمان يحملون سريره حتى بلغوا البقيع حفظاً بما كان من رأيه في عثمان » [2] .

---

(١) يعرف ذلك من كلام معاوية . فراجع مروج الذهب ج ٣ ص ١٢ - ١٣ .

(٢) طبقات ابن سعد مجلد ٤ ج ٢ ص ٦٣ .

فما هو رأي أبي هريرة هذا ؟ !

نعم..ما هو هذا الرأي الخاص الذي تفرد به،واستحق به التعظيم والاكرام من قبل ولد عثمان ؟ !! .

فهل يمكن أن يكون هذا الرأي إلا أن أبا هريرة كان لا يرى جواز قتل عثمان؟ وأنه قتل مظلوماً..هذا الرأي الذي تفرد به عن بقية الصحابة الموجودين، وسائر أهل المدينة !! .

ثم ان المرجئة الأولى كانت تشك في عدالة عثمان وعلي ، بل في ايمانهما !! [1] .

وهذه النحلة – نحلة الإرجاء – كانت شائعة في عامة الناس آنذاك ، قبل غلبة أهل الحديث . بل لقد كان لهم القدح المعلى حتى بعد وجود أهل الحديث والسنة في كثير من البلاد ، حتى لقد قال الأمير نشوان الحميري :

« وليس كورة من كور الاسلام الا والمرجئة غالبون عليها إلا القليل » [2] .

علي (ع) رابع الخلفاء :

ثم تقرر الأمر في نحلة أهل الحديث على قبول خلافة علي عليه السلام بعدما كانوا أولاً في الغالب من العثمانية ينكرون خلافة علي [3] .

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٦ ص ١٥٤ .

(٢) الحور العين ص . ٢٠٣

(٣) العثمانية للجاحظ .. وذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٥ ص ١٤٥ في عبد الله بن ادريس الأودي : أنه صاحب سنة وجماعة ، وكان صلباً في السنة مرضياً، وكان عثمانياً. و (مثله) قال في عبد الله بن عون البصري وأنه موثق وله عبادة وصلابة في السنة،وشدة على أهل البدع.=

ويظهر أن قبول خلافة علي عليه السلام كان على يد الامام أحمد ابن حنبل فقد ذكر ابن أبي يعلى بالاسناد عن وديزة الحمصي : « قال : دخلت على أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، حين أظهر الترييع بعلي رضي الله عنه ، فقلت له : يا أبا عبد الله أن هذا لطعن على طلحة والزبير . فقال : بئسما قلت ، وما نحن وحرب القوم وذكرها . فقلت : اصلحك الله إنما ذكرناها حين ربعت بعلي ، وأوجبت له الخلافة ، وما يجب للأئمة قبله . فقال لي : وما يمنعني من ذلك ؟ قال : قلت : حديث ابن عمر [1] فقال لي : عمر خير من ابنه . قد رضي علياً للخلافة على المسلمين ، وأدخله في الشورى ، وعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه قد سمى نفسه أمير المؤمنين ، فأقول أنا : ليس للمؤمنين بأمير ؟ ! فانصرفت عنه [2] .

ويظهر من هذا النقل أن قبول خلافة علي عليه السلام كان ثقيلا على هذا المحدث ، ومن الواضح أن سائر أهل الحديث أو غالبهم – باستثناء الكوفيين كانوا مثله .

= قال ابن سعد: وكان عثمانياً (تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٤٨) . وذكر في نفس المصدر ج ١ ص ٨٢ في ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني أنه كان حريزي المذهب أي على مذهب حريز بن عثمان الدمشقي المعروف بالنصب . وقال ابن حبان أنه كان صلباً في السنة حافظاً للحديث ، إلا أنه من صلابته في السنة ربما كان يتعدى طوره .

والمقصود من هذا كله بيان أنه قد كان التولي بعلي عليه السلام والقول بأنه رابع الأئمة في الفضل ، وكذلك صحة خلافته ـ كان كل ذلك ـ خارجاً عن السنن ولم يكن في أصل عقيدة السنة . بل كان يعد النصب صلابة في السنة عندهم كما عرفت .

(١) الحديث المنسوب إلى ابن عمر هو: كنا نعد ورسول الله (ص) حي وأصحابه متوافرون: أبو بكر ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نسكت .

(٢) طبقات الحنابلة ج ١ ص ٣٩٣ .

ولولا عظمة الأمام أحمد بن حنبل في الناس ، ومقبولية قوله في تحديد عقائد أهل السنة لما قبله أهل الحديث .

وقد كان أهل الحديث الكوفيون يقدمون علياً على عثمان ، بل يقدمونه في الفضل على أبي بكر وعمر [1] . ولكن رأي أحمد بن حنبل قد غلب على سائر الآراء ، ولاجل هذا نرى صاحب الاستيعاب يقول: « إن الاجماع المدعى (أي في تفضيل الخلفاء الأربعة وترتيبهم) لم يحصل إلا في زمن أحمد بن حنبل » [2] .

ومع ان ابن حنبل في جماعة أهل الحديث قد ربّع الخلافة بعلي عليه السلام . إلا أنه يظهر منه تفريقه البيّن الشاسع ، بين الرفض والنصب .

فالرفض عند ابن حنبل المحدّث ذنب لا يغفر . فإذا عرف رجلا من أهل الحديث ينقص أبا بكر وعمر أو عثمان فإنه يضعفه جداً .

وأما النصب فلا يكون عنده من الموهنات،فقد كان يكاتب ابراهيم الجوزجاني الناصبي – المذكور في الحاشية السابقة ، ويكرمه إكراماً شديداً ، ويقرأ كتابه على المنبر فيتقوى بكتابه .

والجوزجاني هذا هو الذي اجتمع على بابه أصحاب الحديث ، فأخرجت جارية له فروجة لتذبحها ، فلم تجد من يذبحها فقال الجوزجاني : سبحان الله !! فروجة لا يوجد من يذبحها وعلي يذبح في ضحوة نيفاً وعشرين ألف مسلم .

وقد بلغ أهل الحديث والسنة في محاكاتهم للشيعة إلى حد أنهم أرادوا تطبيق

---

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ١١ .

(٢) الاستيعاب ج ٣ ص ١٥٤ .

الحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في تعداد أوصيائه المكرمين وانهم اثنا عشر ، على عدة من خلفائهم ، فلم يتم لهم ذلك ، واختلط عليهم الحساب ، إذ لم تسمح نفوس أهل الحديث أن يعطفوا يزيد بن معاوية ، والوليد بن يزيد واشباههما على الخلفاء الراشدين ، إذ لم يكن قد انتشر في بلادهم في تلك الأزمان كتاب « حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية » [1] .

وقد أثرت محاكاة أهل السنة للشيعة ، بصورة أخرى في عدة آخرين من أهل السنة حيث أرادوا أن يجعلوا خلافة أبي بكر بنص من رسول الله صلى الله عليه وآله .

فهذا هو النوبختي يقول : « وكذلك – أي شذت عن قول أسلافها – قالت جماعة من أهل الحديث ، هربت حين عضها حجاج الامامية ، ولجأت إلى أن النبي صلى الله عليه وآله نص على أبي بكر بأمره إياه بالصلاة ، وتركت مذهب أسلافها » [2].

تطور آخر في عقيدة الخلافة :

ثم . بعد ذلك حدث في الخلافة والاعتقاد بها تطور آخر ، وهو أن السلطان سليم العثماني جاء سنة ٩٢٤ هـ . إلى مصر ، وخلع أمير المؤمنين العباسي ، وصار هو نفسه أمير المؤمنين ، مع أنه من الأتراك ، لا من قريش ولكن قد حصل الاجماع الذي هو نبوة بعد نبوة – (على حد تعبير أبي الوفاء ابن عقيل أحد شيوخ الحنابلة) [3] – على اسقاط القرشية في الخليفة ، فسقط هذا الشرط لديني

---

(١) نشر هذا الكتاب في المدة الأخيرة في بعض البلاد التى تدعي الاسلام والدفاع عنه .

(٢) فرق الشيعة ص ٥ للحسن بن موسى النوبختي أحد متكلمي الشيعة الأمامية في أواخر القرن الثالث .

(٣) راجع المنتظم لابن الجوزي ج ٩ ص ٢٠٩ حيث قال في كلام له : « إن الاجماع آكد أدلة الشرع ، وليس لنا دليل معصوم سواه ، جعله الله في الشريعة خلف النبوة ، حيث كان نبيها خاتم الأنبياء لا يخلفه نبي ، فجعل اجتماع أمته بدلا من نبوة بعد نبوة » .

الذي جاء من الله ورسوله ﷺ على زعمهم ، والذي كان مـــن العقائد الدينية الباطلة طيلة ألف سنة تقريباً ، بإجماع جديد .. وقد حصلت هذه النبوة بعد النبوة – أعني الاجماع – ببركة طاغـية مفسد في الأرض ، وهو سليم ياووز العثماني .. فصار الخلفاء العثمانيون من عصره خلفاء المسلمين ، وامراء المؤمنين، وقبلهم المسلمون بهذا العنوان بقبول حسن .

ويا ليت هذا السلطان العثماني بدلاً من سعيه لإلغاء شرط القرشية ، كان قد سعى ليحصل الاجماع ، والنبوة بعد النبوة عـلى إلغاء العقيدة بخلافة الخلفاء الأربعة من جملة العقائد الدينية بالكلية . بل الغاء أصل الخلافة أولاً وآخراً ، وإخراجها من الدين حسب ما قال به الشيخ عبد الرازق بعده ، فإن النبوة بعد النبوة في متناول يده ويكون بذلك قد أراح أهل الحـديث والسنة والسلفية ، وغيرهم ، من لزوم الأعتقاد بها ، والاستدلالات الواهية لها، وأراح غيرهم أيضاً من تبعات مخالفتهم .

بشرى بتطور جديد أيضاً :

وأخيراً .. فقد زف إلينا أحد علماء الأزهر الشريف – محمد سيد كيلاني – بشرى جديدة !! فإنه بعدما قال : « إن العلماء قد ردوا على الشيخ عبد الرازق القائل بأن مسألة الخلافة الاسلامية ، ليست من الدين ، وأنه قـد قامت ضجة كبيرة حولها ، وعقدت المؤتمرات ، للنظر في الخلافة الاسلامية . ولكن تلـك المؤتمرات قـــد باءت بالفشل ، بسبب دسائس الاستعمار ، – قـال محمد سيد كيلاني – هنا ما لفظه :

« .. والمسلمون من أهل السنة ، قد انصرفوا عن النظر في هـــذا الموضوع نهائياً فيبدوا أنهم اعتنقوا مذهب الخوارج في الإمامة .. »[1]

---

(١) ذيل الملل والنحل للشهرستاني ص ٨٠ .

ونحن نبارك اعتناقهم لهذه العقيدة الجديدة.. ولا ادري هل حصلت بعد، النبوة بعد النبوة لهذه العقيدة ، أم لا ؟ ! .

ومن الواضح أن موقف أهل السنة في مسألة الخلافة كما أشار إليه الدكتور أحمد محمود صبحي : « هو التسليم بالأمر الواقـــع ، دون تأييد أو خروج عليه »[1] .. ولكن بعد وقوعه ، يحصلون له الدلائل والمبررات ، والاجماع والنبوة بعد النبوة .

تشابه ومقارنة :

وما أشبه تغير وتطور عقيدة هؤلاء في الخلافـة ، بتغير وتطور عقيدة النصارى في قتلة المسيح عليه السلام – عـلى زعمهم – إذ كانت العقيدة في الفداء تتلخص في أن اليهود وكهنتهم قد دبروا قتل المسيح وصلبه ، فقتلوه وصلبوه ، وظلت هذه هي عقيدتهم قريباً من ألفي سنة ، ولكن قد تقرر أخيراً على يد البابا بيوس الثاني عشر – وطبعاً كان ذلك بالنبوة بعد النبوة – أن يكون اليهود بريئين من قتل المسيح وصلبه !! .

والذي أخشاه ، ولا يزول من خاطري ، هو احتمال أن يكون الاجماع على الخليفة الأول وغيره إنما كان من قبيل الاجتماع على شرعية خلافة السلطان سليم .. إذ قد تبين لنا : أنه لا يستحيل أن يكون هناك أمر شرعي ثابت من الله ورسوله ، وقد التزمت به الأمة ، وجرت عليه أكثر من تسعة قرون أو ١٣ قرناً ، بل وترقى الأمر فيه ، حتى عد من العقائد للملايين من الناس طيلة قرون كثيرة .. ثم تزيله السياسة الوقتية بظهور متغلب ينتهي الأمر

---

(١) نظرية الامامة . ص ٢٣ .

بسببه إلى ضد الأمر الأول ، وذلك بحصول الإجماع – وهو نبوة بعد نبوة – على شرعيته .

فليس من البعيد إذن .. ان تكون السياسة قد غيرت ما أوصى به رسول الله ﷺ ، بولاية علي عليه السلام يوم الغدير ، قبل أن يمضي سبعون أو أربعة وثمانون يوماً ، مهما كان مشهوراً أو معروفاً ، إذ لا يزيد في شهرته وذيوعه على ذيوع وشهرة مسألة شرطية القرشية في الخليفة على مدى أكثر من تسعمأة سنة .

هل كان الصحابة عدولاً باجمعهم ؟

ولننتقل الآن إلى نقطة أخرى أثارها كاتب مقال مجلة الدعوة ، حيث قال: « فإذا أضفنا إلى شكهم في صحة القرآن ، وفي عدالة الخلفاء الراشدين بوجه خاص ، وفي صحابة رسول الله بوجه عام .. »

وجوابنا عن ذلك : إننا نقول : إنه لا يخرج قـول الأمامية في الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، عما يوجبه ويحكم به القرآن والعقل ، وعمـا ثبت في صحاح أهل السنة أنفسهم .. إذ من غير الخفي ان في الصحابة طائفة مـن المؤمنين المخلصين بدرجاتهم المختلفة ، وفيهم المسلمون ، ولما يدخل الايمان في قلوبهم ، وفيهم المنافقون وهم عدد غير قليل ، وفيهم المؤلفة قلوبهم ، وفيهم من نزل القرآن بفسقه ، وفيهم من تخلف عن جيش أسامة فلعنهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وفيهم من أقيم عليه الحد الشرعي لأرتكابه ما يوجب الحد في زمن النبي صلى الله عليه وآله ، وفيهم من ارتد عن دينه ، وفيهم من ولّ الدبر في الحرب ، وقد قـال الله تعالى : « ومن يولّهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير »[1]

وقد فروا يوم أحد جميعاً وولوا الدبر الا عدة معدودة . وخالف جماعة منهم

---

(١) سورة الأنفال / ١٦

– أي من الصحابة – أمر رسول الله (ص) – وفيهم كبار الصحابه رضي الله عنهم – ولم يبق معه إلا نفر من آل عبد المطلب ، وعدد قليل من الأنصار ، منهم أم الحارث الأنصارية (رض) وكانت تستأذن رسول الله (ص) في قتـــل الفارّين،وهي التي اعترضت عمربن الخطاب وهو فار فقالت له : يا عمر ما هذا؟! فقال : أمر الله [1] . أي قضاء الله وقدره !!

ومع كل ذلك فإن القول بعدالة الصحابة جميعاً– كما ذهب إليه أهل الحديث، ثم جعل ذلك من العقائد كما فعله الامام احمد بن حنبل وغيره – يعتبر غفـــلة قبيحة ، لما فيه من طرح المقاييس الدينية والعقلية ؛ ولأن ذلك ممـا يأباه تاريخ الصحابة وواقع ما جرى بينهم ، وما صدر منهم ، وهو أمر مستحدث ، أنيبه أهل الحديث ، وهم المغرمون بحبّ معاوية وأذنابه ، والمدافعون عنهم ، أمثال عمرو بن العاص،وبسر بن أرطاة ، وسمرة بن جندب ، ومن هم على شاكلته .

لقد جاء أهل الحديث بهذا الأمر في قرون متأخرة ؛ فأعطوا الصحابة جميعا مرتبة العدالة لتشمل معاوية وأحزابه،ولتبرر الكثير من الفظائع التي ارتكبوها والحرمات التي انتهكوها ..

والحقيقة هي ان نزعة النصب الغالبة على اكثرية أهـل الحديث ، هي التي دعتهم إلى وضع هذه المقالة الجديدة ، بحيث تشمل الصحابه جميعاً .

اجتهاد معاوية واضرابه :

ثم تقدم أهل الحديث شوطاً آخر في هذه العقيدة الجـديدة ، وذلك عندما منحوا معاوية وأشباهه رتبة الاجتهاد، في نفس الوقت الذي لا يخطر في بال أحد من هؤلاء – معاوية واضرابه – طيلة حياتهم ان يثبتوا هـذه الرتبة لأنفسهم ،

---

(١) المغازي للواقدي ص٩٠٤

ولكنها منحت لهم بعد موتهم كالاوسمة والرتب التي تعطيها وزارة الدفاع للضباط المقتولين ، بعد أن لم يكونوا يحلمون بها في حياتهم على الأطلاق .

ثم غلوا فيهم وجعلوا آراءهم حجة على الناس إلى يوم القيامة ، وجعلوا لهم حق التشريع في الدين ، وجعلوا لهم سنناً كسنن رسول الله ﷺ . وسيمر عليك في آخر هذه الرسالة بيان هذا ان شاء الله تعالى .

وما انسب ما نحن فيه بقول الشاعر في سمية أم زياد بن أبيه ، لما استلحق معاوية ابنها زياداً بأبي سفيان ؛ حيث قال :

عاشت سمية دهراً وهي ما علمت ان ابنها من قريش في الجماهير

وأما الاستدلال على عدالة الصحابة جميعاً بقولهم: « إنهم شاهدوا نور النبوة، فعصمتهم من الاقتحام في الذنب » فهو دليل غير متماسك،وهو يناسب شطحات الصوفية ، فلم لم تمنع مشاهدة نور النبوة تلك الطوائف المتقدم ذكرهـا – اعني المنافقين ، والمؤلفة قلوبهم ، ومن ارتدوا الخ .. – في عصره ﷺ عن ارتكاب الذنوب ؟! مع أن الرسول ﷺ كان بين اظهرهم ، يهـديهم ، ويرشدهم ، ويدبر أمورهم .. فالقول بأنهم بموت رسول الله ﷺ ، وبانقطـــاع نور النبوة عنهم صاروا عدولاً ، برزة اتقياء ، هو خطل من القول،وإهانة صريحة لمقام النبي ﷺ بل الطبع والعادة يقضيان بخلاف ذلك ، كما تدل عليه الروايات الكثيرة الدالة على ان اقواماً ، وطوائف من الصحابة قد ارتدوا على أدبارهم القهقرى ، منذ فارقهم رسول الله ﷺ وسيجيء بعضها .

ومحط نظرنا هو قوله : « منذ فارقهم » الدال على حدوث الفتنة بمجرد موت الرسول ﷺ لا أن موته صار سبباً لعدالتهم وتقواهم !!..

نظر الشيعة الامامية إلى الصحابة :

وأما الإمامية فمذهبهم – على الاجمال – هو الترضي عن معظمهم . ولقد كان الإمام علي بن الحسين عليهما السلام يدعو لهم في صلواته ، وذلك لاتباعهم خطى نبيهم ﷺ وعملهم بأوامره ونواهيه ، منها هو عليه السلام يقول في صلاته عليهم : « .. اللهم واصحاب محمد خاصة الذين احسنوا الصحبة ، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره ، وكانفوه ، واسرعوا إلى وفادته ، وسابقوا إلى دعوته ، واستجابوا له ، حيث أسمعهم حجة رسالاته ، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته ، وقاتلوا الآباء والابناء في تثبيت نبوته ، وانتصروا به ، ومن كانوا منطوين على محبته ، يرجون تجارة لن تبور في مودته ، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته ، وانتفت منهم القرابات ، إذ سكنوا في ظل قرابته فلا تنس اللهم ما تركوا لك وفيك ، وأرضهم من رضوانك ، وبما حاشوا الخلق عليك ، وكانوا مع رسولك دعاة لك. إليك واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم ، وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه ، ومن كثرت في اعزاز دينك من مظلومهم . اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان ، الذين يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا .. »[1]

وغير خفي : أن هذه الدعوات بما فيها من الاعظام والاكبار ، شاملة لمعظم الصحابة رضي الله عنهم ، وأما آحادهم تفصيلاً فينظر في تراجمهم وتواريخهم ، ويحاكمون بمقتضى العدل ، والقول الفصل ، وحكم القرآن ، وكلام نبي الاسلام .. « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

وأما على حسب أصول أهل السنة ، فليس في الصحابة أحد يكون الشك في عدالته أو فسقه أو ارتداده معادلاً للشك في توحيد الله تعالى ، أو في رسالة نبيه محمد ﷺ أو في المعاد ..

---

(١) راجع الدعاء الرابع من ادعية الصحيفة السجادية .

وعليه .. فمن ناقش في علم بعض آحاد الصحابة ، أو خطأهم في بعض افعالهم وأقوالهم ، حسب ما تقتضيه المقاييس الدينية ، فإن ذلك لا يخرجه من الايمان إلى الكفر ، ولا من السنة إلى البدعة ؛ اذ ليس آحاد الصحابة واشخاصهم محور الدين ، والكفر ، والسنة والبدعة .

هذا هو قول الامامية في الصحابة رضي الله عنهم جملة وتفصيلاً ، وهذه هي نظرتهم إليهم ..

الأخبار في عدالة الصحابة :

وأما الأخبار الواردة في الصحاح الستة وغيرها – (وسيأتي انشاء الله ذكر بعضها) – مما ورد في شأن طوائف كثيرة من الصحابة ، بحيث يظهر من الأحاديث كثرتهم وكثافة جمعهم – أما هذه الأخبار – فنقول : ان كان أهل الحديث والسلفية ملتزمين بالأحاديث وبالصحاح لا سيما صحيح البخاري – كما يدعون – فليقولوا – والعياذ بالله – حسب أصلهم بكفر هؤلاء الصحابة ، وارتدادهم بعد رسول الله ﷺ ، وانه لن ينجو منهم الا مثل همل النعم ..

وليس لهؤلاء ان يعترضوا على من يقول بمضمون ما ورد في صحاحهم ، فضلاً عن الشاكين في عدالتهم ، (وهم الشيعة على ما ينسبه إليهم الكاتب من الشك في عدالتهم – بل هم – اعني أهل الحديث – مؤاخذون على عدم اخذهم بما تضمنته صحاحهم !! وعلى عدم جعل ذلك من عقائدهم بعد أن ورد ذلك في الصحاح بطرق متعددة ، واسانيد مختلفة ..

واقبح من ذلك كله – في التحكم وفرض الرأي بلا دليل ، بل ومع وجود الدليل القاطع على خلافه – اعتراض كاتب المقال – كغيره ممن هم على شاكلته – على الشيعة ، وتشنيعهم عليهم لشكهم في عدالة الصحابة ، فهم يؤاخذون

الشيعة على شكهم ، ويجعلون ذلك منهم عظيمة من العظائم وجريمة من اكبر الجرائم .. بينما هم بصحاحهم تلك يعلنون الناس كفر الصحابة ، ويعلنون ارتدادهم !! .

وذلك نظير ايراد روايات تحريف القرآن في صحاحهم وكتبهم ، ثم يرمون الشيعة بالقول بذلك ، والشيعة من ذلك براء على ما سيأتي ان شاء الله تعالى .

أو ليس الشيعة على حق في شكهم حينما يظهر رسول الله ﷺ الشك في مثل أبي بكر الصديق ، فكيف بمن هو دونه ، كما روى الامام مالك أن رسول الله ﷺ قال لشهداء أحد : هؤلاء أشهد عليهم [1] (راجع الهامش) فقال ابو بكر الصديق ، ألسنا يا رسول الله اخوانهم ؟ اسلمنا كما أسلموا ، وجاهدنا كما جاهدوا ! فقال رسول الله ﷺ : بلى ولكن لا ادري ما تحدثون بعدي ؟! فبكي أبو بكر ثم بكى ثم قال « اننا لكائنون بعدك » ؟! [2]

وبعد هذا .. فإن المتيقن المعين من قوله عليه السلام «ولكن لاادري ما تحدثون بعدي » هو ذلك الذي خوطب بهذا الكلام .

وعلى كل حال .. فإن من الأخبار المشار إليها حول عدالة الصحابة .. ما رواه الامام احمد بن حنبل عن أم سلمة أنه ﷺ قال : « أيها الناس بينا أنا على الحوض جيء بكم زمراً ، فتفرقت بكم الطرق ، فناديتكم ألا هلموا إلى الطريق فناداني مناد من بعد فقال : إنهم قد بدلوا بعدك . فقلت : ألا سحقاً ، الا سحقاً [3] .

---

(١) أى اشهد لهم بالايمان الصحيح ، والسلامة من الذنوب الموبقات ، ومن التبديل والتغيير ، والمنافسة في الدنيا ، ونحو ذلك (كذا فسره السيوطي نقلاً عن ابن عبد البر) .

(٢) الموطأ ج١ ص ٣٠٧ ، ومغازي الواقدي ص ٣١٠

(٣) سند أحمد ج ٦ ص ٢٩٧

وروى البخاري وغيره عن أبي هريرة قال : بينا أنا قائم ، إذا زمرة ، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم ، فقال : هلم . فقلت : أين ؟ قال : إلى النار والله . قلت : وما شأنهم ؟ قال : إنهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى . ثم لمذا زمرة (فذكر فيهم مثل الأولى) فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم [1]

وفي صحيح البخاري عن حذيفة : أن رسول الله ﷺ قال : « ليردن على الحوض أقوام ، فيختلجون دوني ، فأقول : رب اصحابي ، رب أصحابي . فيقال : إنك لا تدري ما احدثوا بعدك [2] .

ومن الواضح : إن هذه الكلمات لا تنطبق على عدة قليلة فقط . وليس المقصود بها من آمن بالنبي ورآه ثم سكن خارج المدينة المنورة ولم يعاشر النبي ﷺ إذ لا يقال لمثل هؤلاء : « الصاحب » ولا « الأصحاب » . وان كان اصحاب الجرح والتعديل قد توسعوا كثيراً في مفهوم الصحابي ..

ولعلهم إنما تكلفوا التوسع في معنى هذا اللفظ ، من اجل أن يصير أولئك الصحابة ، الذين قال النبي ﷺ فيهم : إنهم يرتدون على اعقابهم القهقرى هم خصوص أصحاب الردة ، من اجل ان يخلص لهم الصحابة الحقيقيون جميعاً .. وبعباره اخرى : إذا كان لفظ (صحابي) يشمل كل من رأى النبي ﷺ فيكون الذين قال عنهم النبي ﷺ إنهم يرتدون بعده هم خصوص أهل الردة ، لأنهم فيهم صحابة رأوا النبي ﷺ ثم ارتدوا – على زعمهم – وأما غير أهل الردة فكلهم صحابة أخيار لا تشملهم هذه الكلمات .. وبذلك يفسح المجال لتعديل معاوية واضرابه .

---

(١) صحيح البخاري ج٨ ص ١٥٠–١٥١ ، والجمع بين الصحيحين الحديث رقم ٢٦٧

(٢) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٤٨–١٤٩ ، ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٨٨ ، وليراجع صفحة ٣٩٣

ولكن هذا تكلف واضح، فإن المرتدين على خلافة أبي بكر–على زعمهم– اشخاص وطوائف من غير الصحابة ، والأخبار تفيد ان زمراً وطوائف كثيرة جداً من الصحابة سوف يرتدون .

وأيضاً فإن إطلاق كلمة (الصحابي) على من رأى النبي ﷺ ولو من بعيد تكلف واضح في اللفظ ، واخراج له عن معناه ..

وعلى كل حال .. فإن الروايات في موضوع عدالة الصحابة، وما يصيرون إليه بعد النبي ﷺ كثيرة مستفيضة ، بل قال بعضهم : إنها متواترة ..فليراجع صحيح البخاري وغيره . وليراجع أيضاً مقال للسيد جعفر مرتضى بعنوان : « الصحابة في الكتاب والسنة » منشور في العدد الثاني من السنة الخامسة من مجلة الهادى .

« ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غـــلا للذين آمنوا ، ربنا انك غفور رحيم » .

محل الخلاف في القدر

أصل القدر ثابت بيّن في الدين لا ينكر ، والخلاف بين الشيعة والسنة ، إنما هو في أمرين :

١ – تعميم القدر لأفعال العباد ؛ فيثبته أهل السنة وينكره الشيعة ، وإن كانوا يقولون بأن لله تعالى القدرة الكاملة على الإجبار . وقد كذب ابن تيمية فيما نسبه إلى الشيعة هنا ؛ من أنهم يقولون : « إن الله لا يقدر أن يهدي ضالاً ، ولا يقدر أن يضل مهتدياً »[1] مع انهم إنما يقولون بعموم قدرته تعالى لكنهم يرون ان هذه القدرة لا يستعملها الله في هذا المورد .

٢ – تحكيم القدر في أفعال الله فيثبته أهل السنة ، وينكره الشيعة ، ويقولون ان لله مشيئة فيما قضى وقدّر .

الكاتب وأصول مذهبه :

وإذ قد عرفنا هذا نعرف أن هذا الكاتب لا يعرف حتى أصول مذهبه ، وقد سرق من مذهب خصومه « العدل » الذي هو من ميزات ، واختصاصات مذهب الشيعة فعلاً ، « فجعله مشتركاً بين الشيعة وبين غيرهم من أهل السنة ».

---

(١) منهاج السنة ج ١ ص ٨٦ .

وهذا غير صحيح . بل هو فقط من اختصاصات مذهب الشيعة القائلين باختيار العباد في أفعالهم ، وأنهم غير مجبرين عليها ، كقول المعتزلة ، ولذا سميت الشيعة والمعتزلة باسم « أهل العدل » و « العدلية » .

وأما مذهب أهل الحديث وأهل السنة ، فهو الجبر على الأفعال ، وتعميم القدر لها ، وإن كانوا لا يقبلون بإطلاق اسم « الجبرية » و « القدرية » عليهم راجع الهامش [1] .

فهم يجعلون كل الكفر والشرك ، والمعاصي ، بقضاء حتمي من الله تعالى وقدره ، لا يقدر العباد على التخلف عما قدر عليهم من الأفعال ، ومع ذلك يعاقبهم الله عليها . بل إنهم يغالون في الجبر فيسلبون عن الفاعل كون فعله فعلا له حقيقة ، فلقد رأينا الإمام الأشعري قد تاب عن قول : « إن افعال الشر أنا أفعلها » وذلك حينما دخل في عقيدة السنة [2] .

نعم إنهم يغالون في الجبر حتى ليجعلون أفعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى كما قال الأشعري في جملة عقائد أصحاب الحديث والسنة : « .. واقروا أنه لا خالق إلا الله ، وأن سيئات العباد يخلقها الله عز وجل ، وان العباد لا يقدرون أن يخلقوا منها شيئاً » [3] .

---

(١) وذلك لئلا ينطبق عليهم الحديث المشهور : « القدرية مجوس هذه الأمة » ، والقدرية - بمقتضى وضع اللفظ - بمعنى مثبتي القدر ، لا نفاته ، وذلك نظير قولهم : العدلية ، والجبرية ، والشيعية ، والسنية ، وغيرها .. وكلها تعني المتبعين للعدل والجبر و و .. الخ . وسترى أن أهل الحديث والسنة هم المغالون في إثبات القدر وتعميمه أولا . ثم ترى انهم يقولون باجراء القدر حتى على افعال الله تعالى وانه محكوم بقدره ثانياً . وبناء على ذلك فأهل الحديث والسنة أولى باسم القدرية من خصومهم . وقد أطلق الخلال - من أئمة الحنابلة - كلمة القدرية على القائلين بالجبر . « راجع درء تعارض العقل والنقل ص ٦٦ » .

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٢٥٧

(٣) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٣٢١

وللبخاري كتاب في الموضوع باسم « خلق الأفعال » . وصرح بذلك أصحاب الكتب العقائدية [1] .

ثم يغالون في القدر حتى يجعلوا الله تعالى محكوماً بقدره في الآخرة . وهذا يشبه تماماً أن يكون القدر هو إله القوانين ، والتخطيط ، والله المتعال هو إله التنفيذ والإجراء ليس إلا . .

وبذلك تم الشبه والوفاق بينهم وبين المجوس القائلين بإلهين مؤثرين ، فحصل بذلك علم من أعلام النبوة وصدق ما أخبر عنه سيد المرسلين حيث قال ﷺ : « القدرية مجوس هذه الأمة » فأهل الحديث وأتباعهم من السلفية وغيرهم هم المقصودون بكلمة « القدرية » المذكورة في الحديث الشريف ، شاءوا أم أبوا رغم ما بذلوا من الجهود الجبارة من أجل صرف هذا الاسم عنهم فإن الاسم والاطلاق إنما يتبعان واقع الأمر .

وقد عقد الباقلاني الفصل الثامن والعشرين من كتابه « التمهيد » ليثبت وجوب تسمية المعتزلة بالقدرية [2] وهذا هو البغي الواضح ، والتجني الوقح . وكما يقولون : « رمتني بدائها وانسلت » .

من أحاديث الجبر والقدر :

ولقد كانت عقيدة الجبر هي عقيدة المشركين في الأصل ، فلما ظهر الإسلام

---

(١) منهم أبو عثمان الصابوني في رسالته في عقائد السلف ، وأصحاب الحديث راجع مجموعة المسائل المنيرية ج ١ ص ١٢٦ . « ومنهم ابن تيمية في الوصية الكبرى ص ٢٧٨ والعقيدة الواسطية . راجع مجموعة المسائل الكبرى ج ١ ص ٤٠٥ . وفي مجموعة الرسائل والمسائل ج ١ ص ٨٨ .

(٢) مذاهب الاسلاميين ص ٥٩٤

أنكر هذه العقيدة فيما أنكر على المشركين من عقائدهم كما أنكرها على اليهود من قبل ، ولعنهم بها .

ثم جددها معاوية في المسلمين أو من يحترمه معاوية ممن كان قبله على ما سنذكره إن شاء الله في ذيل هذا البحث .. فنسجت على ضوئها المظلم ووضعت بعد ذلك أحاديث نسبوها إلى رسول الله ﷺ ، وتلقوها بالصحة والقبول ، وجعلوها مستنداً لهذه العقيدة .

ونحن نذكر بعضها هنا :

فمنها : ما روي : « ان أول ما خلق الله القلم فقال اكتب، فقال: ماأكتب قال : اكتب للقدر ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة » [1] .

وهكذا فإن هذا المخلوق الأول كأنما قد خلق ليعارض خالقه في سلطانه ، ويمنع جفاف القلم عن أن يفعل الله ما يشاء في خلقه .

كما روى أبو هريرة قال : « قال لي النبي ﷺ جف القلم بما أنت لاق »[2].

ومنها : الروايات الواردة في كيفية خلق الإنسان ، وأنه بعد كونه علقة ، ثم مضغة ، ونفخ الروح فيه « يكتب رزقه وأجله ، وعمله وشقي وسعيد » [3].

ويقول النووي في شرح الحديث أنه يظهر ذلك للملك ، ويأمره بإنفاذه ، وكتابته وإلا فقضاء الله تعالى سابق على ذلك، وعلمه وإرادته لكل ذلك موجود في الأزل . انتهى » . ويقول الملك الموكل بالنطفة : « يا رب أشقي أو سعيد ،

(١) صحيح الترمذي القدر باب ١٧ .
(٢) البخاري ج ٨ ص ١٥٢
(٣) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٥٢ . صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ١٩٢ .

فيكتبان ... ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلايزادفيها ولا ينقص [1] وفي حديث حذيفة بعدما يجعله الله سوياً أو غير سوي : « .. ثم يجعله الله شقياً أو سعيداً » [2] « وما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار الا وقد كتبت شقية أو سعيدة [3] .

وتقدير هذا القدر الجاف الجافي ليس إلا من متعنت حنق قاس حقود على المساكين العاجزين بلا سبب ولا مبرر ، وبذلك شقي الناس والكفار والعصاة ، بشقاوة الأبد ، ولا مجال بعد ذلك لرأفته ورحمته وإحسانه ، بل لقد قدّر كل ذلك لجماعة آخرين غرباء لا يهمه أمرهم ، بلا جهة ولا سبب . كما يقول الله تعالى – في زعمهم – في روايات « الذر » يقول بقسوة وبلا مبالاة ، والعياذبالله من هذا القول : « خلقت هؤلاء للجنة ولا أبالي ، وخلقت هؤلاء للنار ولا أبالي» .

وكان هذا القدر هو الحجة التي تغلب بها آدم على موسى حيث قال «أتلومني على أمر (عمل خ) قدر الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟! » [4] . أو قبل أن يخلق الله السماوات والأرض ؟ [5] .

وقال سراقة بن جعشم « يا رسول الله بيّن لنا ديننا كأنا خلقنا الآن . فيما العمل اليوم ؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير ، أم فيما نستقبل ؟ قال : لا ، بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير» [6] .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ١٩٣
(٢) نفس المصدر ص ١٩٤
(٣) نفس المصدر ص ١٩٦
(٤) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٥٧
(٥) سنن الترمذي ج ٣ ص ٣٠١
(٦) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ١٩٦

والقدر الغالب ، وسبق الكتاب !! هو الذي يقضي على العمل الصالح فيجعله هباء منثوراً حتى « .. أن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها . غير ذراع أو ذراعين ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها »[1] . وبمعناها روايات عديدة أخرى .

وزعموا أنه لما سئل رسول ﷺ : فلم يعمل العاملون ؟ أجاب (بجواب غير مقنع) حيث قال : كل يعمل لما خلق له ، أو لما يسر له[2] وبتعبير آخر : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له »[3] .

وعلى هذا فيكون الحث على العمل الصالح ، أو الزجر عن العمل غير الصالح لغواً ، لأن الانسان ان كان من أهل السعادة ، فالعمل الصالح ميسر له على القدر المقدر له في أعماله – بل لا يحتاج إلى العمل أصلاً – والا فلا، حسب ذلك التقدير أيضاً .

بل بناء على القول بأن الله يخلق أفعال العباد على ما يقول به أهل الحديث والسلفية ، فتلك الأسئلة والأجوبة لا معنى لها ، ولا هي واقعة في موقعها ،لأن العمل ليس عمل العبد حتى يكون القدر في أعمال العبد ، بل القدر يجري في أعمال الله وأفعاله فقط ، والبرنامج والخطة والقدر لأعمال الله لا يحيد عنها قيد شعرة ، فلقد جف القلم بما هو كائن من السعادة والشقاوة الأبديتين لا يزاد ولا ينقص. وما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وسلب الاختيار عن الله تعالى هو أعظم ما في هذه العقيدة ، فإنه يجعل الله القدير على كل شيء، الفعال لما يريد ، الذي يمحو القدر ، ويثبت ما لم يقدر (على ما يبنيه لنا كتابه

---

(١) صحيح البخاري . وصحيح مسلم ص ١٩٦
(٢) البخاري ج ٨ ص ١٥٣ . ولبراجع ص ١٥٤
(٣) الذهب الابريز ص ٢٦ . وسنن أبي داود الذي بهامشه عون المعبود ج ١٢ ص ٤٥٨ و ٤٧٦

الكريم) – يجعله – مغلول اليد ، مغلوباً على أمره وسلطانه ، إذ تكون هذه التقديرات بمثابة عراقيل وموانع في سبيل رحمته وإحسانه . . وهذا يضاهي قول اليهود . بل هو نفس قولهم[1] – « في كل واد أثر من ثعلبة » – كما قال الله : « وقالت اليهود يد الله مغلولة . غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا . بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء »[2] . ولو كان كلام النووي السابق صحيحاً من أن قضاء الله سابق موجود في الأزل ، فإن الله هذا قد كان محجوراً عليه وممنوعاً من التصرف بما يشاء ، أزلاً وأبداً . إذ كل وقت يفترض فيه أنه قد حدث فيه التقدير ، فان القدر يكون سابقاً عليه قبل ذلك ، فالقدر هو شريك الله في القدم وآمره في الحقيقة .

وبناء على زعمهم هذا .. يكون الله المتعال هو إله منفذ فقط ، ينفذ خطط القدر في خلق الكفر والإيمان وغيرهما .. وأما السلطة القانونية فانما هي للقدر فقط أزلاً وأبداً .

ولأجل هذا القول كانت لعنة الله على اليهود . فليخش من يؤمن بالله تعالى، وبمحمد ﷺ وبكتابه – أن يصيبه ما أصاب اليهود من اللعنة باتباعه وتقليده لهم بهذا القول.

عدل السلفية :

ثم ان في هؤلاء الجبرية – مثل كاتب المقال – من أعجبه اسم « العدل » لا حقيقته ، فسمى هذا الجبر الجائر عدلاً . فمنهم أبو عثمان الصابوني في : « عقيدة

---

(١) مذهب الفريسين من اليهود هو المذهب الغالب على جماعة اليهود . والفريسيون ـ ومنهم كعب الأحبار طبعاً ـ مذهبهم الجبر والقدر ، ويعارضهم الصدوقيون – وقد انقرضوا – ومذهبهم هو الاختيار .
(٢) المائدة ٦٤

السلف وأصحاب الحديث »[1] حيث قال : « خلق الله الخلق بلا حاجة اليهم، فجعلهم فرقتين : فريقاً للنعيم فضلا ، وفريقاً في الجحيم عـدلاً ، وجعل منهـم غوياً ورشيداً ، وشقياً وسعيداً ، وقريباً من رحمته وبعيداً ، لا يسئل عما يفعل وهم يسألون » .

وقد صرح بذلك قبلهم إمامهم أحمد بن حنبل في رسالة عقائده فقـــال : « والقدر خيره وشره ، وقليله وكثيره ، وظاهره وباطنـه ، وحلوه ومره ، ومحبوبه ومكروهه ، وحسنه وسيئه ، وأوله وآخره ، من الله ، قضاء قضاه ، وقدر قدّره ، لا يعدو واحد منهم مشيئة الله عز وجل ، ولا يجـاوز قضاءه ، بل كلهم صائرون إلى ما خلقهم له ، واقعون فيما قدر عليهم لأفعـــاله (أي لأفعالهم) وهو عدل منه عز ربنا وجل ، والزنا ، والسرقـة ، وشرب الخمر ، وقتل النفس ، وأكل المال الحرام ، والشرك بالله ، والمعاصي كلهـــا بقضاء وقدر .. »[2] .

مع عقيدة الجبر أيضاً :

وتسمية عقاب من لا يقدر على التخلف بالعدل ، هو مثل تسمية أقبح الناس وجهاً بـ « يوسف » لا يحسن إلا في مقام التظرف والسخرية . لا في مقام بيـان أصول الإعتقادات ونحن بما أننا عقلاء ومسلمون نرد على النصارى عقيدتهم في الفداء حينما قالوا : « ان لتحقق العدل الإلهي في خطيئة الإنسان ، عاقب الإله الآب ، إبنه الإله البريء المعصوم ، المسيح بالصاب » – نعم نرد عليهم – بأنه أي عدل تحقق بهذا الظـلم ؟!! وكيف يعـاقب عيسى البريء على ذنب غيره ليتحقق العدل ؟! أو هذا عدل ؟! هذا .. ونحن غافلون عن ان من اخواننـا

(١) مجموعة المسائل المنيرية ج ١ ص ١٢٦
(٢) طبقات الحنابلة ج ١ ص ٢٥

المسلمين من يقول بعدل الله تعالى هو أسمج وأظلم من عدل النصارى هذا ، فان في عدل النصارى يكون ثمة مذنب على الأقل ، وقد أذنب بنفسه وباختياره ، ولكن هؤلاء المسلمين يقولون : خالق الذنب والكفر والشرك ، ومقدره وقاضيه هو الله تعالى ، ثم يعاقب هذا العبد المسكين على فعل لم يفعله العبد وإنمـا فعله الله بنفسه ! !

يقدر الكفر فيناثم يسخطه يقول لم كان ما أقضي وأنشيه

وعلى زعم أهل الحديث والسلفية ، فان الله نفسه هو الذي يحتم على المشركين الاعراض عن التذكر ، ولكنه يعود فيقول : « فما لهم عن التذكرة معرضين؟! ويقدر الكفر على عباده ، وهو أيضاً يقول : « ولا يرضى لعباده الكفر » ! ! (وبالله عليك أليس على حسب عقيدة هؤلاء يكون هذا كذباً من الله؟ سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ، وإذا كان لا يرضى لعباده ، فلـماذا يقـدره عليهم ؟) .

ثم إنه هو الذي يمنعهم بقضائه وقدره من الايمان ، ولكنه يقول ببساطة الغافل عن كل شيء ، وسذاجتـه : « وماذا عليهم لو آمنوا ؟!! يعترض الله على الناس بعشرات ومئات من الآيات من هذا القبيل توبيخـاً وتبكيتـاً ، في حين أنه هو المانع بقضائه عن طاعتهم وإيمانهم ، والمقـدر بقـدره لكفرهم وعصيانهم ! !

فهل يرضى وجدانك حقاً بنسبة هذا الفعل (القدر) الجائر ثم هذا القول (التوبيخ) الكاذب إلى الله العدل الصادق الكريم الرحمن الرحيم ؟!!

.. ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى

وأخيراً .. فلقد صح فيهم ما قاله ابن الحجاج :

المجبرون يجادلون بباطل وخلاف ما يجدون في القرآن

كل مقالته الإله أضلني ... وأراد بي ما كان عنه نهاني
أيقول ربك للخلائق آمنوا ... جهراً ويمنعهم عن الإيمان
إن صح ذا فتعوذوا من ربكم ... وذروا تعوذكم من الشيطان

المشركون وعقيدة الجبر :

ونحن هنا نسأل أي عاقل يحترم نفسه ، وضميره ووجدانه : أي فرق معنوي أو لفظي بين عقيدة الجبر المنسوبة إلى السلف الصالح ؟! وبين عقيدة المشركين الذين حكى الله عنهم :

« وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا، ولا حرمنا من دونه من شيء ، كذلك فعل الذين من قبلهم..» [1] وكذلك فعل الذين من بعدهم ، وعلى هذا جرت عقيدة السلفية وأهل الحديث ، وأهل السنة، إلى عصر الشيخ محمد عبده ، الذي حاول أن يغير الوضع .. وقد نجح في ذلك إلى حد ما ، وحصل تطور جديد عندهم في هذه العقيدة .. إذ يبدو مما نقرؤه من كتبهم ومقالاتهم الجديدة أنهم – أو كثيراً منهم – قد تخلوا عن هذا المذهب (الجبر) الذي كان شائعاً فيهم ، وهو من أصول مذهب الأشاعرة وإن حاول الأشاعرة أن يلفوا هذا الجبر بلفافة تسمى بالكسب .

معاوية يجدد عقيدة الجبر :

ولكننا لم نسمع بتغيير ولا تطور في مذهب السلفية والحنابلة ، في اعتقادهم بالجبر والقدر ، لأنهم يدعون أنه مذهب السلف الصالح وهو في الحقيقة عين ما دعا اليه معاوية من قبل . الذي أراد أن يجدد عقيدة المشركين في المسلمين ، تدعيماً لملكه ، حيث أنه أراد بهذه الدعوة أن يفرض حكومته الغاشمة على

(١) سورة النحل ٣٥

الناس فرضاً ، بحجة أنه أمر قد قضاه الله وقدره فهو الحق الواجب [1] .

وقد خوف بعض أهل الحديث الحسن البصري بالسلطان حتى سكت عن قوله بالاختيار [2] .

وقتل بنو مروان على ذلك جماعة وسيروا جماعة آخرين والشواهد على ذلك كثيرة .

وقد نقل القاضي عبد الجبار عن أبي علي الجبائي « .. ثم حدث رأي المجبرة من معاوية لما استولى على الأمر .. وحدث من ملوك بني أمية مثل هذا القول.. فهذا الأمر الذي هو الجبر نشأ في بني أمية وملوكهم ، وظهر في أهل الشام ثم بقي في العامة وعظمت الفتنة فيه [3] .

وبهذا القضاء والقدر كان معاوية يؤكد بيعة يزيد ويصححها ، ويجعلها حقاً مشروعاً . فقال في جواب أم المؤمنين عائشة : « .. وان أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء وليس للعباد خيرة في أمرهم .. » [4] وبنفس هذا الجواب أجاب معاوية عبد الله بن عمر أيضاً .

وقال صاحب البحر الزخار : « .. ثم حدث رأي المجبرة من معاوية وملوك بني مروان ، وعظمت فيها الفتنة » [5] .

وذكر أبو هلال العسكري : « ان معاوية أول من زعم ان الله يريد أفعال

(١) قال ذلك أحمد أمين ونسبه إلى بني أمية عامة في ضحى الاسلام ج ٣ ص ٨١ وكذلك قال غيره فراجع نظرية الامامة ص ٣٣٤
(٢) طبقات ابن سعد ج ٧ ص ١٢٢
(٣) فضل الاعتزال ص ١٤٤
(٤) الامامة والسياسة ص ١٨٣ و ١٨٧
(٥) الملل والنحل ص ٧ - وبهذا المعنى في طبقات المعتزلة ص ٦

العباد كلها » [1] .

وقد التفت وزير الخارجية الفرنسية « هانوتو » إلى عين النقطة التي جعلها معاوية دعامة ملكة – كما قال الله تعالى : « ان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » فكتب مقالا مطولا في كيفية استعمار بلاد المسلمين [2] .. وكان مما اعتمد عليه في خطته الاستعبادية الاستعمارية هو عقيدة المسلمين بالجبر ، فأشار اليها ، وإلى طرق أخرى ، مثل تفكيك الدين عن السياسة . وعلى هذه النكتة اعتمدت فرنسا في استعمارها للجزائر حيث كانت تتعمد هي وأبواق دعايتها تتعمد إذاعة عقيدة الجبر وإشاعتها بين الجزائريين فقد قال الزعبي :

« كما حدثنا تاريخ الجزائر ان ألسنة فرنسا المتكلمة بالعربية كانت تخيل للعامة ان الصابر على الإحتلال الفرنسي مقصود بقوله تعالى « ان الله مع الصابرين » [3] .

نعم .. ولقد رد الإمام الشيخ محمد عبده على الوزير الفرنسي بمقال طويل، ومما كان قاله له : « ان القول بالجبر قول طائفة ضئيلة انقرضت وغلب على المسلمين مذهب التوسط بين الجبر والاختيار وهو مذهب الجد والعمل الخ » .

وأقول : لعن الله « هانوتو » فقد ألجأ هذا الإمام الكبير إلى أن يظهر مايعلم خلافه من جمهور المسلمين حيث قال : « الجبر قد انقرض وغلب على المسلمين التوسط بين الجبر والاختيار » مع أنه هو نفسه كان ولا يزال المعلم الناصح للمسلمين – في تفسيره « المنار » وغيره – أن يرتدعوا عن القول بالجبر السائر فيهم .. وأما مذهب التوسط فهو لغير أهل السنة ، مشهور عن أئمة أهل البيت

(١) الأوائل للعسكري ج ٢ ص ١٢٥ .
(٢) تاريخ الشيخ محمد عبده ج ٢ ص ٢٣٤
(٣) رسالة : هل نحن مسيرون أم مخيرون ص ١١ .

عليهم السلام ، وكان يعتقد به الشيعة فقط ، وكلمة : « لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين » مشهورة عن الإمام الصادق عليه السلام في كتب السنة والشيعة جميعاً ، ولقد كان القول بسلب اختيار العباد ، وسلب التأثير عن العلل والأسباب . غاية التوحيد والعرفان عند أهل السنة إلى وقت قريب جداً، ولذا قال أحمد أمين : ان من الدائر على ألسنة الازهريين :

ومن يقل بالطبع أو بالعلة فذاك كفر عند أهل الملة

وقال الزبيدي في إتحاف السادة (وهو شرح لاحياء العلوم) :

« تنبيه : ثبت مما تقدم ان الإله هو الذي لا يمانعه شيء ، وان نسبة الأشياء اليه على السوية ، وبهذا بطل قول المجوس ، وكل من أثبت مؤثراً غير الله من علة أمر طبع أو ملك أو انس أو جن ، إذ دلالة التمانع تجري في الجميع، ولذلك لم يتوقف علماء ما وراء النهر في تكفير المعتزلة حيث جعلوا التأثير للإنسان »[1].

هذا .. وقد تقرب الإمام الأشعري إلى أهل السنة بنسبته فعل الشر إلى الله تعالى لما تاب عن الإعتزال فرقي يوم الجمعة كرسياً في المسجد الجامع بالبصرة ، ونادى بأعلى صوته : « من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي. أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن وان الله لا يرى بالأبصار وان أفعال الشر أنا أفعلها ، وأنا تائب مقلع معتقد للرد على المعتزلة مخرج بفضائحهم ومعايبهم » [2] .

وترى ببداهة الوجدان والعقل ان الانسان يدرك من نفسه أنه مختار في أعماله ، لو شاء فعل ، ولو شاء لم يفعل ، وعلى ذلك قامت الشرائع والتكاليف وبه استقام الوعد والوعيد ، وصح الثواب والعقاب [3] .

(١) ج ٢ ص ١٣٥ .
(٢) الفهرست لابن النديم ص ٢٥٧ .
(٣) نهج البلاغة ، ورسالة التوحيد للشيخ محمد عبده .

ولكن معاوية وبني مروان قد جابهوا كل ذلك بالرجوع إلى عقيدة المشركين واليهود باسم (القدر) فقد ذكر الزعبي في مصادر الجبر والقدرفي المسلمين أموراً جعل أولها المصدر اليهودي فقال : « الفريسيون من اليهود لا يرون للانسان إرادة ، ولا اختياراً ولا تأثيراً ولا جزءاً كسبياً ، ولذا لا يرونه جديراً بالمدح والثناء ، لأن الله فعل بيده !! [1] ونرى في المسلمين أن النسخة مطابقة للأصل.

وعلى كاهل هذه العقيدة أقاموا حكومتهم الغاشمة ، ولم يعدموا من القصاصين واتباع اليهود ، وأصحاب الأطماع ، من يختلق لهم أحاديث في هذا الموضوع ، عن رسول الله ﷺ ، فصارت بذلك من عمد عقائد السنة !!

تحكمات جائرة :

وكما أن أصل هذه العقيدة قائم على الجور والتعسف كذلك كل ما يرتبط ويتعلق بها ، فإنه مشحون بالجور والتعسف أيضاً .. وذلك كتسمية القدر هذا بالعدل !!

ثم يأتي لزوم الاعتقاد بأنه عدل ، ليكون بمثابة ضغث على إبّالة ،وأعجب من ذلك ان هؤلاء الجبرية القائلين بالقدر يسمون خصومهم المعتزلية بالقدرية مع أن المعتزلة قائلون بنفي القدر في الأفعال ، والجبرية – السلفية والأشاعرة – أولى وأجدر بهذا الاسم .

وأيضاً فإن ما يستدل به لهذه العقيدة مشتمل على هذا التحكم الجائر ، فقد روى ابن عمر قال : جاء رجل إلى أبي بكر فقال : أرأيت الزنا بقدر ؟ قال : نعم ، قال : فإن الله قدّره عليّ ثم يعذبني ؟! قال : نعم يا ابن اللخناء ،أما والله لو كان عندي إنسان أمرت أن يحأ أنفك » [2] .

---

(١) هل نحن مسيرون أم مخيرون ص ٢٦
(٢) تاريخ الخلفاء ص ٦٥

وهكذا فليكن الاحتجاج لهذا العدل السلفي !!

ابن تيمية : القدر يؤمن به ولايحتج به !!

وبذلك كله عرفت أن عقيدة القدر في الأفعال الاختيارية مخالفة للوجدان والفطرة والعقل ، إذ لو صح ذلك لكان القدر حجة لكل مذنب وكافرومشرك ولقبح العقاب مطلقاً على الذنوب ، ولكن ابن تيمية مع احتفاظه بالقدر السلفي أراد أن يجيب عن هذا فأتى بسلاح جديد من نوع التحكمات السابقة ، فكان غاية ما في مقدوره من التوجيه هو أنه منع عن الاحتجاج بالقدر شرعاً ، كما ادعى عدم جوازه عقلا ، وفطرة (يعني ولو صح القدر) فبعد أن قال : ان كل ما كان من المكونات ، من الذوات والأفعال والأعمال داخل في هذا الأمر (كن فيكون) قال : « وليس القدر حجة لابن آدم ولا عذراً ، بل القدر يؤمن به ولا يحتج به . والمحتج بالقدر فاسد العقل والدين متناقض ، فإن القدر إن كان حجة وعذراً لزم أن لا يلام أحد ولا يعاقب ولا يقتص منه .. وهذا (أي الاحتجاج بالقدر) أمر ممتنع في الطبيعة ، لا يمكن أحداً أن يفعله ، فهو ممتنع طبعاً محرم شرعاً .. ولما كان الاحتجاج بالقدر باطلاً في فطر الخلق وعقولهم، لم تذهب اليه أمة من الأمم ، ولا هو مذهب أحد من العقلاء .. » [1] .

والتحكم ظاهر في كلامه ، فإن العقلاء إنما لا يحتجون بالقدر ، لأنهم بفطرهم وعقولهم ينكرون هذا القدر السني في الأعمال والأفعال ويستنكرونه أما لو فرضناه صحيحاً ، وأنه مما يؤمن به ويتدين به – حسب ما يقول به أهل السنة عامة – فبأي وجه عقلي أو نقلي ، لا يصح الاحتجاج به ؟

ونحن نقول : نعم ان الاحتجاج بالقدر باطل بالطبع والفطرة والعقل ،

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ج ١ ص ٨٨ - ٩١

ولكنه دليل طبعي فطري عقلي على بطلان القدر السني في الأفعـــال ، لا على بطلان الاحتجاج به لو صح القدر .

ومجرد التصلب في القول ، والشتم والسب بأن « المحتج بالقدر فاسد العقل والدين متناقض .. » مردود عليه لوضوح ان العبد – لو صح القـدر السني – مجبر على كفره أو ذنبه ، والعقوبة مع عدم الإختيار قبيحة عقلاً فابن تيميـة بقبوله القدر ، وإنكاره صحة الاحتجاج به هو الفـاسد العقـل والدين ، وهو المتناقض ، وهو أول من أوجب عدم الاحتجاج بأمر صحيح .. وعليه إما أن أن يقول ببطلان القدر السني كسائر العقلاء ، وإما أن يقول بالقـدر ويلتزم بصحة الاحتجاج به ، كاحتجاج آدم على موسى عليهما السلام [1] ، وكاحتجـاج عمر على عمارة الأنصارية في وقعة حنين [2] ، وكاحتجاج أم المؤمنين عائشة (رض) لخروجها إلى وقعة الجمل كما ذكره الخطيب عن أبي قتادة حين ذكره قصة الخوارج بالنهروان وأنه حكاها لعائشة ، فقالت عائشة ما يمنعني ما بيني وبـين علي أن أقول الحق ، سمعت النبي ﷺ يقول : تفترق أمتي على فرقتين تمرق بينهما فرقة محلقون رؤوسهم ، محفون شواربهم أزرهم إلى انصاف سوقهم ، يقرؤون القرآن ، لا يتجـاوز تراقيهم ، يقتلهم أحبهم إليّ وأحبهم إلى الله ، قال : فقلت : يا أم المؤمنين فأنت تعلمين هذا ، فلم كان الذي منك ؟! قالت : يا قتادة ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، وللقدر أسباب .. » [3] .

ومثله ما رواه ابن سعد : « أنه قال عبد الله بن مطيع ، لعمر بن سعـد بن أبي وقاص (قاتل الحسين عليه السلام) : اخترت همدان والري على قتل ابن عمك.

---

(١) البخـــاري ج ٨ ص ١٥٧

(٢) مغازي الواقدي ص ٩٠٠

(٣) تاريخ بغداد ج ١ ص ١٦٠

فقال عمر : كانت أموراً قضيت من السماء ، وقد أعذرت إلى ابن عمي قبل الوقعة فأبى إلا ما أبى » [1] .

فنقول لابن تيمية : فهل كان كل هؤلاء المحتجين بالقدر فاسدي العقل والدين؟ ومن أين استخرجت حرمة الاحتجاج بالقدر، وقد احتج به الأنبياء والصحابة، والسلف الصالح ؟!! على ما في الصحاح والكتب المعتبرة عندك وعند من يعتقد بمذهبك ، ويقول بقولك ممن هم في الجهة المناوئة لعلي وأهل بيته الطاهرين ، وشيعته الأخيار المنتجبين..

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١١٠

تحريف القرآن

ولنعد إلى بعض ما طلع به علينا ذلك الكاتب ، الذي لا تكاد تخفى نواياه – بالنسبة إلى الاسلام والمسلمين – على أحد حيث كتب يقول :

« وحسبكم أن تعلموا أن من يسمون عندهم بالأعداء هم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان (رض) ، لتعلموا أي معول أتقنوا صنعه لهدم الاسلام من أساسه ، فإن أبا بكر هو أول من جمع .. الخ »

ونحن نقول له إن أمر حفظ القرآن من الضياع أعظم من كل ذلك ، فإن الله تعالى قد تكفل بحفظه وقال : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »[1] .

وقد كان النبي ﷺ يعلم القرآن سورة سورة لأصحابه جماعات ، زرافات ووحداناً .. وكان كتاب الوحي يكتبون القرآن بأمره ، صيانة له عن تطرق أدنى شك فيه ..

وإذا كان ﷺ سيد الحكماء ، قبل أن يكون سيد الأنبياء ..

وإذا كان قد أراد – وأراد الله قبله – أن يبقى القرآن محفوظاً إلى يوم القيامة ..

---

(١) الحجر : ٩ .

وإذا كان هو ﷺ معـــلم الكتاب والحكمة ، فعليه أن يستعمل حكمته العالية في الحفاظ على كتاب ربه – وهو أعز ما أتى به من عند ربه – من الضياع فلا يهمله في العسب والرقاع واللخاف المتفرقة [1] وفي صدور الرجال المتفرقين [2] ولا يجعل صحيفة منه تحت سرير زوجه فتأكلها داجن الحي [3] .

ولماذا أنزل علام الغيوب ما في هذه الصحيفة ؟ ! أفما كان يعـــلم ان نبيه سيهمله ويجعله تحت سرير زوجه لتأكلها داجن الحي ؟ !

وبعد هذا فكيف يصح أن يعلق هذا الأمر العظيم عـــلى عدالة أبي بكر وعمر ، وغيرهما . وتواتر القرآن أعلى واعظم من أن يرتبط ويعلق على عدالتهما وعدالة غيرهما .

وليس التشكيك في عدالة هؤلاء – على ما نسبه إلى الشيعة – تشكيكاً في صحة القرآن .. وما فعله عثمان (رض) هو فقط جمع السور وترتيبها على هذا النحو المتداول اليوم .. ولنعم ما فعل ، وشكر الله سعيه هذا ، ولقد شكره على ذلك ، واستصوب عمله هذا أمير المؤمنين علي عليه السلام .

وأما ما عدا ذلك .. فمن اختلاقات المرجئة الأولى ، وأصحاب الفضائل ، الذين لم تسمح نفوسهم بأن تكون لعثمان يد خدمة ليس لأبي بكر وعمر مثلها ...

نظرة الشيعة إلى القرآن :

ويقول كاتب مجلة الدعوة أيضاً : « بل إن ما يزعمون صدوره من الأئمة

---

(١) العسب يعني النخيل واللخاف هو الخزف والرقاع هي الأحجار الرقاق .
(٢) البخارى ج ٩ ص ٩٣ .
(٣) تأويل مختلف الحديث ص ٣١٠ .

من أحاديث زياده القرآن ونقصه ، هو أكبر شاهد على ذلك ، لأنها عندهم من المسلمات الأولية التي لا تقبل الجدل ، وبمعنى آخر : أنها أصح عندهم سنداً من القرآن ..) .

ونحن هنا لا بد لنا أولاً من أن ننبه على أمر يعتبر مـن مختصات الشيعة الامامية ، ولعله كان هناك في السابقين موافق لهم من غيرهم .. وهـو أمر يقبله الايمان بالقرآن ، والعقل السليم .

وهو : أنهم – اعني الامامـية – بعد اشتراطهم الصدق والوثوق في رواة الأحاديث ، لهم شرط آخر لا بد منه في الحكم بصحتها ، وهو أن « لا تخالف القرآن » .

فقد ثبت مستفيضاً عن رسول الله ﷺ [1] وعن أئمتنا عليهم السلام – الذين يفترض على الأمة جمعاء أن تأخذ عنهم كل أحـكام دينها ، حسبما صرحت به الأحاديث الكثيرة المتواترة ومنها حديث الثقلين – الذي ينقل الإجماع من أهل الحديث والسنة على صحته – نعم لقـد استفاض عنهم عليهم السلام في شأن الروايات الواردة عن رسول الله ﷺ وعنهم عليهم السلام : إن ما خالف قول ربنا لم نقله ، وقولهم أيضاً : ما خالف كتاب الله فذروه .. فدعوه .. زخرف .. باطل .. إضربوه عرض الحائط ..

وقال الامام علي بن الحسين عليه السلام في شأن القرآن :

« .. وميزان قسط لا يحيف عن الحق لسانه ، ونور هدى لا يطفأ عـن الشاهدين برهانه ، وعلم نجاة لا يضل من أمّ قصد سننه .. »

فالامامية على حسب هذه المستفيضات ، يزنون الأحاديث مهما بلغ من صحة

---

(١) كنز العمال ج ١ ص ١٦٠ و ١٧٥ و ١٧٦ .

اسانيدها بهذا الميزان ، فيعرضونها على الكتاب الكريم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، وعلى ذلك بنوا فقههم ، فضلاً عن عقائدهم ، فاشترطوا في العقائد شرطاً زائداً عما عند أهل السنة ، وهو أن تكون ثابتة على نحو القطع ، وبنحو يوجب العلم ثم أن تعرض على الكتاب الكريم ، وقد ذكروا ذلك وقرروه في باب تعارض الأخبار .

وبناء على هذه العقيدة قال شيخنا المفيد رحمه الله : « فصل – وكتاب الله تعالى مقدم على الأحاديث والروايات ، وإليه يتقاضى في صحيح الأخبار وسقيمها ؛ فما قضى به فهو الحق دون سواه » [1] .

وبملاحظة هذا الشرط – وهو العرض على كتاب الله – حصل تمايز واضح بين الشيعة واهل السنة ، سواء في العقائد ، أو في الفقه أو غير ذلك .. ونتيجة لذلك ، وحيث كانت الأحاديث عند الشيعة دائماً محلاً لنظر المجتهدين والفقهاء ، ومورداً لنقدهم تارة ، وتأييدهم اخرى ، لم يخلص للشيعة كتاب مفروغ عن صحته ، بجميع أحاديثه ، بحيث يختم عليه الختام [2] ويجعل بمثابة « جزءثان للقرآن العظيم » فلا يظن أحد أن الكتب الأربعة [3] عند الشيعة هي مثل الصحاح الستة عند غيرهم .. وليس « الكافي » عند الشيعة مثل صحيح البخاري عند أهل السنة ، نعم .. كان بين الشيعة فئة قليلة العدد يسمون بـ « الأخباريين » لهم غلو في تصحيح كل ما ورد في الكافي أو غيره .. ولكن هؤلاء لا يمثلون وجهة نظر الشيعة بشكل عام ..

---

(١) راجع كتاب « تصحيح الأعتقاد » للشيخ المفيد رحمه الله ص ١٣٠

(٢) عن قواعد التحديث للقاسمي ص ٢٥٠

(٣) وهي « الكافي » للكليني و « من لا يحضره الفقيه » للصدوق و « التهذيب » و « الاستبصار » للشيخ الطوسي . وهي أهم مراجع الحديث عند الأمامية ، ولكنهم لايسمونها الصحاح على الإطلاق .

قيمة القرآن .. عند غير الشيعة :

وأما الخطة الشائعة عند أهل السنة في العقائد والفقه فقد كانت وما زالت على خلاف ذلك ..

ولعل تسميتهم بـ « أهل الحديث » و « السنة » مشعرة بذلك .. فقد ذكر ابن قتيبة متكلم أهل السنة ، وغيره بالاسناد : « السنة قاضية على الكتاب ، وليس الكتاب بقاض على السنة .. » [1]

وذكر الامام الأشعري في جملة عقائد اهل الحديث ، وأهل السنة : « .. ان السنة لا تنسخ بالقرآن » [2] .. وإن السنة تنسخ القرآن وتقضي عليه ، وان القرآن لا ينسخ السنة ، ولا يقضي عليها .. » [3]

ومن هذه التعبيرات ، وأمثالها يعرف مقدار اعتبارهم للقرآن ومدى قيمته عندهم في مقابل الحديث والسنة ، وأنهم يقدمون السنة المأثورة على القرآن . رغم أنهم قد جعلوا القرآن شريكاً لله تعالى في القدم ، وعدم المخلوقية . ولكنهم في مقام التمسك والعمل جعلوه في المرتبة الثانية .. وقد نقل ابن عبد البر عن مكحول ، والأوزاعي ، أنهما قالا : « القرآن أحوج إلى السنة ، من السنة إلى القرآن .. » [4]

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص ١٩٩ ، وسنن الدارمي ج ١ ص ١٤٥

(٢) مقالات الاسلاميين ج١ ص ٣٢٤

(٣) مقالات الأسلاميين ج٢ ص ٢٥١ . وقد ذكرها بنفس العبارة ، ولم يسندها إلى الحديث والسنة . ولعل كلام الاشعري هنا ينظر إلى النسخ المصطلح بمعنى رفع الحكم .

(٤) جامع بيان العلم ج ٢ ص ٢٣٤

بل لقـــد قال عبد الرحمان بن مهدي : « الزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث ، يعني ما روي عنه ﷺ : أنه قال : مـــا أتاكم عني ، فاعرضوه على كتاب الله ، فإن وافق كتاب الله ؛ فأنا قلته ، وإن خالف كتاب الله فلم أقله ، وإنما أنا موافق كتاب الله وبه هداني الله . وهذه الالفاظ لا تصح عنه ﷺ عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه .. »[1] . ثم إنه ذكر عن قوم من أهـل العلم (أي أهل الحديث) : أن هذا الحديث نفسه مخالف لكتاب الله ، ونقل عنهم في وجهه كلاماً ضعيفاً موهونا . .

وقال أبو بكر البيهقي : «والحديث الذي روي في عرض الحديث على القرآن باطل لا يصح ، وهو ينعكس على نفسه بالبطلان ، فليس في القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن .. »[2]

وحول الحديث المأثور عنه ﷺ : « لا ألفين أحـــدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري ، مما أمرت به أو نهيت عنه ، فيقول : ما ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه . » قال الخطابي : « في الحديث دليل على ان لا حـــاجة بالحديث أن يعرض على الكتاب [3] وانه مهما ثبت عن رسول الله ﷺ شيء كان حجة بنفسه ، فأما ما رواه بعضهم : أنه قال : إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله ، فإن وافقه فخذوه ، فإنه حديث باطل لا أصل له .

وقد حكي زكريا الساجي ، عن يحيى بن معين : انه قال : هـــذا حديث وضعته الزنادقة [4] .. »

---

(١) جامع بيان العلم ج٢ ص٢٣٣

(٢) دلائل النبوة ج ١ ص ٢٦

(٣) لا نعرف كيف دل الحديث على ذلك !! ولو صح هذا لدل الحديث على عدم اشتراط أي شرط في الأخبار .

(٤) عون المعبود في شرح سنن أبي داود ط الهند ج٤ ص ٤٢٩

ولسنا هنا بصدد الرد على هذا الأصل من منهج أهـل الحديث ، وإثبات بطلانه وصحته منهج الشيعة في عرض الأحـاديث على الكتاب الكريم ، بل المقصود من هذا كله هو التعريف بمنهج أهل الحديث في مقابل القرآن ، وانهم يجعلون القرآن في المرتبة الثانية بالنسبة إلى الحديث ، وهذا بخلاف منهج الشيعة في الأخذ بالأحاديث ، ويزنون الحديث مهما بلغ من صحة السند بميزان لا يحيف عن الحق ، وهو الكتاب الكريم ، فيطرحون ما خالفه ، ولا يقيمون له وزناً . .

فما قاله كاتبنا من أن زيادة القرآن ونقصه عند الشيعة ، من المسلمات الأولية التي لا تقبل الجدل ، وبمعنى آخر : إنها - يعني أحاديث الشيعة - أصح عندهم سنداً من القرآن .. الخ هو كلام باطل من اساسه ، قـد افترى به على الشيعة بما هم منه برآء ، وكيف يصح ذلك ممن جعلوا مخالفة الأحاديث للقرآن دليلاً على بطلانها ؟ ، وعلى ذلك جروا في عقائدهم وفقههم ، حيث ان القرآن عندهم ميزان القسط ، ومعيار الحق .

صحاح اهل السنة دالة على التحريف

كما أن هذا الكاتب قد كذب لأهل الحديث - لا عليهم - ، وأخرجهم عما يقولون به من الزيادة والنقصان في القرآن ، حيث نسب إليهم القول بعـــدم التحريف ، وهم من هذا القول براء ، فان ما أثبتته الصحاح والكتب المعتبرة عندهم ، ومنها صحيح البخاري الذي يختم عليه الختمات يؤكد قولهم بالتحريف ، والزيادة والنقصان .. وقد ورد في رواياتهم عنه ﷺ حديث : أوتيت القرآن ومثله معه [1] وذكر البخاري ومسلم خطبة للخليفة بن الخطاب ، في شأن السقيفة ، جاء فيها :

« أما بعد ، فإني قائل لكم مقالة قد قدر لي أن أقولها ... إلى أن قال :

---

(١) سنن الدارمي .

فكان ممـــا أنزل الله آية الرجم ، فقرأناها وعقلناها ، ووعيناها ، فلذا رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان : أن يقول قائل: والله ، ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلّوا بترك فريضة أنزلها الله. والرجم في كتاب الله: حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحبل، أو الاعتراف. ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: أن لا ترغبوا عن آبائكم؛ فانه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم ، أو إن كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم .. الحديث .. [1]

وفي البخاري ايضاً : أن عمر قال : لولا أن يقول الناس : إن عمر زاد في كتاب الله لكتبت آية الرجم بيدي [2]

وآية الرجم هي على ما ذكر السيوطي بأسانيد عديدة ، كانت تعد من سورة الأحزاب الكبيرة : وأن زرّ بن حبيش قال : قال لي ابي بن كعب كأيّن تعد سورة الأحزاب ؟ قلت اثنتين وسبعين آية، قال : إن كانت لتعدل سورة البقرة، وإن كنا لنقرأ فيها آية الرجم . قلت : وما آية الرجم : قال : إذا زنى الشيخ والشيخة ، فارجموهما البتة نكالاً من الله ، والله عزيز حكيم [3] وذكروا أيضاً: أن زيد بن ثابت لم يكتب آية الرجم ، لأن عمر جاء بها وحده ، ولم يشهد معه آخر !! لكنه كتب آخر سورة براءة بشهادة خزيمة بن ثابت، لأن الرسول ﷺ جعل شهادته بشهادة رجلين !! [4]

---

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ١١٥ وج ٨ ص ٢٠٩ ، وصحيح مسلم ج ٥ ص ١١٦ ومسند أحمد ج ١ ص ٤٧ .. ولا بأس بمراجعة : سنن أبي داود باب الرجم من كتاب الحدود ج ٢ ص ٢٢٩ ، والترمذي باب الرجم ج ٦ ص ٢٠٤ ، وابن مـــاجة باب الرجم رقم ٢٥٥٣ ، والدارمي ج ٢ ص ١٧٩ وموطأ مالك ج ٣ ص ٤٢ ، وسند أحمد ج ١ ص ٤٧ و ٥٥

(٢) البخاري باب الشهادة تكون عند الحاكم في ولاية القضاء .

(٣) منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ٢ ص ٤٣ والاتقان ج ٢ ص ٢٥

(٤) الاتقان ج ١ ص ٥٨

وبالسند عن عائشة قالت : كانت سورة الاحزاب تقرأ في زمن النبي ﷺ مأتي آية ، فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر منها إلا ما هو الآن [1]

وبالسند عن أبي موسى الأشعري قال : نزلت سورة نحو براءة ، ثم رفعت ، وحفظ منها : إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم ، ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى وادياً ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب [2] .

وزاد في مسلم : «وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات، فأنسيتها غير اني حفظت منها: يا أيها الذين آمنوا لم تقولوا ما لا تفعلون ، فتكتب شهادة في اعناقكم ، فتسألون عنها يوم القيامة » [3] .

وفي مستدرك الحاكم ذكر هذه الرواية بزيادات مضحكة ، وذكر غيرها من الروايات المشتملة على الآيات المضحكة أيضاً ؛ فراجعه .

وحديث عائشة في آية الرضاع معروف ، يستدل به الفقهاء ، وقد أخرجه مسلم ، وغيرهم . قالت : « كان فيما نزل من القرآن : عشر رضعات معلومات، ثم نسخن بخمس معلومات ؛ فتوفي رسول الله ﷺ وهي مما يقرأ من القرآن [4]

فأين هذا الناسخ ، وأين هذا المنسوخ ، في هذا القرآن الموجود ؟!

كما أن من هذا القرآن المبدل المحرف عند اهـل الحديث سورتا الخلع والحفد

---

(١) الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ٢٥

(٢) راجع : صحيح المسلم ج ٣ ص ١٠٠ والاتقان ج ٢ ص ٢٥ عن ابن أبي حاتم .

(٣) صحيح المسلم ج ٣ ص ١٠٠

(٤) صحيح مسلم طبع شكول ج ٤ ص ١٦٧ ، وسنن أبي داود ج ١ ص ٢٧٩، كتاب النكاح تحريم الرضاع ، وسنن ابن ماجه رقم ١٩٤٤ ، والدارمي ج ١ ص ١٥٧ ، وموطأ مالك ج ٢ ص ١١٨ ، وسنن النسائي ج ٢ ص ٨٢

يقول السيوطي إنه قد روى بطرق عديدة : انهما كانتا في مصحف ابن عباس (رض) [1]

وعن الزهري : أنه بلغه : أنه كان انزل قرآن كثير ، فقتل علماؤه يوم اليمامة ، الذين كانوا قد وعوه ، ولم يعلم بعدهم ولم يكتب [2]

وهناك الآيات القرآنية التي اكلتها الشاة .

ولابن قتيبة – متكلم أهل السنة – في اثبات هذه القصة كلام طويل [3] إلى غير ذلك من التافهات والمخزيات ، التي أوردها أهل الحديث في صحاحهم.

وأما زيادة كلمة أو جملة في الآيات ، فلعل المتتبع يجد فيها في الصحاح الشيء الكثير مثل ما رواه البخاري عن ابن عباس (رض) قال : لما نزلت وانذر عشيرتك الأقربين ورهطك منهم المخلصين » [4].

وليس مثل اهل الحديث في اختلاقهم على الشيعة ، وافترائهم عليهم بما يقولون هم أنفسهم به ، إلا كما قال الشاعر :

يشتمني ثم اسمى شاتماً يظلمني ثم اسمى ظالماً

وهذا من اوضح مصاديق المثل المعروف « رمتني بدائها وانسلت » .

فالقائل بالتحريف أولاً هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، ثم أم المؤمنين عائشة ، وذلك قبل وجود الشيعة على زعمك يا كاتبنا !!..

(١) الاتقان ج ٢ ص ٢٦
(٢) منتخب كنز العمال هامش السند ج ٢ ص ٥٠
(٣) تأويل مختلف الحديث ص ٢١٠
(٤) صحيح البخاري ج ٦ ص ٢٢١

الرجل الذي أغتر باحاديث أهل السنة :

نعم قد جمع أحد أهل الحديث من الشيعة أحاديث مختلفة في ذلك ، في كتاب سماه : « فصل الكتاب في تحريف كتاب رب الأرباب » .

وذلك لأنه قد اغتر بروايات أهل الحديث والسنة وتواريخهم التي تحكي لنا كيفية جمع القرآن، وطائفة كثيرة اخرى أوردوها عنهم في اختلاف القراءات .. فضم إليها روايات منسوبة إلى أهل البيت عليهم السلام ؛

ولكن كثيراً منها لا يدل على ما توهمه ، بل هو ادراج كلمة أو جملة يظهر منها أنها زيدت للتفسير ، ومعظمها مما يدل على النقصان ، أو الزيادة أخذه من كتابين :

أحدهما لمؤلف مجهول ..

وثانيهما : كتاب القراءات ، لأبي عبدالله الكاتب السياري، وهو من كتّاب آل طاهر ، وقد ضعفه علماء الجرح والتعديل من الامامية بكلمات قاسية ، كقولهم فيه : ضعيف ، منحرف ، غالٍ ، كذاب ، متهالك . نعم لقد أغتر مؤلف هذا الكتاب بالروايات الواردة في اصح الكتب عند اهل السنة أكثر من اغتراره بالروايات الشيعية التي لا بد وان تخضع كلها عندهم للبحث والتمحيص ، والعرض على الكتاب على حسب أصول الشيعة ، فجمع كتابه من صحاح السنة ورواياتهم ، ومن الكتابين المذكورين ، وبعض روايات أخرى .

ولعمري .. لو كان جمع القرآن على النحو الذي ترويه لنا صحاح السنة – من أنه كان بشهادة شاهدين ، وعلى ما صح عن الخليفة عمر بن الخطاب وأم المؤمنين عائشة – لكان القول بالتحريف – والعياذ بالله – في غاية المتانة لا مرد له طبعاً وقهراً .

وعلى كل حال .. فإن علماء المذهب قد انكروا على هذا المحدث عمله هذا ، بل نقل أنه رجع عن هذا الرأي الذي أبدعه في الشيعة ، وعـدا عن ذلك فإن عمله هذا لا يصحح إلصاق ما جاء به بمذهب الشيعة ، فليكن هذا مثل من أفتى في الآونة الأخيرة – وهو الشيخ محمـــد بخيت – بسقوط صوم شهر رمضان عن العمال .

ومثل قول الشيخ عبد الرازق بخروج مسألة الخلافة والحكومة من المسائل الدينية .. إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التي يجدهـا المتتبع ، ولا مجـال لذكرها هنا .

فإذا كان لا يؤخذ مذهب أهل السنة بقول هذا المفتي ، وذاك الرأي من الواحد ، فكذلك لا يحسب قول هذا المحدث قولاً للشيعة ، ولا يؤاخذون به.

ومن العجيب والمؤسف ان مؤلف كتـاب (فصل الخطاب) ينسب القول بالتحريف إلى الفقيه المتكلم الأقدم ، الفضل بن شاذان المتوفى سنة ٢٦٠ هجرية في كتاب « الإيضاح » .

وقد طبع كتاب الأيضاح أخـيراً فرأينا أنه قد عقد فيـه بابـاً للرد على المرجئة ، وأهل الحديث ، وحمل عليهم حمـلة شعواء لقولهم بنقصان القرآن ، ولما ذكروه في كيفية جمعه ، وأنه – عندهم – بشهادة شاهدين مما يعني ان القول بالتحريف هو من مختصات المرجئة ، وأهل الحديث ، والقول بعدم التحريف هو قول الشيعة الامامية .

ولكن المحدث النوري عفى الله عنه ينسب القول بالتحريف إلى كتاب الايضاح للفضل بن شاذان ، ذاهلاً عن حقيقة الحال ..

ولنعد الآن إلى استعراض سائر ما ذكره ذلك الـكاتب فنقول :

التجسيم .. والتشبيه

التجسيم عند السلفية وأهل السنة

ثم طرح ذلك الكاتب مسألة أخرى حيث اعتبر « تعطيل الصفات وتأويل الآيات .. » من جملة المطاعن على الشيعة .

ونحن نقول هنا بايجاز : إن مسألة الصفات في اصطلاح الحنـــابلة ، وأهل الحديث هي ما تسميه الفرق الأخرى بـ « التشبيه » و « التجسيم » .

فالحنابلة يقولون : ان لله تبارك وتعالى – عما يقولون علواً كبيراً . . – وجهاً (صورة) وعينين ، وكفاً وأصابع وقدمين ، ونفساً ، ونفساً وساقين، وغير ذلك مما وردت فيه أحاديثهم .

ينسبون كل تلك الصفات إلى الله تعالى ، بمعانيها الحقيقية ، ويقولون انه فوق عرشه بذاته ، في السماء السابعة ، مباين لخلقه بحد وينزل – كما نزل ابن تيمية عن المنبر – كل ليلة إلى السماء الدنيا – .

ويسمون هذه الأعضاء والأجزاء والحركات صفـــات . ويسمون أنفسهم « صفاتية ، وأهل الاثبات » ويسمون من ينكرها ، أويؤولها من المعتزلة والشيعة والأشاعرة « معطلة ، ونفاة » ، وإذا أرادوا المبالغة في التنفير عنهم يسمونهم « جهمية » .

وهذه المسألة هي غير مسألة صفات العلم ، والارادة ، والقدرة ، وغيرها . . التي يثبتها الأشاعرة زائدة على الذات المقدسة .

والأشاعرة في مسألة الصفات (أي إثبات الأعضاء والحركات) هم من أهل التنزيه ، ويخالفون أهل الحديث فيها إلا في مسألة رؤية الله تعالى في الآخرة .

عقيدة التشبيه دخيلة على الاسلام :

وعقيدة التشبيه ، أو عقيدة الصفات حسبما يسميها أهل الحديث ، والحنابلة كانت – كأختها عقيدة الجبر – موجودة في عرب الجاهليـــة قبل الإسلام .. وسبب ظهورها فيهم هو :

أولا : أصنامهم التي كانوا يعبدونها ، فإنهم وإن كانوا يجعلون الله تعـالى أعلى من أصنامهم إلا أنهم يعطونه نفس صفاتها ، على ما هو متوقع من أمة أميين، لا يفقهون ولا يعقلون .

وثانياً : بسبب تأثير اليهود ودينهم ، وثقافتهم فيهم ، إذ قـــد انتشرت اليهودية قبل ظهور الإسلام في جزيرة العرب بقرون .. حيث كان منهم قبائل في يثرب (المدينة المنورة) وحواليها ، إذ كان بالقرب منهـــا يهود خيبر وبني قريظة ، وبني قينقاع وبني النضير ، ولهم ملوك في اليمن ، وجماعات في تـيماء ووادي القرى [1] .

وثالثاً : أضف إلى ذلك عقيدة نصارى العرب أيضاً في المسيح ، والتي هي في الحقيقه شعبة من اليهودية ، ولهم غلو أكثر من اليهود في تشبيه المسيح عليه السلام بالله ، وأنه ثالث ثلاثة ، أو جعله هو نفس الله تبارك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً . وهم يقيمون مع ملوكهم في الحيرة والشام ، وأكثر جماعتهم في نجران .. [2] .

وعليه فتكون النتيجة هي أن الصورة تكون قد اكتملت باتفاق المشركين،

---

(١) فجر الاسلام ص ٢٤
(٢) فجر الاسلام ص ٢٦

والنصارى واليهود على التشبية وجاء هؤلاء وأخذوا منهم واعتنقوا مبدأهم !!

قال الشهرستاني : «..ولقد كان التشبيه صرفاً خالصاً في اليهود، لا في كلهم بل في القرائين منهم ، إذ وجدوا في التوراة ألفاظاً كثيرة تدل على ذلك » [1] .

وقال أيضاً في أخبار التشبيه التي تداولها أهل الحديث : « .. وزادوا في الأخبـار أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى النبي ﷺ ، وأكـثرها مقتبسة من اليهود ، فإن التشبيـــه فيهم طباع ، حتى قالوا : اشتكت عيناه ، فعادتـــه الملائكة » [2] .

وبعد أن ذكر ابن خلدون في المقدمة : أن أحاديث التفسير مشتملة على الغث والسمين قال : « .. والسبب في ذلك ان العرب لم يكونوا أهل كتـاب ، ولا علم ، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية ، وإذا تشوفوا إلى معرفة شيء مما تشوف اليه النفوس البشرية في أسباب المكونات ، وبدء الخليقـة ، وأسرار الوجود ، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم . وهم أهـل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى . مثل كعب الأحبـــار ، ووهب بن منبه ، وعبد الله بن سلام وأمثالهم [3] .

وخلاصة الأمر : إنه اختلاط العرب باليهود، ومجاورتهم للنصارى، ثم ما كانوا عليه من الوثنية ، كل ذلك كان سبباً في ترسيخ عقيدة التجسيم فيهم ، وتمكن في أذهانهم هذا النحو من التصور للإله ، الذي يجعله اليهود لإلههم « يهوه » ، فجعله العرب لـ « الله » . وبهذا فقد سيطرت أفكار اليهود وعقليتهم في الله تعـالى ، وصفاته على عقول العرب..

---

(١) الملل والنحل ص ٩٣
(٢) الملل والنحل ص ١٠٦
(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤١٥ ط بيروت .

هذا كله قبل الإسلام..

وأما بعد الإسلام ، فقد بقي العرب يثقون بأهل الكتـــاب ، ويطمئنون اليهم ، وخصوصاً من أسلم منهم .. ولعل ذلك يرجع إلى أنهم رأوا الكتـاب الكريم يستشهد في موارد عديـــدة بكتب أهل الكتاب، ويتعرض لقصصهم وأنبيائهم .. وقد فاتهم : أن القرآن إنما وقف موقف المراقب المؤاخذ، يصحح بعض ما يقولون ، ويبطل بعضاً ، ويقبل بعضه ، ويرد البعض الآخر ، وقدقال تعالى : « إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذين هم فيه يختلفون»[1] وجعل كتابه مهيمناً[2] على الكتب السالفـة وحكماً عـدلاً ، وقولا فصلاً في المأثورات الشائعة في أهل الكتاب ، تصحيحاً لبعض وإبطالا لآخر ..

وهذا في الحقيقة هو أحد وجوه الإعجاز الخالدة للقرآن الكريم ، وبه يعلم صدقه ، وصدق النبي الأكرم ﷺ ، واتصاله بما وراء هذه الطبيعة ، بالله خالق الكون والحياة ، وإلا فكيف استطاع رجل أمي ، لم يقرأ كتاباً ولارأى معلماً، وإنما نشأ وعاش دهراً وعمراً ، في أمة من الأميين ، لم يظهر منه ولا تكلم فيهم بشيء .. كيف استطاع هذا الرجل أن يأخذ على عاتقه مسؤولية رقابة عظيمة، ودقيقة ، يتحدى بها أمة ذات ثقافة عريقة ، ولها تعاليم وكتب كثيرة .

تأثر المسلمين بأهل الكتاب :

ولكن ما يؤسف له هو أن المسلمين لم ينظروا إلى أهل الكتاب، وإسرائيلياتهم بنفس الطريقة التي نظر على أساسها القرآن اليها واليهم .. إذ نلاحظ أنه بعد وفاة النبي ﷺ وإن كان أهل الكتاب حينئذ قـد أصبحوا مقهورين في جزيرة العرب سياسياً ، واجتماعياً ، إلا أنهم قد احتفظوا بهيمنتهم الثقافية على العرب

---

(١) النمل ٧٦
(٢) المائدة ٤٨

المسلمين ، فكانت منقولات أهل الكتاب ، وعقائدهم موضع عناية كبرى من قبل الصحابة ، وبالأخص من قبل الخليفتين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان (رض) فقد اعتنى عمر بكعب الأحبار اليهودي حين أسلم في سنة ١٧ هـ . بما لا يقـاس بما كان يفعله بمثل أبي ذر الغفاري ، وعبد الله بن مسعود ، (رض) ، حيث نهاهما وغيرهما من الصحابة عن التحديث عن رسول الله ﷺ وكان يكره أن يكون الحديث عن رسول الله ﷺ ظاهراً[1] لكنه فتح البـاب أمام كعب الأحبار على مصراعيه ، كما أنه قد سمح لتميم الداري النصراني أن يقص في المسجد (وتميم هذا هو صاحب حديث الجساسة المعروف) .

وقال ابن كثير : « لما أسلم كعب في الدولة العمرية ، جعل يحدث عمر رضي الله عنه ، فربما استمع له عمر ، فترخص في استماع ما عنده من غث وسمين »[2] وهذا في نفس الوقت الذي كان يشدد فيه عمر في التحديث عن رسول الله ﷺ .

واكتسب كعب الأحبار جاهاً كبيراً في عهد الخليفة عثمان ، فكان يفتي في مجلسه بما يرضي الخليفة في المسألة التي أقلقت البلاد الإسلامية (مسألة الأموال) وأنكر عليه أبو ذر ذلك إنكاراً شديداً ، حتى ضربه بعصاه مرة في صدره ، وأخرى على رأسه قائلاً له :

« ما أجرأك يا بن اليهودي على القول في ديننا »[3] .

ثم ارتحل كعب الأحبار إلى مكان أكثر أمناً – وفي نفس الوقت أكثر خصباً لما ينشره من الإسرائيليات – إذ بعد أن رأى هذا اليهودي الماكر أن المدينـــة المنورة مجمع لصحابة رسول الله ﷺ فلربما ابتلي ثالثة ورابعة بمثل عصا أبي ذر،

---

(١) السنة قبل التدوين ص ١١٥
(٢) الأضواء ص ١٤٤ عن تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٧
(٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٢٨

وكلماته الجارحة ، المنبهة للمسلمين إلى حقيقة ما يراد بهم .. ذهب إلى الشام في عهد عثمان إلى معاوية ، ليتنبأ لصاحب البغلة الشهباء ، ويطمعه في تنبآته تلك في الخلافة ، والملك والخروج على الخلافة الشرعية ، ويسهل له التفريق بين جماعة المسلمين ، وأيضاً ليثبت العقائد اليهودية ، من الجبر والتشبيه فيهم . وكافأه معاوية على عمله هذا بما ذكره ابن كثير ، « فاستصفاه من بين جميع الناس ، وصحابة رسول الله ﷺ لكثرة علمه .. » !!

أهل الكتاب يؤكدون هيمنتهم :

ويظهر مما رواه كعب الأحبار ، وتميم الداري ، وأشباههما ، للمسلمين أنهم كانوا من ناحية يحاولون إظهار سخافاتهم ، وتوراتهم المحرفة بمظهر عظيم أمام المسلمين ، ويضفون عليها هالة من التقديس والتكريم .

ومن ناحية أخرى يرشون المسلمين والعرب ، والخلفاء ببعض أقوالهم ، فقد قال كعب في مقام تعظيم التوراة بنظر المسلمين : « ما من شيء إلاوهو مكتوب في التوراة »[1] .

وقال عمر (رض) لكعب – وقد ذكر الشعر – : يا كعب ، هل تجد للشعر ذكراً في التوراة ؟

فقال كعب : « أجد في التوراة قوماً من ولد إسماعيلهم ، أناجيلهم في صدورهم ، ينطقون بالحكمة ، ويضربون الأمثال ، لا نعلمهم إلا العرب »[2] .

وقالوا : إن صفة النبي في التوراة في السطر الأول : « محمد رسول الله ،

(١) الأضواء ص ١٤٠
(٢) العمدة لابن رشيق ص ٨

عبده المختار ، لافظّ ولا غليظ ، مولده بمكة ، ومهاجره طيبة ، وملكه بالشام »[1] .

وفي السطر الثاني : « محمد رسول الله ، أمته الحامدون .. »[2] .

قال الشيخ محمود أبو رية رحمه الله : تخصص الملك بالشام في قول كعب (إذ رواية غيره خالية عن هذه الزيادة) إنما جاء لغرض سياسي خطير .. »[3] .

وقال ابن شهاب : « وبلغنا أن أهل الكتاب أول من قال لعمر : «الفاروق» وكان المسلمون يأثرون ذلك من قولهم ، ولم يبلغنا أن رسول الله ﷺ ذكر من ذلك شيئاً ، ولم يبلغنا أن ابن عمر قال ذلك إلا لعمر فيما يذكر من مناقب عمر الصالحة .. »[4] .

ويظهر من رواية للطبري : أن الذي سماه بالفاروق هو كعب الأحبارنفسه ، ولكنه يذكر رواية أخرى مفادها أن الذي سماه بهذا الإسم هو رسول الله ﷺ[5] .

ولكن القصة التي تذكر سبباً لتسميته ﷺ بالفاروق لا تصح بأي وجه ، وقد ناقشها بعض الاخوان : « ما هو الصحيح في سيرة النبي ﷺ » ، وأثبت كذبها بما لا مدفع له فراجع .

(١) الأضواء ص ١٤٣ عن الدارمي .
(٢) الأضواء ص ١٤٣ عن الدارمي
(٣) الأضواء ص ١٤٣ و ص ١٦٠ تحت عنوان (اليد اليهودية في تفضيل الشام) .
(٤) طبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١٩٣ . وليراجع تاريخ الطبري حوادث سنة ٢٣ ، وتاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٣٠
(٥) راجع سيرة عمر في تاريخ الطبري حوادث سنة ٢٣ هـ .

الأمويون والاسرائيليات :

ومن الطريف أن نذكر هنا أننا نجد أنه كلما كان الراوي ألصق بمعاوية والعرش الأموي ، فإن روايته للاسرائيليات تكون أكثر .. فعبد الله بن عمرو ابن العاص هو ابن الوزير المعاون لمعاوية ، والشاهر لسيفه على عليّ في صفين ، والحاكم بعد أبيه على مصر . — عبد الله هذا — هو التلميذ المكثر للرواية عن كعب الأحبار . وهو القائل أنه وجد زاملتين في اليرموك من كتب أهل الكتاب، حتى شهر بذلك ، وصاروا يقولون له : لا تحدثنا عن الزاملتين . كما هو معروف ومشهور .

وقال الكوثري فيه : « مكثر من الإسرائيليات ، وكان في الأصل أكثر حديثاً من أبي هريرة ، وقد زهد في الإكثار منه كبار التابعين ، لأسباب منها إكثاره من الإسرائيليات فقلّ حديثه »[1] .

وبعد عبد الله بن عمرو هذا يأتي أبو هريرة ، الذي كان يكثر من روايات التشبيه والتجسيم .

ويذكر أحمد أمين أن المنقولات عن وهب بن منبه ، وكعب الأحبار ، وعبد الله بن سلام ، عن التوراة والإنجيل ، وشروحهما كانت منبعاً من منابع التضخم[2] يعني تضخم الأحاديث ..

ولكنه لا يذكر أنه قد تبع ذلك تسرّب التشبيه ، وغيره من عقائد أهل الكتاب الباطلة إلى المسلمين من حيث يشعرون أو لا يشعرون ، ولذا كثرت الإسرائيليات في المسلمين .

---

(١) هامش الأسماء والصفات ص٣٢٦
(٢) ضحى الاسلام ج ٢ ص ١٣٩

والظاهر أن الاخذ عن اليهود والنصارى لم ينقطع بعد هؤلاء المذكورين ، فقد قال ابن حبان في مقاتل بن سليمان : « كان يأخذ من اليهود والنصارى ،من علم القرآن الذي يوافق كتبهم ، وكان يشبّه الرب بالمخلوقات، وكان يكذب في الحديث »[1] .

ومقاتل مبجّل معظّم عند أحمد بن حنبل ، وغيره من أهل الحديث .

تأويل أحاديث التشبيه :

ولكن الشيء المهم في هذه الاسرائيليات التي كثرت ، هو أنه لا يظهر من أسانيد كثير منها أنها من الاسرائيليات ، وإن كان في واقع الأمر منها ، مما أوجب أن تكثر أحاديث الصفات كثرة هائلة ..

وتدل قائمة الكتب التي ذكرها الكوثري في مقدمة كتاب «الأسماء والصفات للبيهقي » على هذه الكثرة بشكل واضح .

وقد اختار منها البيهقي الأحاديث الصحاح والحسان ، وعمد إلى تأويلها بالتكلف والتعسف ، في كتابه الآنف الذكر .. ومنه أيضاً يظهر كثرة تلك الأحاديث .

والحق ان ما قاله ابن مندة من أن « التأويل عند أصحاب الحديث فرع من التكذيب »[2] منطبق بشكل واضح على تأويلات البيهقي ، لأنها تأويلات بعيدة كل البعد عن هذه الأحاديث ، ولا تتمشى مع أصول اللغة والكلام .

---

(١) ميزان الاعتدال ج ٤ ص ١٧٣
(٢) التاج المكلل ص ١٦٤

الأمويون والاسرائيليات :

ومن الطريف أن نذكر هنا أننا نجد أنه كلما كان الراوي ألصق بمعاوية والعرش الأموي ، فإن روايته للاسرائيليات تكون أكثر .. فعبد الله بن عمرو ابن العاص هو ابن الوزير المعاون لمعاوية ، والشاهر لسيفه على عليّ في صفين ، والحاكم بعد أبيه على مصر . — عبد الله هذا — هو التلميذ المكثر للرواية عن كعب الأحبار . وهو القائل أنه وجد زاملتين في اليرموك من كتب أهل الكتاب، حتى شهر بذلك ، وصاروا يقولون له : لا تحدثنا عن الزاملتين . كما هو معروف ومشهور .

وقال الكوثري فيه : « مكثر من الإسرائيليات ، وكان في الأصل أكثر حديثاً من أبي هريرة ، وقد زهد في الإكثار منه كبار التابعين ، لأسباب منها إكثاره من الإسرائيليات فقلّ حديثه »[1] .

وبعد عبد الله بن عمرو هذا يأتي أبو هريرة ، الذي كان يكثر من روايات التشبيه والتجسيم .

ويذكر أحمد أمين أن المنقولات عن وهب بن منبه ، وكعب الأحبار ، وعبد الله بن سلام ، عن التوراة والإنجيل ، وشروحهما كانت منبعاً من منابع التضخم[2] يعني تضخم الأحاديث ..

ولكنه لا يذكر أنه قد تبع ذلك تسرّب التشبيه ، وغيره من عقائد أهل الكتاب الباطلة إلى المسلمين من حيث يشعرون أو لا يشعرون ، ولذا كثرت الإسرائيليات في المسلمين .

---

(١) هامش الأسماء والصفات ص٣٢٦
(٢) ضحى الاسلام ج ٢ ص ١٣٩

والظاهر أن الاخذ عن اليهود والنصارى لم ينقطع بعد هؤلاء المذكورين ، فقد قال ابن حبان في مقاتل بن سليمان : « كان يأخذ من اليهود والنصارى ،من علم القرآن الذي يوافق كتبهم ، وكان يشبّه الرب بالمخلوقات، وكان يكذب في الحديث »[1] .

ومقاتل مبجّل معظّم عند أحمد بن حنبل ، وغيره من أهل الحديث .

تأويل أحاديث التشبيه :

ولكن الشيء المهم في هذه الاسرائيليات التي كثرت ، هو أنه لا يظهر من أسانيد كثير منها أنها من الاسرائيليات ، وإن كان في واقع الأمر منها ، مما أوجب أن تكثر أحاديث الصفات كثرة هائلة ..

وتدل قائمة الكتب التي ذكرها الكوثري في مقدمة كتاب «الأسماء والصفات للبيهقي » على هذه الكثرة بشكل واضح .

وقد اختار منها البيهقي الأحاديث الصحاح والحسان ، وعمد إلى تأويلها بالتكلف والتعسف ، في كتابه الآنف الذكر .. ومنه أيضاً يظهر كثرة تلك الأحاديث .

والحق ان ما قاله ابن مندة من أن « التأويل عند أصحاب الحديث فرع من التكذيب »[2] منطبق بشكل واضح على تأويلات البيهقي ، لأنها تأويلات بعيدة كل البعد عن هذه الأحاديث ، ولا تتمشى مع أصول اللغة والكلام .

---

(١) ميزان الاعتدال ج ٤ ص ١٧٣
(٢) التاج المكلل ص ١٦٤

وهذه الأحاديث هي الأصل المعتمد في إثبات الصفات أعني التشبيه والتجسيم عند أهل الحديث .

وأما آيات الكتاب الدالة على التنزيه ، فهي على أصلهم الثابت عندهم تكون السنة قاضية عليها ، وكما قالوا : القرآن عندهم لا ينسخ السنة ، ولا يرفع اليد بدلالة القرآن عن السنة . هذا فضلاً عن الآيات التي استدلوا بها على التشبيه ، والتي سيأتي أنها ظاهرة في المعنى المجازي لا الحقيقي حسبما توهموه .

وقال ابن تيمية : « وقد جمع علماء الحديث من المنقول في الإثبات (أي في إثبات الصفات الجسمية له تعالى) ما لا يحصي عدده إلا رب السماوات [1] » .

التشبيه عند ابن خزيمة :

وحسب القارىء أن يلاحظ كتاب « التوحيد وإثبات صفات الرب » لابن خزيمة ؛ فقد ملأ كتابه من الروايات الصحاح !! الدالة على التشبيه والتجسيم !! وقد عقد فصولا للوجه واليدين ، وكل عضو عضو مما وردت فيه الروايات الصحاح عنده !! وهو يمدنا في كتابه هذا بنصائح كافية ، وإرشادات شافية ، يستنهض بها عقول ذوي الحجى !! فهو يقول : « .. وتعلموا بتوفيق الله إياكم : أن الحق والصواب والعدل ، في هذا الجنس مذهباً ، مذهب أهل الآثار ، ومبتغي السنن ، وتقفوا على جهل من يسميهم : « مشبهة » ؛ إذ الجهمية المعطلة جاهلون بالتشبيه . نحن نقول : الله جل وعلا له يدان ، كما أعلمنا الخالق البارىء في محكم تنزيله ، وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ .

ونقول : كلتا يدي ربنا عز وجل يمين ، على ما أخبر النبي ﷺ .

ونقول : (ثم يذكر قوة يد الله ، وأنه يقبض الأرض بإحديهما ، مع أن

---

(١) مجموعة الرسائل ج ١ ص ١٩٨

جميع بني آدم عاجزون عن جزء من أخذ قطعة واحدة من أرض واحدة من سبع أرضين) .. **فكيف يكون يا ذوي الحجى** من وصف يد خالقه بما بينا من القوة والأيد ، ووصف يد المخلوقين بالضعف والعجز مشبهاً يد الخالق بيد المخلوقين ؟! **أو كيف يكون مشبهاً** من يثبت لله أصابع على ما بيّنه النبي المصطفى صلى الله عليه للخالق الباري [1] » .

ويقول رداً على من استظهر المعنى المجازي من قوله تعالى : بل يداه مبسوطتان على اعتبار أن اليد بمعنى النعمة ، أو ان الجملة كناية عن تضاعف الإنعام ، أو ما هو بمعنى هذا يقول رداً عليه :

« أفلا يعقل أهل الايمان : أن الأرض جميعاً لا تكون قبضة إحدى نعمتيه يوم القيامة ، ولا إن السماوات مطوية بالنعمة الأخرى ؟ ألا يعقل ذووا الحجى من المؤمنين : أن هذه الدعوة التي يدعيها الجهمية جهل أو تجاهل شر من الجهل ، بل الأرض قبضة ربنا جل وعلا بإحدى يديه يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ، وهي اليد الأخرى ، وكلتا يدي ربنا يمين ، لا شمال فيها ، جل ربنا وعز عن أن تكون له يسار ، إذ إحدى اليدين يسار ، إنما تكون من علامات المخلوقين ، جل ربنا وعز عن شبه خلقه ، وافهم ما أقول من جهة اللغة » ..

أما نحن فنعترف بقصور عقولنا عن إدراك الفرق بينهما ، في كون إحدى اليدين يساراً من علامات المخلوقين ، دون كون الأخرى يميناً ، كما أنه لا يمكن لنا ولا لكل عاقل أن يمتثل أمر إمام الأئمة ابن خزيمة بقوله : « وافهم ما أقول من جهة اللغة » وأي لغة فيها هذا الفرق ؟ فسبحانك اللهم يا واهب العقل .

---

(١) التوحيد ص ٨٢ و ٨٦

ولا يشبع نزعة ابن خزيمة التشبيهية باب واحد لإثبات وجه الله ، فيذكر باباً آخر لإثبات الصورة أيضاً .. فراجع توحيده ص ١٠ و ١٩ .

وقال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى : « ليس كمثله شيء : « واعلم ان محمد بن اسحاق بن خزيمة أورد استدلال أصحابنا بهذه الآية في الكتاب الذي سماه بالتوحيد ، وهو في الحقيقة كتاب الشرك ، واعترض عليه . وأنا أذكر حاصل كلامه ، بعد حذف التطويل ؛ لأنه كان رجلا مضطرب الكلام ، قليل الفهم ، ناقص العقل .. »[1] .

ونحن نقول : ولكن ما ذنب ابن خزيمة ، الذي يرى هذه الكثرة الكاثرة من الروايات في الصحاح المعتبرة وغيرها .. ويلتزم بما تقدم من العمل بالروايات – مهما كانت مناقضة للقرآن ، ومنافرة له – على حسب أصول السنة والحديث القاضية بقضاء وحاكمية السنة على الكتاب .

وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصحبينا

الزيادة البشعة :

ومما يدل على غلبة نزعة التشبيه والتجسيم على أهل الحديث ، زيادة زادوها في حديث صريح في التنزيه ، حيث زادوا فيه ما يدل على أبشع التشبيه ، فروى البخاري قال :

جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب فقال : يا أبا القاسم ان الله يمسك السماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع والشجر والثرى على إصبع ، والخلائق على إصبع ، ثم يقول : أنا الملك ، أنا الملك ، فرأيت النبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ثم قرأ وما

(١) تفسير الفخر الرازي ج ٢٧ ص ٥٠

قدروا الله حق قدره »[1] .

ولعمري إنه لمنظر بديع ، اختلقه عقل سخيف ، أن نرى خالق الكون يلعب بخلقه ، ويأنس بمخلوقاته المتناهية في الصغر بالنسبة إلى حجمه الكبير (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً) ، ويرقصهم على رؤوس أصابعه على إيقاع : أنا الملك ، أنا الملك .

فماذا يمكن أن نتوقع من الرسول الكريم – وإنه لعلى خلق عظيم – إلا أن يضحك على عقلية هذا اليهودي ، ومن هو على مثل رأيه ، ثم يرد عليه بآية من كتاب الله تعالى حيث قرأ قوله تعالى : « وما قدروا الله حق قدره » ..

وواضح ان المقصود بقراءة هذه الآية هو بيان ان الله أعلى وأجل من هذه التوهمات اليهودية ، والسخافات الوثنية ، وان قوله تعالى : « وما قدروا الله حق قدره » يصدق على هذا القائل وينطبق عليه .

ولكن أهل الحديث المشبعين بروح التشبيه اليهودية ، الذين أخذوا مذهبهم من ذلك المنبع الصافي !! قد رووا هذا الحديث بعينه ، ولكن بالصورة الآتية ، ليظهروا لكل أحد أن قولهم وعقليتهم هي نفس عقلية وقول اليهود ، وانهم نعم التلاميذ الأوفياء لأساتذتهم ، الشاكرون لهم ، التاركون كتاب ربهم ، وأقوال نبيهم وراء ظهورهم ، إرضاء لخواطر أسيادهم ، وتزلفاً لهم .. نعم لقد رووا هذا الحديث بزيادة ذكرها البخاري في الصحيح ، ففيه جاء حبر من اليهود ، فقال : إنه إذا كان يوم القيامة جعل الله السماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، والخلائق على إصبع . ثم يهزهن ، ثم

(١) البخاري ج ٩ ص ١٥١ . وفي هذه الرواية – كما ترى – يلاحظ ان إحدى الأصابع فارغة ، ولكنه في الرواية السابقة عليها شغلها بالجبال ولفظه : ان يهودياً جاء إلى النبي (ص) فقال يا محمد . . الخ

يقول : أنا الملك ، أنا الملك . فلقد رأيته ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه تعجباً ، وتصديقاً لقوله ، ثم قال النبي ﷺ : وما قدروا الله حق قدره ... إلى قوله : يشركون [1].

فزادوا فيما زادوا على الحديث عبارة : « تعجباً وتصديقاً لقوله » فنقلب مفاد الحديث الشريف من التنزيه إلى التشبيه ، وهكذا فقد ساروا على طريقة أساتذتهم (اليهود) في تحريفهم الكلم عن مواضعه .

ولكنهم .. مع زيادتهم المذكورة في الحديث لم يفهموا بالتالي أن استشهاده ﷺ بالآية إبطال لزعم ذلك اليهودي ، ومن يقول بقوله وأنهم بقولهم هذا ما قدروا الله حق قدره ..

وليس لنا عند نقل هذه السخافات اليهودية إلا اتباع سنته ﷺ فنضحك على هذه العقيدة ، وهذه العقلية كما ضحك ﷺ ..

وبعد هذا .. أوليس من حق طالب الحق أن يحكم حكماً قطعياً : بأن هذا التوحيد الذي يقول به هؤلاء ويدعون اليه باسم السنة الصحيحة ، وقول السلف الصالح – مثل توحيد ابن خزيمة – أليس هو – نفس التوحيد الذي قال به اليهود في عصر النبي ﷺ لا التوحيد الذي جاء به القرآن ، ورسول الإسلام ، الذي يرد عليه ﷺ بما في كتاب الله العزيز : وما قدروا الله حق قدره ..

وهكذا .. فإن هذه هي إحدى الموارد التي قضي فيها بالسنة (السنة اليهودية ، لا السنة المحمدية) على الكتاب ، لأنهم يرون أن الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب ، وعقيدتهم – على ما ذكره الأشعري – : أن السنة لا تنسخ بالقرآن [2] ، فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم في أعز ما أتى

---

(١) صحيح البخاري ج ٩ ص ١٨١

(٢) مقالات الاسلاميين للاشعري ج ١ ص ٣٢٤ في عقائد أهل الحديث .

به الكتاب الكريم ، وهو التوحيد واشتروا به ثمناً مخزياً فاضحاً ، فبئس ما يشترون ..

ولعل علم النبي ﷺ بانحراف هذه الفئة عن الكتاب العزيز هو السر في زيادة همه وغمه وشكواه إلى الله تعالى ، حيث قال كما حكى الله عنه : « وقال الرسول : يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً [1] » .

الله والمشاق التي يتحملها :

ولا بد ها هنا من أن ننبه القارىء إلى المشاق العظيمة ، والجسيمة التي يتحملها إله هؤلاء المشبهة المجسمة بنزوله إلى السماء الدنيا في كل ليلة ، حسب لروايات الصحاح عندهم .. وذلك حيث يضطر إلى تصغير حجم نفسه !! بشكل يفوق حد الافتراض والتصور .

وذلك لأن هذا الحجم العظيم الذي تكون السموات العلى ، والأرض كلها على رأس إصبع من أصابعه ، لا بد وأن يتقلص كل ليلة حتى يصير بحسب النسبة أصغر من رأس إبرة بالنسبة إلى حجم الإنسان مثلاً .. وينزل إلى السماء الدنيا ، ويصبح هل من تائب ؟ .. ثم عند طلوع الفجر يرجع إلى حجمه الأول ..

ومن يدري فلعل جسم إله هؤلاء المجسمة هو من جنس البلاستيك الألوهي ، أو لعله من أرقى أنواع الاسفنج !! تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ..

---

(١) الفرقان ـ ٣٠

عقائد اليهود والنصارى تظهر في آخر الحديث

العقائد اليهودية

وكيف كان فقد صارت جملة من عقائد أهل الكتاب من الخصائص المذهبية لأهل الحديث ، ومن الشعائر الدينية لهـــم ، واسرائيليات اليهود ، وحكايات النصرانية تشكل ثقافة أهل الحديث ، وتأثيرات اليهود في عقائد أهل الحديث والسنة واضحة لائحة ، ومن أعظمها :

١ً – عقيدة التشبيه والتجسيم : فإن فيها أحاديث كثيرة منسوبة إلى رسول الله ﷺ ، لا يحصي عددها الا رب السماوات ، على ما قاله ابن تيمية حتى أن أهل الحديث ليقلبون الحديث الدال على التنزيه ، ليصبح دالا على أفظع التشبيه ، كما عرفت في حديث : أنا الملك ، أنا الملك ، وهذا يدلنا على مـدى رسوخ قدمهم في التشبيه .

٢ً – والحديث المعروف : خلق الله آدم على صورته ، هو الترجمة الحرفية لما في التوراة .

٣ً – والقول بأن لله حجم ، وأنه جالس على عرش كبير ، فوق السماوات ، مأخوذ من شعر أمـــية بن الصلت الثقفي ، الذي ترهّب في الجاهلية ، واتصل باليهود والنصارى ، يستشهد بشعره أهـل الحديث ، ويوردونه مكرراً ، وهو قوله :

مجدوا الله وهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيراً

بالنّباء الأعلى الذي سبق الناس وسوى فوق السماء سريراً
شرجعاً ما يناله بصر اله ين ترى دونه الملائك صوراً [1]

وشعره هذا يعتبر مخططاً كاملاً لتصورات أهـــل الحديث ، في صفات الله تعالى .

٤ً – ثم هناك تعظيم موسى عليه السلام بما يدل على أنه أفضل مـن رسول الله ﷺ ، فروى البخاري أنه ﷺ نهـى عن تفضيله على موسى [2] وموسى كان هو المرشد والهادي لمحمد ﷺ ، في تخفيف خمسين صلاة إلى خمس صلوات ،وأنه بعدما يصعق الناس كلهم يوم القيامة ، ويكون محمد ﷺ أول من يفيق ، فإذا به يرى موسى آخذاً بالعرش .. فيقول محمد ﷺ : فما أدري أكان موسى فيمن صعق (فأفاق قبلي) أو كان ممـن استثنى الله (أي لم يصعق موسى وان صعق محمد ﷺ) : وعلى أي حال فإن الفضل لموسى هنا على محمد ﷺ في كلا الحالتين .. كما أن موسى أعلم بالناس من محمد [3] وقوم موسى أقوى أبصاراً واسماعاً ، وقلوباً من أمة محمد ﷺ (مما يعتبر تصديقاً لما يدّعيه اليهود من أنهم شعب الله المختار) .

كل هل الأحاديث موجودة في صحيح البخاري [4] الذي هو أحد الوحيين حسب تعبيرهم ، وأثر اليهودية فيها واضح جلي .

٥ً – ثم القول بالجبر وان كان قد كان في المشركين ، إلا أن نسبة خلق

---

(١) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٦٧ و ٢٧٣ . والشرجع : الطويل ،والصور: مائلوا الأعناق .
(٢) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٣٤
(٣) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٣٤
(٤) صحيح البخاري ج ٩ ص ١٨٤ .

الأفعال إلى الله تعالى ، ثـم الغلو في القـدر ، حتى جعلوا الله محكوماً بقدره الأزلي القديم ، هو تماماً كما قالت اليهود يد الله مغلولة ، وقـد مضى بعض الكلام فية .

وقول أكثر المفسرين : بأن الله قد أمر ابراهيم بذبح اسحاق لا اسماعيل . إنما كان اعتماداً على الاسرائيليات .

كتابة الحديث :

بل إن من أعظم الآثام اليهودية في المسلمين ، هو عدم جواز كتابة أحاديث رسول الله ﷺ ففي التلمود – وهو عند اليهود مثل الأحاديث التي في صحاح بعض المسلمين – : أن الأمور التي تروى مشافهة ليس لك الحـق في اثباتها بالكتابة [1] .

ويلاحظ أن الحديث الذي أورده في الصحاح : « لا تكتبوا عـني سوى القرآن ، ومن كتب فليمحه »، هو بمثابة ترجمة لطيفة، لما في التلمود،وموافق لما كتبه الخليفة عمر بن الخطاب إلى الأمصار : مـن كان عنده شيء منها (أي أحاديث رسول الله ﷺ) فليمحه [2] .

ولا يبعد أن يكون هذا من ايحاءات اليهودي الماكر كعب الأحبار ، وإن جعل بعد ذلك بصورة الحديث ، إذ بعد احراق الخليفة الثاني للأحاديث الـتي جمعها من أيدي الصحابة على مدى شهر قال : « مثناة كمثناة أهل الكتاب

---

(١) الدكتور حسن ظاظا : الفكر الديني الاسرائيلي ص ٧٩ عن التلمود ـ حيطين ٦٠ / ب ـ تمورا ـ ١٤ ب . ومن العجيب ان اليهود كتبوا التلمود ، والمثنا حتى هذا النهى ، وأهل الحديث من المسلمين ، كتبوا الأحاديث ، حتى الحديث المكذوب « لا تكتبوا عني .. الخ ».
(٢) جامع بيان العلم ج ١ ص ٧٧ . وطبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ٢٠٦ .

أو مثناة كمثناة أهل الكتاب[1] وهذا يدل على اطلاع كامل منه على مصطلح أهل الكتاب واليهود .

وقد كان هذا من أعظم الأمور أثراً في المسلمين ، وبذلك سنن رسول الله ﷺ ، فاتسع المجال لكعب الأحبار ، وتميم الداري وأبي هريرة ، وأشباههم فملأوا اذهان المسلمين من اسرائيلياتهم ، وعقائدهم ، وترسخت عظمة اليهود وأقوالهم ، في نفوس المسلمين الضعفاء .

٧ً – ثم إدخال لفظ « آمين » في الصلاة : وهـذا اللفظ بعينه نراه في صلوات النصارى واليهود .

٨ً – ثم هناك تبديل مسح الرجلين الواجب في الوضوء بالغسل ، وكذا المسح على أعناقهم نرى فيهما موافقة لليهود ، فإنهم يغسلون أرجلهم ويمسحون على أعناقهم[2] .

٩ً – ثم هناك الفتوى المعروفة أنه إذا كان النائم مضطجعاً ، فإن طهارته تنتقض ، وأما إذا كان جالساً فلا ، وهي من فتاوى اليهود .

ولو تتبع متتبع ما دخل في أحاديث أهل الحديث من الروايات التي هي في واقع الأمر من الاسرائيليات ، وإن كان لها بحسب الظاهر اسناد إلى رسول الله ﷺ لجمع شيئاً كثيراً يثبت به اليهود تفوقهم الثقافي . وهيمنتهم وسيطرتهم على عقلية المسلمين .

ويظهر من حديث ابن عباس ان المسلمين كانوا في عصره يسألون أهل

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٤٠ ، وتقييد العلم للخطيب ص ٥٢ .

(٢) راجع كتاب التأثيرات الاسلامية في الديانة اليهودية .

الكتاب وهم على يهوديتهم ونصرانيتهم ، دون أن يظهروا الاسلام على الأقل فقد روى البخاري أنه قال : يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن كتبهم وعندكم كتاب الله ، أقرب الكتب عهداً بالله ، تقرؤنه محضا لم يشب . (وذيله في نقل آخر) وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدّلوا من كتب الله وغيّروا ، فكتبوا بأيديهم ، قالوا : هو من عند الله ليشتروا بذلك ثمناً قليلا . أولا ينهاكم ما جاءكم عن مسألتهم ؟ ! فلا والله ما رأينا منهم رجلا يسأل عن الذي أنزل اليكم[1] .

أول مجمع عقائدي :

وقد بدأ ذلك حينما اجتمع كعب الأحبار وتلميذاه الكبيران عبد الله ابن عمرو بن العاص ، المكثر من الاسرائيليات ، وشيخ المضيرة أبو هريرة ، تحت لواء معاوية ، وكان ذلك ابتداء انعقاد المجمع العلمي الثقافي لعقائد جمهور المسلمين بعد ذلك .

وكان لكل واحد من أعضائه غاية مقصودة فكعب الأحبار يروّج دينه ، بإشاعة التجسيم والتشبيه ، وهو أيضاً يخدم دينه ومعاوية معاً ، بإشاعة الجبر الذي يقوم به ملك معاوية .

فمعاوية يثبت قواعد ملكه .

وأبو هريرة يحصل على مضيرته التي تعشقها .

وابن العاص يصل إلى حكومة مصر .

وقد كان ذلك تصديقاً لقول أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه : انفروا إلى بقية الأحزاب .

---

(١) البخاري ج ٩ ص ١٣٦

فقد اتحد اليهود والمشركون ، واتفقوا في غزوة الأحزاب على استئصال الرسول ﷺ والمسلمين ، وعلى محو دينه.. والآن قد اتفق بقية الأحزاب على تحريف دينه ومحاربة خليفته ، حتى لا يمكنه القيام بتحكيم أركان الدين الحق، وإقامة صرح العدل ..

وقد كان عليه السلام يعرفهم ويعرف نواياهم حـــق المعرفة ، حينما كان عليه السلام يحرض جنود المسلمين ، مشيراً إلى قبة معاوية ، وحوله جنده في صفين بقوله :

« عليكم بهذا السواد الأعظم والرواق المطنب ، فاضربوا ثبجه ،فإن الشيطان كامن في كسره ، قد قدم للوثبة يداً ، وأخر للنكوص رجلا ، فصمداً صمداً حتى ينجلي لكم عمود الحق » .

عقائد النصارى في المسلمين :

ولما رأى النصارى أن اليهود قد نشروا في المسلمين تفضيل نبيهم موسى عليه السلام على محمد ﷺ ادخلوا بدورهم أيضاً في صحاح المسلمين تفضيل عيسى عليه السلام على محمد ﷺ بسند اسلامي ينتهي إلى نـــبي الاسلام نفسه ، فروى البخاري عن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال : « كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبه حين يولد ، غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب»[1] .

وفي روايتين أخريين اضافة مريم ،وبالنتيجة فإن عيسى ومريم (ع) طاهران مطهران من نخسة الشيطان . وأما محمد وسائر الأنبياء عليهم السلام وأمهاتهم فقد أصيبوا بهذه النخسة ، ثم هناك حديث الجساسة وغير ذلك من الخرافات .

---

(١) أضواء على السنة المحمدية ط ٢ ص ١٧٤ عن صحيحي البخاري ومسلم .

نخاة أموية :

ولا يتعجب الانسان حين يرى أن الكميت بن زيد ، شاعر الشيعة المعاصر للامويين ، يذكر في مدحه لرسول الله ﷺ أن جماعة يخالفونه في مدحه لرسول الله ﷺ !! ولا يرضون بذلك !! فيقول :

إلى السراج المنير أحمد لا ... يعدلني عنه رغبة ولا رهب
عنه إلى غيره ولو رفع النـ ... ـاس إلى العيون وارتقبوا
وقيل أفرطت بلى قصدت ولو ... عنفني القائلون أو ثلبوا
اليك يا خير من تضمنت للأ ... رض وان عاب قولي العيب
لج بتفضيلك اللسان ولو ... أكثر فيك الضجاج واللجب .

فترى هنا خمسة أبيات يتضمن المصراع الأول منها إلى مدح مقتصد للنبي ﷺ ، والمصراع الثاني يتحدث عن جماعة مفارقة له في قوله هذا ، والبيت الثالث بتمامه متعرض لهذه الجماعة المخالفة ، فيذكر أنه إذا لم يعدل عن رسول الله ﷺ إلى غيره ، رفعت العيون وارتقبوا له الشر ، ويقولون له أفرطت (في مدح رسول الله) ويعنفونه ، ويثلبونه ، وأنه إذا قال ان الرسول ﷺ خير من تضمنته القبور عابوا قوله ، وإذا فضله على غيره يكثر الضجيج والصياح منهم .

ويفسر هذه الظاهرة الغريبة ويعللها ، ما ذكروه في ترجمة خـالد بن سلمة المخزومي ، المعروف بالفأفأ أنـــه كان مرجئاً ، ويبغض علياً ، وأنه كان ينشد بني مروان الأشعار التي هجى بها المصطفى ﷺ وأنـــه يروى عنه أصحاب الصحاح الست ما عدا البخاري .

وبهذا يظهر أن الكميت قد أحس من وراء هـذه الأمور أمراً عظيماً تريده الدولة الأموية ، حيث يشير إليه في شعر آخر له في بني أمية :

رضوا بخلاف المهتدين وفيهم مخبأة أخرى تصان وتحجب .

والشارحون لهذا البيت قالوا ان هذه المخبأة هي تفضيل الخليفة على رسول الله ﷺ .. وهذا وان كان أمراً عظيما في نفسه ، ولكنه لم يكن أمراً مخبّاً خافياً عن الناس ، بل صرح به عمال بني أمية ، ومنهم الحجاج وخالد بن عبد الله القسرى على المنابر ، واذن فأي شيء يمكن أن تكون تلك المخبأة إلا الغاء دين الاسلام بالمرة ، ولعل ترويجهم لليهودية والنصرانية ، وتفضيل موسى وعيسى على محمد ﷺ وعليهم أجمعين ، واشاعة الاسرائيليات، والتجسيم والجبر والحج إلى بيت المقدس ، كل ذلك ما كان الا توهينا منهم لأصل الدين ومقدمة لهـــذه المخبأة . وان تمسك بها أهل الحديث بعد ذلـــك باسم السنة الصحيحة ،وجعلت من أركان مذهب السنة ، ومذهب السلف الصالح والله العالم .

وبعد .. فلنرجع إلى مسألة الصفات والتشبيه والتجسيم ، وإلى الحديث عن موجبات وأسباب رسوخها ، في عقائد أهل الحديث بعدما كان أهل التجسيم قد تسرب إليهم من اليهود والنصارى والمشركين .

القول بالتجسيم كان مضادة لعلي (ع) :

والذي زاد في الطنبور نغمة أخرى هو : أن علياً عليه السلام كان يقول بالتنزيه الكامل ، وان الله لا يشبهه شيء بوجه من الوجوه، ولا تدرك الأفهام والأوهام كيفيته ، ولا كنهه ويظهر من خطبه عليه السلام أنه كان يهتم بهذا الموضوع،ويؤكد عليه جداً ، وذلك بهدف استئصال آثار عقيدة المشركين واليهود في التجسيم والتشبيه من النفوس والقلوب ، وله خطب وكلمات غير قليلة حول هـــذا الموضوع في نهج البلاغة وغيره ، قال القاضي عبد الجبار : — وهو ليس من الشيعة ، بل هو يحاول الرد على عقيدة الشيعة في الامامة بكل ما لديه —

«فأما أمير المؤمنين عليه السلام فخطبه في بيان نفي التشبيه ، وفي اثبات العدل أكثر من أن تحصى »[١] .

فمن ذلك — كما يروي لنا المبرد — أنه « قال قائل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض ؟ فقال علي : أين سؤال عن مكان ، وكان الله ولا مكان [٢] » .

وقال البغدادي : « وقد قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: إن الله تعالى خلق العرش إظهاراً لقدرته ، لا مكاناً لذاته . وقال أيضاً : قد كان ولا مكان ، وهو الآن على ما كان » [٣] .

وله عليه السلام العديد من الكلمات الأدبية البليغة حول هـــذا الموضوع ، منها قوله في نهج البلاغة : « .. لا تقدره الأوهام بالحدود والحركات ، ولا بالجوارح والأدوات ، لا يقال له : متى ، ولا يضرب له أمد بحتى ، الظاهر لا يقال :مما ؟ والباطن لا يقال : فيما ؟ ... تعالى عما ينحله المحددون من صفات الأقـــدار ، ونهايات الأقطار ، وتأثـل المساكن ، فالحد لخلقه مضروب ، وإلى غيره منسوب الخ .

ولو شرعنا في جمع كلامه حول هذا الموضوع لطال بنا الكلام ولا نرى حاجة إلى ذلك بعد وضوح الأمر .

بل لقد بلغ به الأمر : أنه كان يراقب العوام والسوقة في محاوراتهم ، وما

---

(١) فضل الاعتزال ص ١٦٣

(٢) الكامل ج ٢ ص ٥٩

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٠٠

رضوا بخلاف المهتدين وفيهم مخبأة أخرى تصان وتحجب .

والشارحون لهذا البيت قالوا ان هذه المخبأة هي تفضيل الخليفة على رسول الله ﷺ .. وهذا وان كان أمراً عظيما في نفسه ، ولكنه لم يكن أمراً مخبأً خافياً عن الناس ، بل صرح به عمال بني أمية ، ومنهم الحجاج وخالد بن عبد الله القسرى على المنابر ، واذن فأي شيء يمكن أن تكون تلك المخبأة إلا الغاء دين الاسلام بالمرة ، ولعل ترويجهم لليهودية والنصرانية ، وتفضيل موسى وعيسى على محمد ﷺ وعليهم أجمعين ، واشاعة الاسرائيليات، والتجسيم والجبر والحج إلى بيت المقدس ، كل ذلك ما كان الا توهينا منهم لأصل الدين ومقدمة لهـــذه المخبأة . وان تمسك بها أهل الحديث بعد ذلـــك باسم السنة الصحيحة ،وجعلت من أركان مذهب السنة ، ومذهب السلف الصالح والله العالم .

وبعد .. فلنرجع إلى مسألة الصفات والتشبيه والتجسيم ، وإلى الحديث عن موجبات وأسباب رسوخها ، في عقائد أهل الحديث بعدما كان أهل التجسيم قد تسرب إليهم من اليهود والنصارى والمشركين .

القول بالتجسيم كان مضادة لعلي (ع) :

والذي زاد في الطنبور نغمة أخرى هو : أن علياً عليه السلام كان يقول بالتنزيه الكامل ، وان الله لا يشبهه شيء بوجه من الوجوه، ولا تدرك الأفهام والأوهام كيفيته ، ولا كنهه ويظهر من خطبه عليه السلام أنه كان يهتم بهذا الموضوع ،ويؤكد عليه جداً ، وذلك بهدف استئصال آثار عقيدة المشركين واليهود في التجسيم والتشبيه من النفوس والقلوب ، وله خطب وكلمات غير قليلة حول هـــذا الموضوع في نهج البلاغة وغيره ، قال القاضي عبد الجبار : — وهو ليس من الشيعة ، بل هو يحاول الرد على عقيدة الشيعة في الامامة بكل ما لديه —

«فأما أمير المؤمنين عليه السلام فخطبه في بيان نفي التشبيه ، وفي اثبات العدل أكثر من أن تحصى »[1] .

فمن ذلك — كما يروي لنا المبرد — أنه « قال قائل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض ؟ فقال علي : أين سؤال عن مكان ، وكان الله ولا مكان [2] » .

وقال البغدادي : « وقد قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: إن الله تعالى خلق العرش إظهاراً لقدرته ، لا مكاناً لذاته . وقال أيضاً : قد كان ولا مكان ، وهو الآن على ما كان » [3] .

وله عليه السلام العديد من الكلمات الأدبية البليغة حول هـــذا الموضوع ، منها قوله في نهج البلاغة : « .. لا تقدره الأوهام بالحدود والحركات ، ولا بالجوارح والأدوات ، لا يقال له : متى ، ولا يضرب له أمد بحتى ، الظاهر لا يقال :مما ؟ والباطن لا يقال : فيما ؟ ... تعالى عما ينحله المحددون من صفات الأقـــدار ، ونهايات الأقطار ، وتأثـل المساكن ، فالحد لخلقه مضروب ، وإلى غيره منسوب الخ .

ولو شرعنا في جمع كلامه حول هذا الموضوع لطال بنا الكلام ولا نرى حاجة إلى ذلك بعد وضوح الأمر .

بل لقد بلغ به الأمر : أنه كان يراقب العوام والسوقة في محاوراتهم ، وما

---

(١) فضل الاعتزال ص ١٦٣

(٢) الكامل ج ٢ ص ٥٩

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٠٠

يصدر منهم حول ذلك ، فقد ذكر الثقفي بالاسناد : « أنه (يعني علياً) دخل السوق ، فقال : يا معشر اللحامين ، من نفخ منكم في اللحم فليس منا ؛ فإذا هو برجل موليه ظهره ، فقال : كلا ، والذي احتجب بالسبع ، فضربه علي عليه السلام على ظهره ؛ ثم قال : يا لحّام ، ومن الذي احتجب بالسبع؟قال : رب العالمين ، يا أمير المؤمنين . فقال أخطأت ثكلتك امك ، ان الله ليس بينه وبين خلقه حجاب ، لأنه معهم أينما كانوا، فقال الرجل :ما كفارة ما قلت يا أمير المؤمنين؟ قال ان تعلم ان الله معك حيث كنت . قال : اطعم المساكين ؟ قال : لا انما حلفت بغير ربك»[1] وهذه المعية التي ذكرها عليه السلام قد وردت في الكتاب الكريم مثل قوله تعالى«يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم»[2] وقوله «ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم »[3] .

وغيرها من الآيات وهي ليست معيّة مكانية ، لأنه تعالى ارفع من المكان والمكانيات وفهمها وان كان صعباً على الأذهان العادية المأنوسة بالمادة والماديات إلا انها أمر لا يدفعه العقل ، وحقيقة ثابتة في الكتاب الكريم ، وإلى هذا المعنى يشير أيضاً قوله تعالى: «فأينما تولوا فثم وجه الله »[4]. في الأمر بالتوجه إلى القبلة الموهم ان الله في مكان يستقر فيه ، فدفع الله هذا الوهم بقوله أينما تولوا فثم وجه الله كما أن علياً عليه السلام قال : مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة[5]، وقال : ليس في الأشياء بوالج ولا عنها بخارج . ولكن أهل الحديث مع تسميتهم

---

(١) الغارات ج ١ ص ١١٢

(٢) النساء ١٠٨

(٣) المجادلة ٧

(٤) البقرة ١١٥

(٥) نهج البلاغة الخطبة الأولى .

المجاز بطاغوت المجاز ، حيث زعموا أن الله فوق السماء السابعة جالس على العرش والكرسي موضع قدميه ، قد التزموا بهذا الطاغوت هنا وحملوا الآيات السابقة على معنى العلم .

أخذ المعتزلة التنزيه عن علي (ع) :

وقد أخذت المعتزلة القول بالتنزيه ، الذي سموه بعد ذلك بالتوحيد — أخذوه عن علي عليه السلام — من طريق محمد بن الحنفية وابنة أبي هاشم ، فضلا عن أهل بيته المعصومين عليهم السلام ، وشيعتهم الأخيار ، وقد صرح بهذا أئمة المعتزلة أنفسهم وكانوا وما زالوا يتباهون به . قال الكعبي : « والمعتزلة يقال أن لها ولمذهبها أسناداً يتصل بالنبي صلى الله عليه وآله ليس لأحد من فرق الأمة مثله وليس يمكن خصومهم دفعهم عنه وهو أن خصومهم يقرّون بأن مذهبهم يسند إلى واصل بن عطاء وان واصلا يسند إلى محمد بن علي بن أبي طالب وابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد بن علي وان محمداً أخذ عن أبيه علي وان علياً أخذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله »[1] وقال أيضاً« وكان واصل بن عطاء من أهل المدينة ربّاه محمد بن علي ابن أبي طالب وعلمه »[2] وكان مع ابنه أبي هاشم في الكتّاب ثم صحبه بعد موت أبيه صحبة طويلة وحكى عن بعض السلف انه قيل له كيف كان علم محمد بن علي ؟ فقال : إذا أردت أن تعلم ذلك فانظر إلى أثره في واصل [3] وهكذا ذكروا في عمرو بن عبيد انه أخذ عن أبي هاشم أيضاً .. وقال القاضي عبد الجبار : « فأما أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي ، فلو لم يظهر علمه وفضله إلا بما ظهر عن واصل بن عطاء لكفى ، وكان يأخذ العلم عن أبيه ...

---

(١) رسائل الجاحظ بتحقيق عمر أبو النصر ص ٢٢٨ .

(٢) فضل الاعتزال ص ٢٣٤

(٣) باب ذكر المعتزلة للكعبي ص ٦٤ و ٦٨

... فكان واصل بمنزلة كتاب مصنعه أبو هاشم، وذكر قوله فيه ، وكذلك أخوه ، فإن غيلان يقال أنه أخذ العلم عن الحسن بن محمد بن الحنفية أخي أبي هاشم ولذلك ظهر منه طرف من الارجاء »[1] .

وأما الجاحظ – الذي هو إلى النصب أقرب منه إلى التشيع – فيقول : « ومن مثل محمد بن الحنفية ، وابنه أبي هاشم الذي قرأ علوم التوحيد والعدل ، حتى قالت المعتزلة غلبنا الناس كلهم بأبي هاشم الأول »[2] .

وقال ابن ابي الحديد في مقام بيان ان علم الكلام مأخوذ من علي عليه السلام : « .. ومن كلامه عليه السلام اقتبس ، وعنه نقل ، ومنه ابتدأ ، وإليه انتهى ؛ فإن المعتزلة الذين هم أهل العدل والتوحيد ، وأرباب النظر ، ومنهم تعلم الناس هذا الفن تلامذته واصحابه (فيذكر أن واصلا أخذ عن ابي هاشم وهو تلميذه عليه السلام)[3] .

وكذلك فقد ذكر الشهرستاني أيضاً أن واصلا أخذ عن ابي هاشم وذكر ذلك أيضاً ابن المرتضى في المنية والأمل ، وطا شكبري زاده في مفتاح السعادة والمقريزي في الخطط ، وعد هذا الأخير في ضمن الألقاب المستكرهة للمعتزلة لقب (الكيسانية) ووجهه أنهم يريدون نبز المعتزلة بهذا اللقب ، لأنهم تلامذة أئمة الكيسانية وهم ابن الحنفية ، وأبناه أبو هاشم والحسن ، والأخير استاذ غيلان الدمشقي ، وهو من الأئمة الأولين للإعتزال على ما ذكره الخياط[4]

ويمكن أن يقال ان براعة المعتزلة وظهورهم على من سواهم ، في الخطب والبيان ، والكلام ، واهتمامهم الشديد بذلك ، على ما يصوره لنا الجاحظ في

(١) فضل الاعتزال ص ٢٢٦
(٢) شرح ابن أبي الحديد ج ١
(٣) رسائل الجاحظ تحقيق عمر أبو النصر ص ٢٢٨
(٤) الانتصار لأبي الحسين الخياط.

أول كتابه « البيان والتبيين » إنما كان من جهة ان خطبه عليه السلام كانت منشأ علومهم فأثرت فيهم ذلك .

الاعتزال والتشيع :

وعلى ما ذكر المعتزلة انفسهم فإن الاعتزال شعبة منشقة من التشيع ، وقد تعلم المعتزلة من أئمة الشيعة الأصلين العظيمين (التوحيد والعدل) .

نعم يذكر عن واصل وعمرو بن عبيد ما يبعدهم عن الشيعة ، وعما يدور عليه كلام الشيعة ، وهو عدم القول بإمامة علي عليه السلام ، ولكن ذلك لا ينفي أنهم تعلموا العدل والتوحيد منه عليه السلام .

ويذكر احمد أمين اتفاق المعتزلة في كثير من مسائل اصول الدين مع الشيعة إلا في الأمامة فيقول : ولكن أيهما أخذ من الآخر ؟ أما بعض الشيعة فيزعم أن المعتزلة أخذوا عنهم ، وان واصل بن عطاء – رأس المعتزلة – تتلمذ لجعفر الصادق ، وأنا ارجح ان الشيعة هم الذين أخذوا من المعتزلة تعاليمهم ، وتتبع نشوء مذهب الإعتزال يدل على ذلك ، وزيد بن علي تتلمذ لواصل ، وجعفر يتصل بعمه زيد ، ويمسك له ركابه .. »[1] انتهى ملخصاً .

أما نحن .. فنقول : يظهر أن أحمد أمين قد لفق ذلك التوجيه والرد ، ليقطع انتساب الاعتزال والمعتزلة إلى أمير المؤمنين ، ولم نر أحداً من الشيعة قال بتتلمذ واصل على الامام الصادق حتى يرد عليه بأن الصادق عليه السلام كان يمسك الركاب لتلميذ واصل وهو زيد فتلمذة واصل على الصادق بعيد .

بل وجه اتصال المعتزلة بأمير المؤمنين هو ما ذكروه هم انفسهم وحسبما

(١) ضحى الاسلام ج٣ ص ٢٦٨

قدمناه . وأما ما قاله أحمد أمين فهو اجتهاد منه في مقابل النص ، ومجرد إمساك الامام الصادق عليه السلام بالركاب لعمّه زيد رحمه الله لا يدل على أن الصادق عليه السلام قد تتلمذ على عمّه زيد ، وإنما فعل أحمد أمين ذلك بدافع من هواه المعروف عنه ، والظاهر في كتبه وهو أن يسلب عن علي عليه السلام ما ينسب إليه من الفضائل مهما أمكن . ولكن بصورة التحقيق العلمي علّ ذلك ينطلي على الناس .. وذلك أنه بعدما ظهر من الغربيين والمستشرقين تقريظات ومقالات فيها تعظيم للمعتزلة. ووصفوهم بأنهم اصحاب الفكر الحر، وانهم العقليون . واشباه هذه التعبيرات. لم تسمح نفس أحمد أمين بأن يكون جماعة كهؤلاء ينتسبون في أصول مذهبهم وافكارهم إلى علي عليه السلام ، فلفق ذلك التوجيه والرد للتضليل والاغفال ..

كما أنه قد انكر بلا دليل ، وانما بصورة التهويش انتساب علم النحو إليه عليه السلام مع أن ابن النديم قد قال في الفهرست : زعم أكثر العلماء ان النحو أخذه ابو الأسود عن أمير المؤمنين . (١)

وذكر عن أبي عبيدة – وهو الناصبي الخارجي – : أنه أخذ النحو عن علي ابن أبي طالب ابو الأسود (٢)

ومثل ذلك كثير ..

لك الله يا أبا الحسن ما انصفوك في شيء (٣)

الخطة الأموية لمحو آثار علي عليه السلام :

وبعد وفاة علي عليه السلام كان الأمويون ، في نفس الوقت الذي يقومون فيه

(١) الفهرست ص ٥٩
(٢) المصدر السابق ص ٦٠
(٣) كلمة للشيخ ابي رية رحمه الله .

بمعارضة فضائله ونسبتها إلى غيره .. (١) كانوا أيضاً يعملون على محو آثار علي ، وطمس كل ما ينقل عنه ، أو يعارضونه .

وبذلك يعلل الشيخ أبوزهرة قلة المأثورات عن علي عليه السلام في الناس فيقول :

« .. وإذا كان لنا ان نتعرف السبب الذي من أجله اختفى عن جمهور المسلمين ، ببعض روايات علي وفقهه ، فإنا نقول :

إنه لا بد ان يكون للحكم الأموي اثر في أختفاء كثير من آثار علي عليه السلام في القضاء والإفتاء ، لأنه ليس من المعقول أن يلعنوا علياً فوق المنابر ، وأن يتركوا العلماء يتحدثون بعلمه ، وينقلون فتاواه واقواله للناس ، وخصوصاً ما يتصل بأساس الحكم الاسلامي .. » (٢)

ولكلام ابي زهرة هنا شواهد كثيرة منها : قول الحجاج للشعبي ، لما ذكره له قولاً لعلي عليه السلام في بعض مسائل الارث ؛ فقال الحجاج : إن المرء يرغب عن قوله .. وفي بعض صور هذه القصة أن الحجاج زم بأنفه ، وضرب على أنفه وقال: ورّم الله انفه ، إن المرء يرغب عن قوله فكلامه في الحقيقة يعبر عن موقف بني أمية مما ينقل عنه عليه السلام .

وقد ابتلي المسلمون بالعديد من المسائل التي عبثت بها يد السياسة ، وكثير منها كانت السياسة هي الضدية لقوله علي ، كمسألة الجهر بالبسملة ، وحذفها في قراءة الصلاة ، حيث أن علياً عليه السلام كان يبالغ في الجهر بها (٣) .

(١) شرح ابن ابي الحديد في كلام لأبي جعفر الاسكافي .
(٢) الامام الصادق ص ١٦١
(٣) التلويح شرح التوضيح .
وقال نظام الدين النيسابوري في وجه تخالف روايات انس بن مالك وأيضاً ففيها (أي في روايات الجهر بالبسملة) تهمة أخرى . وهي أن علياً رضي الله عنه كان يبالغ في الجهر بالتسمية لما كان زمن بني أمية . بالغوا في المنع من الجهر سعياً في ابطال آثار علي بن أبي طالب ، فلعل أنساً خاف منهم فلهذا اضطربت اقواله . (تفسير غرائب القرآن المطبوع بهامش تفسير الطبري ج ١ ص ٧٧

وكمسألة مسح الرجلين في الوضوء ، ومتعة الحج ، ومتعة النساء ، والتلبية في عرفات ، وغير ذلك مما يطول المقام بذكره .

ومن هذا القبيل كانت مسألة التشبيه والتنزيه ؛ فإنها مما لفحته رياح السياسة الأموية – طبعاً – فأخذوا فيها بضد قول عليه السلام واستخدموا في ذلك اليهود واسرائيليا تهم لمقابلة التنزيه ، وتركيز التجسيم والتشبيه .. وقد قدّمنا القول المأثور : العدل والتوحيد علويان ، والجبر والتشبيه أمويان ..

النصب يدعو الى التشبيه

أضف إلى ذلك ما لاحظه بعض المستشرقين ، وهو – هـ . ريتر – في عقائد أهل السنة والحديث (وإن كنا نعتقد : أنه لا بد وأن ننظر إلى أقوال المستشرقين باحتياط تام) حيث قال : « .. ومن أراد أن يفهم احدى العقائد السنية ، (يعني في الكتب العقائدية المدونة) ، فعليه أن يستحضر في خاطره: أن كل جملة منها إنما هي رد على إحدى الفرق المخالفة لها ، من الشيعة ، والخوارج ، والمرجئة ، والجهمية ، والمعتزلة . ولقد تشكلت عقيدة أهل السنة برد الفرق « الضالة »،التي لم تسم ضالة إلا بغد غلبة اصحاب السنة والجماعة » [1]

فإذا كان خصام أهل السنة والحديث مع سائر الفرق هو السر في تشكل عقائد أهل السنة ونشوئها ، فإن نزعة النصب لعلي وولده فيهم من أظهر الأمور مما يعني انه عملية مضادة لتنزيه علي عليه السلام وعترته لأن القول بالتنزيه كان شائعاً ومشهوراً عن علي عليه السلام وعترته ، بحيث كان يعد الميل إلى التشبيه إنحرافاً عن العترة ، فها هو الدارقطني يقول : « كان ابن قتيبة (متكلم اهل السنة) يميل إلى التشبيه ، منحرف عن العترة ، وكلامه يدل عليه .. » [2]

(١) مقدمة طبقات المعتزلة

(٢) لسان الميزان ج ٣ ص ٣٥٧

فعلى كلام الدارقطني هذا يكون غالب أهل الحديث منحرفين عن العترة .

الحنابلة السابقون والنصب :

ولقد أكد لنا المؤرخون : غلبة نزعة النصب على الحنابلة السابقين ، وإن كان الحنابلة أنفسهم ربما ينكرون ذلك ، فقد قال المقدسي ، وهو يتكلم عن الفرق التي ينكر اصحابها عقيدة تنسب إليها : « وأما المنكورة ، فالكلابية ينكرون الجبر ، والحنبلية ينكرون النصب .. إلى ان قال : وأما أربعة لقب بها أهل الحديث ، فالحشوية ، والشكاك والنواصب والمجبرة » [1] .

والظاهر ان المقدسي يصف أهل الحديث المعاصرين له ، ومن يقارب منهم عصره حينما غلب أهل الحديث ، والا فأهل الحديث قبل تسننهم ، وقبل ظهور ابن حنبل كانوا مختلفي المذاهب والنزعات .

وقال أيضاً : « وببغداد غالية يفرطون في حب معاوية،ومشبهة وبربهارية » [2] .

ومن المعلوم أنه لا يجتمع حب علي ومعاوية ، في قلب واحد فضلاً عن الافراط في حب معاوية .

وقال ابو بكر الخورزمي : ليس من فرق الاسلام فرقة إلا وقد هبت لأهلها رويحة ، ودالت لها دولة كما اتفق المختار للكيسانية .. والمعتصم والواثق للمعتزلة ؛ والمتوكل للنواصب والحشوية .. [3]

(١) احسن التقاسيم ص ١٣٨

(٢) احسن التقاسيم ص ١٢٦

(٣) رسائل ابي بكر الخوارزمي ص ١٢٨ الطبعة الأولى . والحشوية من القاب أهل الحديث

والتوكل هو الملقب عند أهل الحديث ، بـ « محيي السنة » وفي نفس الوقت الذي كان فيه من أعدى خلق الله تعالى لعلي وولده، فإنه كان مكرماً ومعظماً للامام أحمد بن حنبل ، مطيعاً لأمره ، في نصب القضاة ، وغير ذلك من أموره تابعاً له في أمور دينه .. وقد قال فيه أبو بكر الخوارزمي : « .. حتى أن هارون بن الخيزران ، وجعفر المتوكل على الشيطان لا على الرحمان ، كانا لا يعطيان مالاً ولا يبذلان نوالاً ، إلا لمن شتم آل أبي طالب ونصر مذهب النواصب [1] »

وذكر ابن كثير الحنبلي في حوادث سنة ٣٦٣ في ذكر الفتنة بين اهل السنة والرافضة في بغداد يوم عاشوراء : « إن جماعة من أهل السنة أركبوا امرأة سموها عائشة ، وتسمى بعضهم بطلحة ، وبعضهم بالزبير ، وقالوا : نقاتل أصحاب علي ، فقتل بسبب ذلك خلق كثير .. » [2]

ولكن هذا المؤرخ الحنبلي لم يذكر لنا : هل مثلوا أيضاً نبح كلاب الحوأب لهذه الإمرأة ، ثم شهادة أربعين رجلاً لها : أن ليس هنا ماء الحوأب .. أم لا .. فان عقول هؤلاء قاصرة عن إدراك قبح ذلك التمثيل ، الذي ما ذكرته صاحبته الأولى إلا وبكت حتى تبل خمارها ، وتقول : يا ليتني كنت نسياً منسياً [3] ..

وأنا أجل مقام الامام أحمد بن حنبل عن تلك النزعة (نزعة النصب) كيف وهو مؤلف كتاب « الفضائل » .. وهو أيضاً صاحب الكلمة المعروفة، التي قالها انطلاقاً من تخصصه في فنه الحديثي ، وهي قوله: « ما لأحدٍ من الصحابة

(١) رسائل الخوارزمي ص ١٣٥

(٢) البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٧٥

(٣) تاريخ بغداد ج ٩ ص ١٨٥

من الفضائل بالأسانيد الصحاح مثلما لعلي رضي الله عنه » [1] وهو الذي قام في أهل الحديث وجعل علياً عليه السلام في المرتبة الرابعة كما عرفت .

كما أنني أجل غالب حنابلة عصرنا عن النصب.. إلا أن مما لا شك فيه هو أن عدة ممن تزيا بزيّ أهل العلم والحديث يحرقهم النصب ، والبغض والحقد على علي عليه السلام وأهل بيته ، ولتعرفنهم في لحن القول وهم يجهلون معاوية خال المؤمنين !! ويطبقون على انفسهم في اظهارهم حب معاوية واطرائه . ما قاله امامهم الامام ابن حنبل لابنه عبد الله ، قال عبد الله : سألت أبي عن علي ومعاوية ، فقال : اعلم : أن علياً كان كثير الأعداء ، ففتش له أعداؤه شيئاً فلم يجدوه ، فجاؤا إلى رجل قد حاربه وقاتله ، فأطروه كيداً منهم له [2]

ونقل عن ابن قتيبة أيضاً في كتابه اختلاف اللفظ : أنه قال : « وأهملوا من ذكره (أي ذكر علي عليه السلام) ، أو روى حديثاً في فضله ، حتى تحامى كثير من المحدثين أن يتحدثوا بها ، وعنوا بفضائل عمرو بن العاص ومعاوية ، كأنهم لا يريدونهما بذلك ، وإنما يريدونه » [3]

ولو أراد أحد أن يجمع حكايات ونوادر أهل الحديث الدالة على نصبهم وعدائهم لعلي عليه السلام لاستطاع أن يجمع كتاباً كبيراً من المصادر السنية القديمة فيه الكثير مما هو غريب وطريف ، مثل ما فعلوه مع الاعمش حينما روى حديث الطير المشوي .. وما فعلوه مع الامام محمد بن جرير الطبري ، صاحب التفسير والتاريخ ، حيث منعوا من دفنه نهاراً لما صحح حديث غدير خم ، وجمع رواياته

(١) مناقب أحمد ، لابن الجوزي الحنبلي ص ١٦٣ ، وإن بدل الحنابلة هذه الجملة غالباً بقولهم : بالاسانيد الحسان جرياً على نزعتهم .

(٢) الصواعق المحرقة ص ٧٦

(٣) سر الخلال الأمة العربية ص ٢١٦

بطرقه المتعددة. ومثل ردهم روايات الشيعة ما أمكنهم مع أخذهم عن الخوارج والنواصب ، وغير ذلك [1]

قال ابن كثير : وقد رأيت له كتاباً جمع فيه احاديث غدير خم في مجلدين ضخمين وكتاباً جمع فيه حديث الطير [2]

وقال ابن حجر في لسان الميزان [3] بعدما قال إنه الامام الجليل المفسر ثقة صادق فيه تشيع يسير وموالاة لا تضر !!.. اقذع احمد بن علي السليماني الحافظ، فقال : كان يضع للروافض كذا قال السليماني ، وهذا رجم بالظن الكاذب بل ابن جرير من كبار أئمة الاسلام المعتمدين . وانما نبز بالتشيع لأنه صحح حديث غدير خم .

التمسك بحرفية الالفاظ والتشبيه

ثم إن كاتب مجلة الدعوة أخذ على الشيعة : أنهم يؤولون الآيات الخ .. ونحن نقول له : إن التأويل هو صرف اللفظ عن ظاهره المفهوم .. والحقيقة هي : أن هذا الذي نبز به الشيعة هو من متممات مسألة التشبيه ..

وخلاصة الكلام في ذلك : أن الفاظ اليد والعين، والجنب وأشباهها المضافة إلى الله تعالى في آيات الكتاب الكريم ، هل يراد منها معانيها الحقيقية ؟! كما يقول بن السلفية واهل الحديث ، أو يراد منها ، أو من الجملة التي تقع فيها هذه الالفاظ معنى مجازياً أو كنائياً ؟ كما يقول الشيعة وسائر أهل التنزيه .

---

(١) البداية والنهاية ج ١١ ص ١٤٦

(٢) » ١١ ص ١٤٧

(٣) ج ٥ ص ١٠٠

وغير خفي على أحد أن المجاز شائع في لغة العرب ، بل إن لطف الكلام ورقته يدور مدار الاستعمالات المجازية والكنائية .. وعلى هذا ركّز علماء البلاغة إعجاز القرآن الكريم ، قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني : « جل محاسن الكلام ، إن لم نقل كلها متفرعة عن التشبيه والتمثيل والاستعارة ، وراجعة اليها ، وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها ، وأقطار تحيط بها من جهاتها » [1]

وقال السيد الرضي في أول كتابه : « تلخيص البيان في مجازات القرآن » : « .. أما بعد ، فإن بعض الاخوان جاراني وذكر بعض ما يشتمل عليه القرآن من عجائب الاستعارات ، وغرائب المجازات ، التي هي أحسن من الحقائق معرضاً ، وأنفع للعلة لفظاً ومعنى ، وان اللفظة التي وقعت مستعارة لو أوقعت في موقعها لفظة الحقيقة ، لكان موضعها نابياً بها ، ونصابها قلقاً بمركّبها ، إذ كان الحكيم سبحانه لم يورد الفاظ المجازات لضيق العبارة عليه ، ولكن لأنها أحلى في سماع السامعين ، وأشبه بلغة المخاطبين » . وبناء على الفرق بين الحقيقة والمجاز ألفّ امام العربية والاداب جار الله الزمخشري كتابه اساس البلاغة وكذلك غيره من العلماء وائمة اللغة والأدب .

وعلى هذا .. فليس المجاز تأويلا ، ولا صرفاً للفظ عن ظاهره ، ولكن اهل الحديث ، بسبب ما أوحي إليهم من قبل أساتذتهم اليهود من الروايات التشبيهية ، ولأنهم اصبحوا مشبعين بهذه الروح ، ولكي يحفظوا عقيدة التشبيه من تطرق النقاش إليها اضطروا إلى انكار المجازات في آيات الصفات « أي : اليد ، والرجل ، والعين ، كما تقدم توضيحه في أوائل البحث » . مع أن المجاز واضح كالنار على المنار ، وكالشمس في رابعة النهار في الآيات القرآنية كقوله

---

(١) أسرار البلاغة ص ٢٠

تعالى : « يد الله فوق أيديهم » وقوله : « تجري بأعيننا » . وغيرهما .. وإذا توقف متوقف في ظهور المجاز في بعض الآيات ، كقوله تعالى : « الرحمان على العرش استوى » فانما يكون سبب ذلك هو تشبع ذهنه بتلك المأثورات التشبيهية .

وخلاصة الأمر : إن ما ذكرناه هو محور النزاع بين أهل الحديث وبين أهل التنزيه من الشيعة ، والاشاعرة والمعتزله ، قال أبو عمر بن عبد البر :

« .. أهل السنة (يريد بهم أهل الحديث لا الاشاعرة) يجمعون على الاقرار بالصفات كلها ، الواردة في الكتاب والسنة ، والايمان بها ، وحملها على الحقيقة لا المجاز »[1]

وقال الخليفة القادر بالله في : « الاعتقاد القادري » الذي صنفه على طبق عقائد الحنابلة ، ما يلي : « .. وكل صفة وصف (الله) بها نفسه ، أو وصف بها رسوله ، فهي صفة حقيقة ، لا مجازية » !![2]

وعن محمد بن موصلي : « .. قال في كسر الطاغوت الذي وضعته الجهمية لتعطيل حقائق الاسماء والصفات ، وهو طاغوت المجاز ، ما حاصله : أن تقسيم الالفاظ والمعاني إلى الحقيقة والمجاز باطل » !![3]

وبعد كل ما قدمناه نعود فنؤكد : أن الشيعة لا يصرفون الفاظ الكتاب الكريم عن ظواهرها ، بل هم يقولون بالمجار في آيات اليد ، والعين ، والوجه الخ .. وذلك لظهور المجاز فيها لكل من لم يتشبع ذهنه بالاسرائليات ، وإلا ..

---

(١) مقدمة درء تعارض العقل والنقل ص ٤٠ ، وقد عرفت ان كلمة الصفات في اصطلاح أهل الحديث بمعنى اليد والوجه والاصابع وغيرها .

(٢) المنتظم ج ٨ ص ١١٠

(٣) الرسائل السبعة ، الضميمة الثالثة للابانه ص ٣٦

فكيف يمكن أن يقال : ان قوله تعالى : تجري بأعيننا ، يدل على ثبوت العين لله تعالى ؟! . وإذا أردنا أن نأخذ بحرفية اللفظ دون تجوز . فلا بد أن نقول بأن له تعالى ثلاث أعين .

وكذا قوله تعالى : فأينما تولوا فثم وجه الله .. لو حملنا الوجه على معناه الحقيقي فلا بد وأن نقول أن وجهه تعالى محيط بنا كالسور المستدير ، فهل هذا وجه لغة ؟! سبحانك هذا تنور عظيم !!.

واهل الحديث إنما أخذوا عقيدتهم : التشبيه . من الاحاديث عندهم . بلا نظر إلى القرآن على حسب الاصل الثابت عندهم : أن السنة قاضية على الكتاب وقد جرّهم التزامهم بهذه العقيدة إلى انكار المجاز ، وتسميته بالطاغوت ! في آيات حرفوا معانيها ، وأبعدوها عن المجاز الظاهر منها لكل أحد .

التشبية المزيف :

وكان أهل الحديث الأولون ينزعجون جداً من اطلاق كلمتي : « المشبهة والمجسمة » عليهم . ولأجل أن يبعدوا عن أنفسهم عار التشبيه والتجسيم كانوا يزيدون في كلامهم ما ينفي التشبيه ، فيقولون مثلا : لله يد ، لا كالأيدي . ووجه لا كالوجوه ، وقدم لا كالأقدام .. وهكذا .. وربما يزيدون كلمة «بلا كيف» بعد ذكر الأعضاء ..

ونحن نقول لهم : إذا التزمتم بأنه له تعالى هذه الأعضاء . والدليل عليها الاحاديث الكثيرة ، أو الآيات في زعمكم ، فإن تلك الاحاديث والآيات لا تشتمل على هذه الزيادة ، حتى ولا في مورد واحد . ولم نجد في أي من الروايات تلك البلكفة (مصدر بلا كيف) التي تذكرونها ، فلم تزيدون فيها ذلك إذن ؟ بل عليكم أن تأخذوا بحرفيتها على عادتكم ..

ولأجل فظاعة عقيدة التجسيم والتشبيه وبشاعتها، ومنافرتها للعقل والفطرة فقد غلب مذهب الأشاعرة ، وهم من أهل التنزيه على مذهب أهل الحديث ، فطبق التنزيه العالم الاسلامي كله إلا من بقي من الحنابلة في الشام وبغداد ، وأماكن قليلة أخرى .. حتى جاء ابن تيمية في القرن الثامن ، فجدد القول بالتشبيه في الناس ، وسمى دعوته الجديدة بـ « السلفية » وادعى الرجوع إلى السلف الصالح في العقائد والفروع .. والانصاف أن ابن تيمية كان أشجع من أهل الحديث في هذه القضية ، فإن أهل الحديث كانوا يلتزمون بواقع التشبيه ويتحاشون من إطلاق لفظ « المشبهة والمجسمة عليهم » .. فهم كانوا يقررون المعنى ، ولكنهم يأبون عن اللفظ أما ابن تيمية فقد قرر التشبيه بصراحة كاملة ولم يتحاش من شيء ، بل صرح بترجيح القول بالتجسيم في كتبه فقال :

« .. ومن المعلوم أن قول نفاة الرؤية والصفات، والعلو على العرش ، والقائلين بأن الله لم يتكلم ، بل خلق كلاماً في غيره ، ونفيهم ذلك، لأن إثبات ذلك تجسيم ، هو إلى مخالفة الكتاب ، والسنة ، والاجماع السلفي ، والآثار أقرب من قول من أثبت ذلك ». (١)

وقال أيضاً : « ليس في كلام الله ، ولا سنة رسوله ، ولا في كلام أحد من الصحابة والتابعين ، ولا الأكابر من أتباع التابعين من ذم المشبهة ، ونفى مذهب التشبيه وإنما اشتهر هذا من جهة الجهمية. وقال أيضاً : فمن المعلوم: أن الكتاب ، والسنة ، والاجماع لم تنطق بأن الأجسام كلها محدثة ، وأن الله ليس بجسم ، ولا قال ذلك إمام من أئمة المسلمين ، فليس في تركي لهذا القول

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ج ١ ص ٢٤٩

خروج عن الفطرة ، ولا عن الشريعة » (١)

وعبارته الأخيرة صريحة في قوله بالتجسيم . وقد تبعه على ذلك عدة ممن هم على شاكلته ..

هذا مجمل القول في نبز الشيعة في تعطيل الصفات وتأويل الآيات . وقول أهل الحديث والسلفية في المسألتين .

---

(١) حاشية التبصير ص ٩٤ و ٩٦ نقلاً عن ابن زكنون الحنبلي في الكواكب الدرية، عن ابن تيمية.

ولأجل فظاعة عقيدة التجسيم والتشبيه وبشاعتها، ومنافرتها للعقل والفطرة فقد غلب مذهب الأشاعرة ، وهم من أهل التنزيه على مذهب أهل الحديث ، فطبق التنزيه العالم الاسلامي كله إلا من بقي من الحنابلة في الشام وبغداد ، وأماكن قليلة أخرى .. حتى جاء ابن تيمية في القرن الثامن ، فجدد القول بالتشبيه في الناس ، وسمى دعوته الجديدة بـ « السلفية » وادعى الرجوع إلى السلف الصالح في العقائد والفروع .. والانصاف أن ابن تيمية كان أشجع من أهل الحديث في هذه القضية ، فإن أهل الحديث كانوا يلتزمون بواقع التشبيه ويتحاشون من إطلاق لفظ « المشبهة والمجسمة عليهم » . فهم كانوا يقررون المعنى ، ولكنهم يأبون عن اللفظ أما ابن تيمية فقد قرر التشبيه بصراحة كاملة ولم يتحاش من شيء ، بل صرح بترجيح القول بالتجسيم في كتبه فقال :

« .. ومن المعلوم أن قول نفاة الرؤية والصفات، والعلو على العرش ، والقائلين بأن الله لم يتكلم ، بل خلق كلاماً في غيره ، ونفيهم ذلك، لأن إثبات ذلك تجسيم ، هو إلى مخالفة الكتاب ، والسنة ، والاجماع السلفي ، والآثار أقرب من قول من أثبت ذلك ». (١)

وقال أيضاً : « ليس في كلام الله ، ولا سنة رسوله ، ولا في كلام أحد من الصحابة والتابعين ، ولا الأكابر من أتباع التابعين من ذم المشبهة ، ونفى مذهب التشبيه وإنما اشتهر هذا من جهة الجهمية». وقال أيضاً : فمن المعلوم: أن الكتاب ، والسنة ، والاجماع لم تنطق بأن الأجسام كلها محدثة ، وأن الله ليس بجسم ، ولا قال ذلك إمام من أئمة المسلمين ، فليس في تركي لهذا القول

(١) درء تعارض العقل والنقل ج ١ ص ٢٤٩

خروج عن الفطرة ، ولا عن الشريعة » (١)

وعبارته الأخيرة صريحة في قوله بالتجسيم . وقد تبعه على ذلك عدة ممن هم على شاكلته ..

هذا مجمل القول في نبز الشيعة في تعطيل الصفات وتأويل الآيات . وقول أهل الحديث والسلفية في المسألتين .

(١) حاشية التبصير ص ٩٤و٩٦ نقلاً عن ابن زكنون الحنبلي في الكواكب الدرية، عن ابن تيمية.

أهل السنة وبواطن القرآن

ويعود كاتب مجلة الدعوة إلى الحملة على الشيعة بأنهم يعتقدون : أن للقرآن ظاهراً وباطناً ..

ونحن نقول له : لقد روى السيوطي بسنده ، قال: قال رسول الله ﷺ: لكل آية ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ، ولكل حد مطلع [1] .

وبالسند عن ابن عباس قال : إن القرآن ذو شجون وفنون ، وبطون .... ومحكم ومتشابه ، وظهر وبطن ، فظهره التلاوة ، وبطنه التأويل [2] .

وذكر عن الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في كتابه : لطائف المنن قوله : اعلم أن .... (إلى أن قال) : ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ، ودلت عليه في عرف اللسان . وثم أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه ، وقد جاء في الحديث : لكل آية ظهر وبطن . انتهى .

وذكر عن ابن مسعود ، قال : إن القرآن نزل على سبعة أحرف ما منها

---

(١) الاتقان ج ٢ ص ١٨٤ ، والموافقات للشاطبي ج ٣ ص ٣٨٢ .

(٢) الاتقان ج ٢ ص ١٨٥ .

حرف إلا وله ظهر وبطن ، وان علي بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن (١) .

إلى غير ذلك من الروايات في هـــذا المعنى .. فالقول بأن للقرآن ظاهراً وباطـناً لا يختص بالشيعة ، ان كان في هذا القول مـا يوجب التشنيع والحذر ..

(١) الاتقان ج ٢ ص ١٨٧ . وليراجع هامش الموافقات ج ٣ ص ٣٨٢ عـن كتاب التبصير .

قاعدة التحسين والتقبيح العقليين

لولاكم لعمّ الاسلامُ العالم

ويقول الكاتب : « واخضاعهم النصوص القرآنية لقاعدة التحسين والتقبيح العقليين ، التى بمقتضاها يتصرفون في النصوص كما يشاؤون .. »

ونحن نقول : يظهر من هذا الكلام : أن صاحب المقال يرى : أن القرآن يخالف الحكم العقلي ويقاومه وجهاً لوجه . مع أنه ليس في القرآن شيء يخالف ما يحسنه ، وما يقبحه العقل ، حتى تصل النوبة إلى اخضاع النص القرآني للعقل . بل إن من خصائص هذا الدين ، وامتيازاته على سائر الأديان: أنه موافق في عقائده وتشريعاته وأخلاقه للعقل . نعم قد أدخلتم أنتم في هذا الدين ما ليس منه مما ينافي العقل مثل : التشبيه والتجسيم ، والقول بالجبر ، والعقاب على ما قدر من الكفر والمعاصي ، مما ليس للانسان – عندكم – فيه أي اختيار ، والقول بجعل القرآن شريكاً لله في القدم وعدم المخلوقية ، وأشباه هذه النافهات ، غير المعقولة – أدخلتم كل ذلك – في الدين بل جعلتموها أركانه باسم السنة الصحيحة ، وعقيدة السلف الصالح . فلولا هذه الأمور الغريبة عن الدين والعقل لكان الاسلام مقبولا لدى كل العقلاء من الناس ، ولعم هذا الدين العالم كله . وبهذه المخزيات ونظائرها صددتم الناس عن سبيل الله ، ومنعتموهم من الدخول في دينه :

العقل محكوم بالاعدام عندكم :

ومن الواضح : أن ما يسعى إليه المتخاصمان في البحوث العلمية والدينية هو

أن يثبت كل منها : أن كلام خصمه مخالف للعقل ، وهذا هو دأب العقلاء في بحوثهم على مر الزمن .. ولكن أهـل الحديث حينما يريدون البحث مع الشيعة ينكرون العقل ، وحكمه بالحسن والقبح من أصله وأساسه ، فأراحوا خصمهم بفضيحة أنفسهم ، فضيحة ما بعدها فضيحة – لو كانوا يعقلون !! –

فإذا أنكرنا العقل وأحكامه فلا يقف حجر ..

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

فبماذا وكيف نستدل على صحة ديننا ، ومعتقداتنا ، وإذا كان الانسان ممنوعاً عن اتباع أحـكام وإرشادات العقل ، فكيف يؤمن بالحق ، ويكفر بالباطل ، ويفرق بينهما ، وأي بصيرة تبقى مع إنكار العقل وحكمه وما معنى أن يأمر الله نبيه أن يقول للناس : قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني . وما معنى قوله تعالى : إن في ذلـك لآيات لقوم يعقلون ، يتفكرون ... إلى غير ذلك من آيات . وقال علي عليه السلام : في شأن الأنبياء والرسل ، في كلام له : فبعث فيهم رسله .. ليستأدوهم ميثاق فطرته ويثيروا لهم دفائن العقول .. الخ .

وقال أيضا في جماعة يظهر انهم من الخوارج أو من هم على شاكلتهم «جعلوا الدين من اقفال البصيرة ، ومغاليق العقل ، فهم أغرار مرحومون ، يسيئون ويحسبون أنهم يحسنون .. الخ) .

وما أبعد ما بين المنهجين : منهج الله ، ورسوله ، ووليه في تركيز الدين على البصيرة ، واثارة دفائن العقول . ومنهج أهل الحديث المنكرين لحكم العـقل بالحسن والقبح وما أقرب منهج هؤلاء إلى منهج النصارى في عقيدتهم غير المعقولة بالتثليث في التوحيد وقولهم : نعتقد ولا نفهم حتى قال أحد القديسين القدامى وهو أوغسطين : « أومن بهذا لأنه محال » .

ومن المؤكد أنه ليس الاستسلام للمتناقضات بصيرة في الدين .

فيصدق تارة بالحديث الذي رده رسول الله الذي زعم فيه اليهودي : أن الله سيرقص خلقه على رؤوس أصابعه ، وذلك حينما ضحك الرسول منه ، وقرأ وما قدروا الله حق قدره .. ثم يصدق ويؤمن أن الرسول قد صدق اليهودي في زعمه !! ..

ثم يؤمن بأن لله أعضاء وجوارح ، حسب أحاديث الصفات ، ومع ذلك يؤمن بأنه تعالى : ليس كمثله شيء ..

ثم يؤمن بحديث الرؤية وان الله يرى في الآخرة ، لا تضامون في رؤيته ، وأن النبي صلى الله عليه وآله رآه في المعراج .. كما يؤمن بقوله تعالى : لا تدركه الأبصار .

فهل يكون الاستسلام للمتناقضات معناه الايمان بها كلها ، أو معناه عـدم الايمان بشيء منها ، حين نعلم : أنه لا يمكن الايمان بالمتناقضين .

والدين .. إذا لم يكن مبنياً على البصيرة والتعقل ، فهو كسراب بقيعة ، يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ..

بين الرأي والاستحسان وحكم العقل :

ومن العجيب هنا : إنكارهم على الشيعة قولهم بحكم العقل القطعي وعـدم انكارهم على القول بالرأي والاستحسان والقياس ، حتى إنه لينسب إلى أحمد ابن حنبل قوله بالقياس في بعض الموارد .

وهذا يذكرنا بقول المستشرق هـ . ريتر : إن الخصام مع الفرق هـو الذي تسبب في تشكل عقائد أهل السنة .

وبعد كل ما ذكرناه فإن صاحب المقال لم يذكر لنا ولو مورداً واحـداً ، تصادم العقل فيه مع القرآن أو النصوص ، وقد اخضعنا فيه القرآن للعقل كما شئنا على حد تعبيره ..

عصمة الأئمة

قال كاتب المقال أيضاً : « وما يعتقدونه في الأئمة من العصمة .. الخ »

ونقول له : لا بد في الامام الحـق من العصمة ، وإن الله يحفظ عباداً له من الوقوع في المعاصي ، وذلك بإراءتهم الحق والبرهان ، فيجتنبون باختيارهم السوء والفحشاء .

ويدل على ذلك قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام :

« ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ، إنه من عبادنا المخلصين »[1] .

فقد صرف الله السوء عن يوسف ، معللاً ذلك بأنه كان من العباد المخلصين ، وهذا التعليل عام يشمل كل من كان من عباد الله المخلصين ، ولا يختص بيوسف والأنبياء . وليست العصمة إلا صرف السوء والفحشاء عن الانسان ، واذن فما هو وجه الإشكال في عصمة من جعلهم الله ثاني الثقلين ، وذكر عدتهم وأنهم اثنا عشر في حديث آخر مشهور ، وجعل الله ذكرهم والصلاة عليهم بعد ذكر النبي في الصلاة واجباً على كل مسلم ، يصلي عليهم المسلم في اليوم والليلة تسع مرات – في تشهداته – على الأقل .

---

(١) سورة يوسف : ٢٤ .

فهل يا ترى كان الله تعالى يحامل رسوله حينما أدرج ذكر آل محمد بعد ذكر محمد ﷺ مباشرة ؟

أم ان ذلك كان منه جزافاً وعبثاً ؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وإذا كانوا هم المرجع الديني لأمة محمد ﷺ بحديث الثقلين الصحيح المشهور، وبحديث سفينة نوح ، وآية التطهير وغير ذلك مما يتعذر حصره – إذا كانوا كذلك – فلا بد وأن يكونوا معصومين ، وإلا لكانوا غير مأمونين على دين الله وأحكامه ..

وقد صرح بعضكم بعصمة الصحابة ، بل وتثبتون لغيرهم ما هو فوق العصمة بمراتب .. فلماذا يضيق صدركم ، وتتغير أحوالكم حينما تصل النوبة إلى أهل البيت عليهم السلام ، مع أن مجاميعكم الحديثية وغيرها تضيق في الأحاديث الصحيحة والمشهورة ، والمتواترة، والتي يدل الكثير منها على عصمتهم ، ووجوب اتباعهم ، والاقتداء بهم دون غيرهم ..

علومهم (ع) :

ويقول ذلك الكاتب أيضاً :

« وما يعتقدونه في الأئمة من العصمة ، والعلم المحيط بكل شيء ، بحيث أباحوا لأنفسهم الاستغاثة بالأئمة .. »

فنقول :

اولا : ان قوله بحيث أباحوا .. الخ لا يرتبط بحسب المعنى بما تقدمه لا بالعصمة ، ولا بالعلم المحيط . وهذا مثل قولك : يرونهم جالسين بحيث رجعوا عن الطريق . وهذا لا معنى يحصل له .

وثانيا : أن نسبة العلم المحيط بكل شيء إلى الأئمة كذب على الشيعة الامامية . نعم يلزم عندهم أن يكون الامام عالماً بالأحكام والشرائع ، وما يحتاج إليه الناس في أمر دينهم . وما سوى ذلك لا مانع عقلي أن يعلمهم الله إياه إذا شاؤوا كما ورد في بعض الروايات ، فإذا لم يكن فيه ما يعارض القرآن الكريم ، وثبت عنهم عليهم السلام نقل مستفيض قطعي ، في تحديد علومهم ، أو توسيعها فذاك حق نأخذ به ، وأما مجرد وجود روايات لا توجب العلم فهذا لا يكفي عند الشيعة في أن يجعل مضمونها عقيدة من عقائدهم . وإن كانوا لا يردونها أيضاً بشكل قاطع بل يكلون علمها إلى عالمها ، وبذلك أمروا من قبلهم عليهم السلام في غير روايات الأحكام . وأما روايات الأحكام فإذا صح سندها ولم تخالف الكتاب ، فيعمل على طبقها .

الأستغاثة بالأئمة :

وأما قوله : (أباحوا لأنفسهم الاستغاثة بالأئمة) .

فنقول :

أما الاستغاثة برسول الله وبآله ﷺ وبالأولياء ، فهي إما شرك أو كفر ، أو أنها حرام لا تبلغ مرتبة الشرك والكفر ، أو انها جائزة مطلقاً إذا اعتقد المستغيث بعبوديتهم ، أو انها محرمة بصورة ، وجائزة بل مندوبة بصورة أخرى فهذا أمر كثر فيه الحوار منذ سبعة قرون ، من عصر ابن تيمية إلى الآن. وسمعتم جوابه مكرراً من الشيعة ، ومن غير الشيعة ، وكان يكفي فيه بعض ما قيل، وبعض ما كتب – لو كنتم تعقلون – ولكن هذه المسألة قد صارت رأس المال لدعوتكم الجديدة ، ولذا فأنتم تدرجونها في كل مورد لمصلحة تعلمونها ، ونحن نشير أيضاً إلى اجمال ما ذكروه ، ونكرر ما كرره :

ما تراانا نقول إلا معاداً أو معاراً من لفظنا مكروراً

فهل يا ترى كان الله تعالى يجامل رسوله حينما أدرج ذكر آل محمد بعد ذكر محمد ﷺ مباشرة ؟

أم ان ذلك كان منه جزافاً وعبثاً ؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وإذا كانوا هم المرجع الديني لأمة محمد ﷺ بحديث الثقلين الصحيح المشهور، وبحديث سفينة نوح ، وآية التطهير وغير ذلـــك مما يتعذر حصره – إذا كانوا كذلك – فلا بد وأن يكونوا معصومين ، وإلا لكانوا غير مأمونين على دين الله وأحكامه ..

وقد صرح بعضكم بعصمة الصحابة ، بل وتثبتون لغيرهم ما هو فوق العصمة بمراتب .. فلماذا يضيق صدركم ، وتتغير أحوالكم حينما تصل النوبة إلى أهل البيت عليهم السلام ، مع أن مجاميعكم الحديثية وغيرهـا تضيق في الأحاديث الصحيحة والمشهورة ، والمتواترة، والتي يدل الكثير منها على عصمتهم ،ووجوب اتباعهم ، والاقتداء بهم دون غيرهم ..

علومهم (ع) :

ويقول ذلك الكاتب أيضاً :

« وما يعتقدونه في الأئمة من العصمة ، والعلم المحيط بكل شيء ، بحيث أباحوا لأنفسهم الاستغاثة بالأئمة .. »

فنقول :

اولا : ان قوله بحيث أباحوا .. الخ لا يرتبط بحسب المعنى بمـا تقدمه لا بالعصمة ، ولا بالعلم المحيط . وهذا مثل قولك : يرونهم جالسين بحيث رجعوا عن الطريق . وهذا لا معنى يحصل له .

وثانيا : أن نسبة العلم المحيط بكل شيء إلى الأئمـــة كذب على الشيعة الامامية . نعم يلزم عندهم أن يكون الامام عالماً بالأحـكام والشرائع ، وما يحتاج إليه الناس في أمر دينهم . وما سوى ذلك لا مانع عقلي أن يعلمهم الله إياه إذا شاؤوا كما ورد في بعض الروايات ، فإذا لم يكن فيه ما يعارض القرآن الكريم ، وثبت عنهم عليهم السلام نقل مستفيض قطعي ، في تحديد علومهم ، أو توسيعها فذاك حق نأخذ به ، وأما مجرد وجود روايات لا توجب العلم فهذا لا يكفي عند الشيعة في أن يجعل مضمونها عقيدة من عقائدهم . وإن كانوا لا يردّونها أيضاً بشكل قاطع بل يكلون علمها إلى عالمها ، وبذلك أمروا من قبلهم عليهم السلام في غير روايات الأحكام . وأما روايات الأحكام فإذا صح سندها ولم تخالف الكتاب ، فيعمل على طبقها .

الأستغاثة بالأئمة :

وأما قوله : (أباحوا لأنفسهم الاستغاثة بالأئمة) .

فنقول :

أما الاستغاثة برسول الله وبآله ﷺ وبالأولياء ، فهي إما شرك أو كفر ، أو أنها حرام لا تبلغ مرتبة الشرك والكفر ، أو انهـا جائزة مطلقاً إذا اعتقد المستغيث بعبوديتهم ، أو انها محرمة بصورة ، وجائزة بـــل مندوبة بصورة أخرى فهذا أمر كثر فيه الحوار منذ سبعة قرون ، من عصر ابن تيمية إلى الآن. وسمعتم جوابه مكرراً من الشيعة ، ومن غير الشيعة ، وكان يكفي فيه بعض ما قيل، وبعض ما كتب – لو كنتم تعقلون – ولكن هذه المسألة قد صارت رأس المال لدعوتكم الجديدة ، ولذا فأنتم تدرجونها في كل مورد لمصلحة تعلمونها ، ونحن نشير أيضاً إلى اجمال ما ذكروه ، ونكرر ما كرره :

ما تراانا نقول إلا معاداً أو معاراً من لفظنا مكروراً

وهو أنه ان كان معنى الاستغاثة بغير الله تعالى ، وطلب الحوائج من غيره هو التوجه إلى ذلك المدعو الذي هو غير الله لأن يقضي هو بنفسه – أي غير الله – هذه الحاجة بقدرته الذاتية ، فذلك أمر باطل ومحرم بهذه الصورة ،وأما ان كانت استغاثة غير الله بصورة الاستشفاع والتوسل به ليتضرع هو – المدعو – إلى الله تعالى، ويدعو الله تعالى لقضاء الحاجة فهذا صحيح مرغوب فيه شرعاً، إذ لا تشمله الآيات الكثيرة الدالة على حرمة دعاء غير الله ، لأنها خاصة فيمن يعتقد بألوهية المدعو ، كما هو كذلك في موارد نزول الآيات المذكورة، أو فيمن يعتقد تصرّف المدعوين في الكون . وأما دعاء غير الله للاستشفاع والتوسل به إلى الله إذا كان لذلك الغير أهلية ومقاماً عند الله مثل رسول الله ﷺ فهو من مصاديق قوله تعالى : « لولا اذ جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيما » :

وهو أيضاً من قبيل قول بني يعقوب : « يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين » .

وأما القول بجواز هذا الطلب في عصر رسول الله منه ﷺ ، وعدم جوازه في مماته لأنه كفر وشرك فهو في معنى أن الشرك بالله جائز في حياة الرسول ، وعدم جواز الشرك بعد مماته ، وهذا شطط من القول،وسفه من الكلام،ورسول الله والشهداء والصديقون أحياء عند ربهم يرزقون ، وتعرض أعمالنا على النبي ﷺ ، ويبلغه كلامنا وسلامنا ، ويدعو ربه لنا .

وإذا جهل عاميّ بالفرق بين الصورتين الجائزة والمحرمة ، واتفق أنه دعى غير الله بالصورة غير المشروعة ، فيجب أن يعلّم ويرشد إلى الصورة الجائزة منها ، لا أن يبتدع مذهب جديد في المسلمين ، أو يكفّر عامتهم .

النذر للأئمة (ع) :

وأما قوله : (وتقديم النذر لهم) فهو مغالطة نراهم يكررونها ، ويجعلونها من جملة الشواهد على غلوّ الشيعة في رسول الله وأوصيائه المكرمين صلى الله عليهم أجمعين ، مع أنها موجودة في غير الشيعة أيضاً ..

وحل هذه المغالطة هو أنه وقع الخلط في معنى اللام الجارة الداخلة على لفظ « الله أو النبي والولي » فإذا قلت نذرت لله ، أو نذرت للنبي ؛ فإنه على وجهين :

الأول : أن تكون اللام الجارة متعلقة بالنذر ، وبمقتضى النذر يجعل الناذر نفسه مديوناً لمدخول اللام ، وفي هذه الصورة ان كان مدخول اللام هو الله فهو صحيح ، وان كان غيره فباطل محرم .

الثاني : ان تكون اللام بمعنى الانتفاع كأن يجعل الناذر لله على نفسه مقداراً من المال للحجاج والفقراء ، فيطلق على هذا المال أنه نذر للفقراء ، والحجاج ولكن لا بالمعنى الأول ، بل بمعنى أنه ينتفعون بهذا النذر ، وليس معنى جعل الفقراء والحجاج مدخولاً للام أن الناذر أشركهما لله بل معناه ان هذا النذر قد أوقعه لله فقط، وجعل نفسه مديوناً له في هذا النذر،لينتفع به الحجاج والفقراء، وهذا صحيح بلا اشكال ؛ فالنذر للنبي والأوصياء والأولياء ، هو بمعنى جعل نفسه مديوناً لله ، واهداء الثواب لهم ، وهذا مصرح به في كتب الفقه ، وقالوا أن شرط صحة النذر ، أن يتعهد لله تعالى . وان يجعل لله عليه ، فليرجع المراجع إلى أي كتاب من فقه الأمامية شاء ؛ فإنه يجد ذلك .

ولكن .. ماذا نفعل بجماعة يكذبون علينا من غير مبالاة بالدين والتقوى، وسترى كما رأيت في مقال الكاتب جملة كثيرة من هذه البضاعة الخاصة بهم .

زيارة الأئمة (ع) :

وقال :

(وشد الرحال إلى قبورهم)

وهذه المسألة أيضاً من المسائل التي قامت عليها الدعوة السلفية الجديدة ، وكتب في اثبات عدم المنع عن الزيارة رسائل عديدة ، وليست في الواقع إلا مسألة فقهية فرعية كغيرها من المسائل التي اختلف فيها فقهاء الأمة في القرون المتأخرة . أما في القرون السبعة الأولى فلم يقرها المسلمون أي اهتمام ، ولا ناقشوا فيها . بل حدث النقاش فيها من القرن السابع حينما طلع ابن تيمية بمخترعاته الغريبة العجيبة .

فتقريع الكاتب لغيره على أمر مستحدث – هو من خصائص الكاتب المذهبيه التي ظهرت في القرون المتأخرة – في غير محله على الاطلاق ، وهو مثل أن يوبخ يهودي مسلماً ويقول له : انتم الذي لا تعطلون يوم السبت فيقول له المسلم نعم نحن كذلك بحمد الله .

لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة :

وأما قوله ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد .. » فلا دلالة فيه على المنع التحريمي ، إذ لو استدل بعمومه على حرمة السفر لغير الثلاثة ، حتى إلى قبور الأئمة عليهم السلام لزم منه القول بتحريم كل سفر مطلقاً إلا إلى المساجد الثلاثة ، وهذا مما لا يتفوه به عاقل ؛ فعدم الأخذ بعموم الحديث الشريف ، وحمله على معنى معقول مما لا بد منه .

ولتوضيح ذلك نقول : لا بد من تقديم كلام نقضي حول الحصر بإنما ، حتى يتضح أن الجواب عنه هو الجواب فيما نحن فيه أيضاً ؛ فنقول : قد حصر الله

تعالى المؤمنين بقوله : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) [1] .

والظاهر البدوي من الحصر ان المؤمنين منحصرون فيمن له هذه الأوصاف فقط ، ومن لم تكن هذه الأوصاف فيه فهو خارج عن زمرة المؤمنين وذلك الحصر على هذا المعنى . وفي مقابل ذلك نرى أن القرآن الكريم يحصر المؤمنين في من لهم أوصاف أخرى ، حيث يقول في آية أخرى : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه . . » [2]

وبناء على الجمود والحصر تتناقض الآيتان أشد التناقض ، لأن أولاهما تنفي صفة الايمان – بدلالة الحصر بإنما – عمن يحصر به الايمان في الآية الثانية – وهذا بين آيتين فقط ، فكيف إذا لاحظنا آية ثالثة وهي قوله تعالى : « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون » [3] .

أترى أن الله تعالى لم يكن عالماً بلسان العرب ، وبالحصر المفهوم من إنما . أو أنه تعالى نسي ما قاله سابقاً فتناقض كلامه ؟ !! تبارك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

والجواب عن ذلك : هو أن الحصر بإلا أو بإنما قد يؤتى به بداعي الحصر الحقيقي ، وقد يؤتى به بداعي التأكيد ، وإذا كان بداعي التأكيد فلا تناقض

---

(١) الانفال ٢ ـ ٣

(٢) النور ٦٢

(٣) الحجرات ١٥

بين الآيات السابقة – كما لا تناقض لدى التأكيد بين قول القائل إنما الرجل زيد، وقوله مره أخرى إنما الرجل عمرو – لأن هذه الآيات كلها في مقام بيان أهمية الصفات المذكورة في إيمان المؤمن ، لا في مقام الحصر الحقيقي فيمن له الصفات المذكورة بعد إنما ، وكذلك الكلام في قوله : لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، فإن الوجه فيه هو بيان أهمية المساجد المذكورة ، وانها مما ينبغي أن تشد الرحال اليها ، غاية الأمر أنه أكد ذلك بصورة الحصر بإلا وذلك مثل قوله تعالى : « الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها إلا زان أو مشرك »[1].

ولم يقل أحد بجواز تزويج الزانية المسلمة بمشرك ، ولا عكسه ، والسر فيه هو أن الآية الشريفه في مقام بيان المناسبة التامة بين المشرك والزاني ، والمشركة والزانية ، لا في مقام بيان الحكم شرعاً .

ومعرفة وجه الكلام ولحن الخطاب هو المهم في تشخيص مراد المتكلم ، فمثل صيغة الأمر « افعل » قد تكون بداعي البعث الحقيقي ، وقد تكون بداعي التعجيز كقوله : اعملوا ما شئتم ، وقد تكون بداعي السخرية والاستهزاء كأمر العاجز بقولك طر إلى السماء ، وغير ذلك من الوجوه ، ومثل ذلك أيضاً الترجي الوارد في قوله تعالى : « فقولا له قولاً ليّناً لعله يتذكر أو يخشى [2] » مع أن الترجّي الحقيقي يستلزم الجهل ، وهو محال في الله تعالى .

عدو الانسان ما جهل :

وهذه أمور قد أوضحها أصحابنا في مباحث الألفاظ في كتبهم في أصول الفقه ، وإن كان يصعب علينا إفهامها لمن كان ينكر المجاز ، ويسميه طاغوت

---

(١) النور ٣
(٢) طه ٤٤

المجاز ، أو كان بعيداً عن هذه النكات والدقائق بمراحل كثيرة ، وقد لايكون في ذلك عجب ، وإنما العجب في أننا نكفّر لجهالة قوم آخرين .

وهكذا فنحن نتحمل تبعة جهل غيرنا ، ونعد من المشركين لأن غيرنا يجهل ، وذلك واضح في العديد من المسائل :

منها : السجدة على التربة الحسينية على مشرّفها الصلاة والسلام ، حيث أنه إلى هذه الغاية لم يخرج الشيعة بنظر هؤلاء عن الشرك ؛ لأنهم يزعمون أن الشيعة يسجدون للحسين ، وتراب قبره ، ولم يدركوا الفرق بين السجود للتربة ، والسجود على التربة ، ولقد كانت كودنه النقلة مضرب الأمثال من سالف الأزمان ، كما قاله الصفدي ، وقبله سبقه الزمخشري إلى ذلك حيث قال ببيان أوضح وأبلغ:

وإن قلت من أهل الحديث وحزبه يقولون ليس يدري ويفهم

وإذا كان ثمة معنى فيه أدنى شيء من الابهام والغموض ، ولو مثل بين سجد له وسجد عليه ، فإنه يستحيل عليه أن يدخل في رؤوسهم تلك غير المباركة !

ومنها : أنهم يحملون التكريم والتعظيم لقبر الرسول ﷺ أو واحد من ولده وصحابته ، أو ولي من الأولياء بتقبيل ضرائحهم ولثمها ، يحملون ذلك عبادة ، ولأجل هذا الزعم البارد ولعدم شعور هؤلاء بالفرق بين العبادة والتعظيم يكفّرون جميع المسلمين ما عدا أنفسهم ، بلا حجة ولا برهان ، لأنهم – على زعمهم – عابدون للقبور مشركون بتقبيلهم وتعظيمهم ، (فهذا التحريم) إذن بدعة حجاجية ، وقد وجد في السلف الصالح ! ومن أهل الحديث من اتخذ الحجاج إماماً في الدين ، فذكر ابن حجر في ترجمة منذر بن حسان ان ابن حبان ذكره في الثقات ، وقال : يروى عن سمرة قال : وكان حجاجياً يقول : من خالف الحجاج فقد خالف الإسلام [1] .

---

(١) لسان الميزان ج ٦ ص ٨٩

وقد كان الناس يطوفون بقبر رسول الله ﷺ ومنبره منذ الصدر الأول – فليراجع الكتاب القيم « تبرك الصحابة والتابعين بآثار النبي ﷺ والصالحين » لمؤلفه العلامة المحقق المتتبع الشيخ علي الأحمدي فإنه جمع فأوعى .

ولقد رأى الحجاج الناس يطوفون بقبر النبي ﷺ ومنبره فقال : « إنما يطوفون برمة وأعواد » وهذا مما كفرت به الفقهاء الحجاج بن يوسف [1] .

ولا أدري لم خص تقبيل القبور بأنه عبادة ، ولم يجعل تقبيل رؤوس الأحياء وأيديهم ، تعظيماً لهم عبادة ؟ ! وهذا شايع عندهم أيضاً ، وليس كل تعظيم وتكريم عبادة ، ولا يخطر ببال الزائر ان ذلك إخراج للمزور عن حد العبودية ، ولكن المسألة هنا ترتبط بما هو رأس المال لهذه الدعوة الجديدة ، ولا يمكن أن يكتفى فيها بهذة الإشارة العابرة ، ولو كانت واضحة كل الوضوح ، بل ولا كتب ومقالات كثيرة .

« ان الذين حقّت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية »[2] .

المآتم الحسينية :

ويستنكر الكاتب أيضاً (إقامة المآتم في مستهل كل عام) ..

وان الانكار على زيارة الإمام الحسين عليه السلام ، وعلى إقامة مآتمه شنشنة نعرفها من أخزم ، وقد قال الخليفة الراضي في سنة ٣٢٣ في توقيعه إلى الحنابلة لما شغبوا في بغداد بعد أن عاب عليهم قولهم بالتشبيه ، « وان صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين ، وهيئتكم الرذلة على هيئته ، وتذكرون

(١) الكامل للمبرد ج ١ ص ١٣٠
(٢) يونس ٩٦/٩٧

الكف والأصابع والرجلين ، والنعلين المذهبين والشعر القطط . . وإنكاركم زيارة قبور الأئمة وتشنيعكم على زوارها بالابتداع ، وأنتم مع ذلك تجمعون على زيارة قبر رجل من العوام ، ليس بذي شرف ولا نسب ، ولا سبب برسول الله ﷺ وتأمرون بزيارته وتدعو له معجزات الأنبياء ، وكرامات الأولياء »[1] .

والإنكار على زيارة الحسين عليه السلام وإقامة مآتمه قد كان منذ تشكل جماعة من أهل الحديث ، بظهور الإمام أحمد بن حنبل في عصر الخليفة الناصبي المتوكل ، الملقب عند أهل السنة بـ « محيي السنة » الذي كان يتشبه المضحك في مجلسه بأمير المؤمنين صلوات الله عليه ، وأهل المجلس يقولون : قد أقبل الأصلع البطين أمير المؤمنين ، والذي خرب قبر الحسين عليه السلام ومنع الناس من زيارته ، وإلى غير ذلك مما يدل على مجونه ونصبه .

هذا !. ويعد من مفاخره أنه أمر أهل الحديث برواية أحاديث الصفات (إي اليد والعين والرجل) ، ولأجل هذا قال المؤرخ الحنبلي فيه : وارتفعت السنة جداً في أيام المتوكل على الله عفى الله عنه ، وكان لا يولي أحداً إلا بعد مشورة الإمام أحمد » [2] .

وقد تقدم عن الخوارزمي ان دولة المتوكل إنما كانت دولة النواصب والحشوية .

المهازل والتمثيليات :

ويقول الكاتب :

« بما تنطوي عليه هذه المآتم من مهازل وتمثيليات » .

(١) الكامل لابن الأثير ج ٨ ص ٣٠٧
(٢) البداية والنهاية ج ١٠ ص ٣١٦

أما كونها مهازل فلعلها كذلك عند من تأصلت فيـــه النزعة الأموية ويفرح بمصائب الحسين عليه السلام وآل محمد ﷺ .

ولكن قد كان عند سلفكم الصالح والشاميين بالخصوص مهازل أيضاً أغرب وأعجب بمناسبة قتل الحسين عليه السلام بالذات ، حيث جعل بنو أميـة يوم عاشوراء عيداً لهم يتبركون به بمناسبة قتل الحسين عليه السلام ، ويروون لهم فيها الروايات المعنعنة والتي لا داعي لذكرها ، ولذا قال السيد الرضي رحمه الله.

كانت مآتم بالعراق تعدها أموية بالشام من أعيـادها

وليراجع أيضاً ما ذكره المقريزي والبيروني وغيرهما [1] .

وأما التمثيليات فلعل الشيعة قد تعلموها أولاً من المتوكل – محيي السنة – حيث « بنى بمدينة سامراء كعبة ، وجعل طوافاً ، واتخذ منى وعرفات ليغرّ بذلك أمراء كانوا معه لما طلبوا الحج خشية أن يفارقوه » [2] .

والمتوكل قد تعلم ذلك من سلفه الصالح !! عبد الملك بن مروان كما قال ابن كثير الحنبلي : « فبنى القبة على الصخرة ، والجامع الأقصى ليشغلهم بذلك عن الحج ، وينحرون يوم العيد ، ويحلقون رؤوسهم ، ففتح بـذلك على نفسه بأن شنع ابن الزبير عليه » [3] .

وثانياً : مما فعلته الحنابلة كما ذكر ابن كثير في حوادث سنة ٣٦٣ في ذكر الفتنة بين الحنابلة والشيعة ببغداد : « إن جماعة من أهل السنـة أركبوا امرأة

(١) راجع الخطط للمقريزي ج ١ ص ٤٩٠ . والكنى والألقاب ج ١ ص ٤٣١

(٢) أحسن التقاسيم ص ١٢٢

(٣) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٨٠

وسموها عائشة ، وتسمى بعضهم بطلحة وبعضهم بالزبير ، وقالوا نقاتل أصحاب علي ، فقتل بسبب ذلك من الفريقين خلق كثير » [1] .

ومن المحتمل جداً زيادة كلمة « أصحاب » من النساخ ، وان القائمين بالتمثيل قالوا : نقاتل علياً ، لأن المفروض أنه تمثيل لوقعة الجمل الأصلية .

نعم . لما رأى الحنابلة ان الشيعة يحتفلون بيوم الغدير ، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، ويزورون الحسين عليه السلام في مواسم معينة .. لما رأى الحنابلة ذلك تعلموا من الشيعة ، وسنوا الإحتفال بيوم الغار في اليوم السادس والعشرين من ذي الحجة بلا مناسبة ، وصاروا يخرجون لزيارة قبر مصعب بن الزبير في الثامن عشر من المحرم [2] .

ولم يكن فعل ذلك بدعة منهم طبعاً ، لأن البدعة هي ما يفعله الشيعـة فقط – كما عرفت من كلام الخليفة العباسي ان الحنابلة ينكرون زيارة الأئمة ، وهم يزورون قبر ابن حنبل.

وعلى هذا الرأي كثيراً ما ترى في تواريخ السنة في تاريخ مستهل كل عام : « وفي هذا اليوم (أي عاشوراء) اقتتلت الروافض والسنة » كل ذلك بحجـة رفع البدعة فراجع المنتظم لابن الجوزي .

لماذا أنتم تحقدون ؟

وذكر الكاتب :

ان إقامة المآتم هي : (لبعث الأحقاد الدفينة) .. وهذا أمر غريب حقاً.

(١) البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٧٠

(٢) المنتظم ج ٧ ص ٢٠٦

فلماذا تثور أحقادكم من ذكر كفر أبي سفيان ، ومعاوية بن آكلة الأكباد الباغي ، ويزيد القرود ، وزياد الدعي ، وابن مرجانة وأمثالهم ؟! ولماذا تسمي أنت أيها الكاتب هؤلاء الأرجاس الأنجاس بالسلف الصالح ؟! حيث قلت في مجلة الدعوة : « والاصرار على التعرض لسلفنا الصالح بالطعن والتجريح ... وذلك في مستهل كل عام هجري » . والشيعة لا يطعنون ، ولا يجرحون في مستهل كل عام هجري إلا في يزيد وآبائه وأتباعه .

أو ليس أبو سفيان شيخ الشجرة الملعونة في القرآن ، والذي لعنه النبي ﷺ هو الذي قاد الأحزاب ، وضرب برجله قبر حمزة بن عبد المطلب لما بويع عثمان وقال : يا أبا عمارة إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمس في يد غلماننا اليوم يتلعبون به »[1] .

وقيل له مرة وهو في أحد : « كان لك هنا يوم ، فقال : والآن لو كان لي رجال » .

ويروون عنه انه قال لعثمان : « تلقفوها تلقف الكرة ، فما هناك جنة ولا نار »[2] .

وقال عاصم الليثي : « دخلت مسجد رسول الله ﷺ والناس يقولون نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ، قلت : ما هذا ؟ قالوا معاوية مر قبيل أخذ بيد أبيه ، ورسول الله ﷺ على المنبر يخرجان ، فقال رسول الله ﷺ فيهما قولا »[3] .

---

(١) شرح النهج للمعتزلي .
(٢) تاريخ الطبري ، وحوادث سنة ٢٨٤ . وقاموس الرجال ج ٥ ص ١١٥ ر ١١٦ عنه وعن غيره ..
(٣) طبقات ابن سعد ج ٧ ص ٥٥ .

ومن المعلوم ان الرواه قد أجلوا في نقل ما اغضبا به رسول الله ﷺ وما قاله فيهما ..

ولقد شكر السلفية الجدد كفر أبي سفيان بأنحاء مختلفة ، فتارة نراهم قد أشادوا بذكره ، حيث أطلقوا على أحد شوارع مكة المكرمة ، اسم (شارع أبي سفيان) . واخرى نراهم قد شكروا له نفاقه فأطلقوا اسمه على أحد أسواق مكة .. كما أننا نراهم في نفس الوقت يحذرون من التفوه بكلمة « شعب أبي طالب » . وهذا الشعب معروف بهذا الإسم في تاريخ الإسلام ، ويتكرر ذكره في السيرة النبوية ، ويذكرنا بما لقيه رسول الله ﷺ وبنو هاشم في شعب أبي طالب من حزب الشيطان أبي جهل ، وأبي سفيان وأتباعهما من الخوف والجوع والضيق ، كما ويذكرنا أيضاً بتضحية « أبي طالب – مؤمن قريش » بنفسه وولده وعزه وجاهه وعشيرته في سبيل إعلاء كلمة الحق ، ونبوة ابن أخيه محمد ﷺ ، ولكنهم مع ذلك يحاولون طمس ومحو اسمه ، لأنه والد علي أمير المؤمنين وأب العترة الهادية عليهم السلام !!

معاوية وما أدراك ما معاوية :

ثم .. أليس معاوية رأس الفئة الباغية ، وهو الذي لم يصح من فضائله عند أهل الحديث إلا قول رسول الله ﷺ فيه : لا أشبع الله بطنه[1] رغم الأحاديث الكثيرة التي لفقها له النواصب وهو الذي كاد الغم يقتله ، ولا يشفي غيظه إلا أن يدفن ذكر رسول الله ﷺ دفناً وذلك لأنه يرى أن أخا هاشم (يعني به رسول الله ﷺ) جعل اسمه عقيب اسم الله تعالى وينادى باسمه على المآذن على رغم أنفه في كل يوم خمس مرات : أشهد أن محمداً رسول الله[2] ومعاوية هذا

---

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٩
(٢) مروج الذهب في شرح حال المأمون ج ٣ ص ٣٦٢

هو الذي جدد في المسلمين عقيدة المشركين واليهود بالجبر لبلوغ شهوة من شهواته وهي أن يجعل الخليفة بعده ولده يزيد فانظر إلى عقيدة الجبر هـذه ماذا فعلت بالمسلمين إلى اليوم فقد نقضت همهم وفتكت بعزائمهم ، فبقوا تحت نير المذلة « أذلة خاسئين مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان »[1] ولقد كان علي عليه السلام يعرف معاوية وبني أمية حق المعرفة حيث قال « ألا إن أخوف ما أخاف عليكم فتنة بني أمية فإنها فتنة عمياء مظلمة عمّت خطتها وخصت بليتها . » .

وأما يزيد :

وأما يزيد الخمور ، ويزيد القرود ، فهو القاتل لريحانة رسول الله سيد شباب أهل الجنة ، ومعه آل رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو الذي أباح المدينة المنورة ثلاثة أيام لما خرج عليه أهل المدينة بدافع ديني ، وقال فيه رئيسهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة ، وقد أحسن اليه يزيد في من أحسن – قال – : « . . فوالله ، ما خرجنا على يزيد ، حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء . إن رجلا ينكح الأمهات والبنات ، والأخوات ، ويشرب الخمر ، ويدع الصلاة ، والله ، لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاء حسناً[2] » .

ويزيد هذا أيضاً . . هو الذي ضرب الكعبة المعظمة بالمنجنيق ، إلى غـير ذلك من بوائق تلك الشجرة الملعونة ، من قبيل تحويل القبلة ، وتفضيل الخليفة على رسول الله والختم على أعناق الصحابة ، وتغيير أوقات الصلاة ، على ماذكره الجاحظ وغيره[3] .

---

(١) من كلام لفاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتهـا في أمر فـدك تصف حال العرب قبل الاسلام .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٤٧

(٣) رسائل الجاحظ طبعة عمر أبو النصر ص ٢٠٥

فبئس قوماً اتخذتموهم أولياء لكم ، تسمونهم بالسلف الصالح ، تحابون الناس فيهم ، وتعادون فيهم ، وقد قال الله تعالى : « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله »[1] .

وبعد . . أوليس التنويه بذكر أعداء محمد وآله . والدفاع عنهم . وتسمية الشوارع باسمهم وكتابه « حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معـاوية » عداءاً لله ولرسوله ولدينه . . أو لا يعتبر ذلك انتكاساً للقلب والفطرة الإنسانية ، وضرباً للمقاييس العقلية والفطرية عرض الحائط ، وقـد ذكر ابن المرتضى عن أبي علي الجبائي أنه كان إذا روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لعلي والحسن والحسين وفاطمة أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم يقول : العجب من هؤلاء النوابت يروون هذا الحديث ثم يقولون بمعاوية »[2] ولو كان الجبائي يرى نوابت عصرنا وتوليهم ليزيد لزاد عجبه ، ولطاش عقله .

على قسيم الجنة والنار :

ويستمر الكاتب يقول : (وعلاوة على ذلك فإنهم يزعمون بأن علياً شريك الله في جنته وناره) فنقول نحن لتلميذ اليهود المحرفين للكلم عن مواضعه : هذا كذب منك على الشيعة ، وأما كونه عليه السلام قسيماً للجنة والنار ، ومأموراً من الله في ذلك فليس ذلك بشرك ، وعليه دلت الروايات ، وقـد روى ابن حجر عن الدارقطني : ان علياً قال للستة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهـم كلاماً طويلا من جملته أنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي أنت

---

(١) المجادلة ٢٢

(٢) طبقات المعتزلة ص ٨٣ ولعل الصحيح ثم يتولون بمعاوية ، والنوابت والنابتة من ألقاب أهل الحديث ذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص ٨٠ وهي بمعنى الأراذل وكما ذكر من ألقابهم : الحشوية والغثاء والغثر .

قسيم الجنة والنار غيري ؟ قالوا اللهم لا [1] فلسوف يأمر علي عليه السلام إن شاء الله تعالى باتباع اليهود ، وأذناب الشجرة الملعونة النواصب ومحرفي الكلم عن مواضعه والكذابين المفترين على أهل الحق ، ابتغاء الفتنة – يأمر بهم – إلى النار ويقول: خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلّوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم وقد ظهر بهذا الحديث الشريف ان كون علي عليه السلام قسيماً للجنة والنار صحيح وليس ذلك بشرك ، بل الشرك الحقيقي هو أن تجعل مع الله تعالى شريكاً في القدم وعدم المخلوقية كما قال به أهل الحديث والسلفية بالنسبة إلى القرآن الكريم أو أن تجعل لله تعالى شركاء قدماء غير مخلوقين يستعيذ الناس بهم من الشرور كما قال به ابن تيمية ناقلاً ذلك عن أحمد بن حنبل أيضاً ويزيد عنده على الشركاء المذكورين حروف المعجم فإنها أيضاً شركاء لله في القدم على رأيه .

(١) الصواعق المحرقة ص ٧٥ ط سنة ١٣١٢ هـ

قِدَم القرآن مع الله تعالى

وحيث قد بلغت الجرأة بهذا الكاتب الحنبلي وأمثاله، إلى أن ينسبوا الشرك إلى الشيعة !، فإن رجائي الأكيد من القارىء هنا هو : ان يلاحظ ما هي عقيدة هؤلاء الذين ينسبون الشيعة وغيرهم من أهـــل التنزيه إلى الشرك ! فإنهم هم أنفسهم يعتقدون بعقيدة تضاد وتناقض عقيدة التوحيد تماماً ..

ومع ذلك فنحن نحتاط في اطلاق لفظ « المشرك » عليهم ، لأنهم لا يفهمون ما يخرج من رؤسهم ، والا فلو كانوا يعقلون ، لكانوا بذلك مشركين قطعاً . كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون الا كذباً » [1] .

واليك التفصيل :

لقد شاع في أواخر القرن الثاني قول عجيب بين أهل الحديث واتباعهم من عوام الناس وهو : ان القرآن كلام الله غير مخلوق . وهذا في نفس الوقت الذي يعترف فيه أهل الحديث أنفسهم ، بأنه لم يرد في ذلك نص عن رسول الله . ولا جاء عن الصحابة فيه كلام ، فهل تسربت هـذه العقيدة من اليهود فقط ؟ حينما قالوا بقدم التوراة [2] ، أو من النصرانية فقط ، حينما قالوا بقدم الكلمة

---

(١) الكهف ٥

(٢) أحمد شلبي ـ اليهودية ص ٢٢٢ .

أو منهما معاً ؟ مثل القـول بالتشبيه الذي تسرّب إلى المسلمين مـن هاتـين الطائفتين ومعهم المشركين أيضاً .

وكيف كان فقد اكتملت تبعية جمهور المسلمين لليهود والنصارى بهذه العقيدة – عقيدة قدم القرآن – الفاضحة التي تنكرها البداهة والعقل والقرآن الكريم والتي قال فيها أحد أئمة السنة ، وهو الشيخ محمد عبده : «والقائل بقدم القرآن المقروء أشنع حالاً وأضل اعتقاداً من كل ملة جاء القرآن نفسه بتضليلها والدعوة إلى مخالفتها»[1] حتى ان ابن تيمية وهو المدافع المتحمس عن عقائد أهل الحديث وحتى أحمد ابن حنبل أيضاً يخالفانهم في هذه العقيدة واقعاً (لا ظاهراً) لأن ابن تيمية يصرّح بحدوث قوله تعالى يا أيها المزّمل ويا أيها المدثر وقد سمع الله قول الـتي تجادلك في زوجها إلى عشر من الآيات الدالة على حدوث النداء والسمع من حينه لا من الازل [2] بل يقول – كما قال المعتزلة من قبـل – ان ترتيب حروف الكلمات والجمل يستلزم الحدوث لأن تحقق كلمة « بسم الله » يتوقف على حدوث الباء وانعدامها ، ثم حدوث السين كذلك .. إلى آخر الكلمة ، فالحدوث ثم الإنعدام ، ذاتي لمفردات الحروف ، لا ينفك عنها ، وذلـك حتى يمكن أن توجد كلمة .

واذن .. فكيف يمكن أن يكون مثل هذا قديماً أزلياً مع الله تعالى ؟

هذا .. ويستنهض ابن تيمية على صحة هذا عقول العقلاء [3] وهذا الذي قاله قد أخذه عن المعتزلة ، وهو كلام صحيح كاف في رد إمامه ابن حنـبل وغيره من أهل الحديث ، في هذه العظيمة ، وان كان ينسبها إلى غيرهم .

---

(١) رسالة التوحيد الطبعة الأولى

(٢) مجموعة الرسائل ج ٣ ص ٩٧ .

(٣) مجموعة الرسائل : ج ٣ ص ٣٣ . ولكنه ينسب ذلك إلى السالمية ، ولكنه في الحقيقة رد على ابن حنبل وأهل الحديث . وراجع ص ٤٤ و ص ١١٣ .

اسماء الله هي الله على زعم أهل السنة :

ولكن قد جرّهم الالتزام بها إلى عظائم أخرى ، مثل قولهم : أن اسماء الله تعالى هي الله . قال الامام الأشعري : « .. فقال قائلون اسماؤه هي هو ، وإلى هذا القول يذهب اكثر اصحاب الحديث »[1] . وقال أيضاً : « ويقولون : اسماء الله هي الله »[2] . وقال في ذكر عقيدة أهل السنة : « وان اسماء الله لا يقال أنها غير الله ، كما قالت المعتزلة والخوارج »[3] . وقال أيضاً : « وحكى محمد بن شجاع ان فرقة قالت ان القرآن هو الخالق ، وان فرقة قالت هو بعضه ، وحكى زرقان أن القائل بهذا وكيع بن الجراح ، وان فرقة قالت ان الله بعض القرآن ، وذهب إلى انه مسمى فيه فلما كان اسم الله سبحانه في القرآن ، والاسم هو المسمى كان الله في القرآن »[4]

وذكر صالح بن احمد بن حنبل عن أبيه أنه قال : « ومن زعم ان أسماء الله مخلوقة فقد كفر »[5]

ويذكر عنه انه قال في وجهه : « قال أبي اسماء الله في القرآن ، والقرآن من علم الله ، وعلم الله ليس بمخلوق على كل وجه وعلى كل جهة »[6]

ونحن نقول أيضاً : على هـذا فأسماء ابليس وابي لهب وزيد وحنـين وبدر

---

(١) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٣٣٢

(٢) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٣٢٢

(٣) « « ج ١ ص ٣٢٠

(٤) مقالات الاسلاميين ج ٢ ص ٢٣٤

(٥) محنة أحمد (للدرمي) ص ٢٧٨ و ٢٨٧

(٦) محنة أحمد ص ٢٨٩

واسماء الأنبياء كلها في القرآن فهي اذن ليست مخلوقة ، فلا اختصاص بأسماء الله تعالى ، لأنها كلها في القرآن .

فعلى قول أهل الحديث من ان اسماء الله هي الله فليعد العادون كم من اسماء هي « الله » نفسه قد وجد وسيوجد في عـــالم الوجود !! « تعالى الله عما يقول الجاهلين علواً كبيراً » .

وبعد هذا .. فلعله لا يخفى على احـد طبيعة الأثر الذي تتركه هذه العقائد والكلمات على المذهب الحنبلي ، وحقيقة اللون الذي يتخـــذه هذا المذهب على اساسها ، حتى ان ظاهرة الشرك كانت هي التي تميز هـذا المذهب ، إذ أن محنة خلق القرآن ، هي التي اظهرت الامام احمد بن حنبل ، وأعلت شأنه ، وفي ظل نصيحته في هذه المسألة وصل إلى ما وصل إليه حتى صار إماماً في عقائد السنة بلا مدافع ، ودونت على يده حدود عقائد السنة ورسومها ، ولكن .. لما كانت عقيدة قدم القرآن التي تعتبر بمثابة الراية العظمى لعقائد السنة – مخالفة للبداهة والعقل ، وكان يحيط بها غبار من ظلام التشريك بالله ، فقـــد كان من الطبيعي ان يخطر ببال معتقديها أنه هل كان القرآن دائماً موجوداً مع الله منذ الأزل ؟ أو ليس هذا شركاً بالله تعالى .

كلمات الله التامات :

اضف إليها عقائد أخرى اشرنا اليهـــا فيما سبق تزيد وتؤيد فيهم القلق والظلام ، وذلك من قبيل ان اسماء الله هي الله !! وان الكلمات التامات قديمة تعيذ الناس من الشرور .

ثم أضف اليها العقائد التشبيهية المنسجمة مع عقائد المشركين التي تنفر منها الفطرة وطبيعة الانسان المسلم ، فوجد في اهل الحديث من قال ان الروح قديمة .

فقد قال ابن حجر : « الحافظ أحمد بن ثابت الطرقي ، كان بعد الخمسمأة ، لكنة كان يقول ان الروح قديمة على رأى الجهال الجبالية (ولعل الصحيح الظاهر : الجهال الحنابلة) وشبهتهم قوله تعالى : قل الروح من أمر ربي . قالوا وأمره قديم ، وهو شيء غير خلقه ، وقوله تعالى : ألا له الخلق والأمر ، وقوله : وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا » (١)

الاشعري وعقائد أهل الحديث

وهذا كله قد أوجب سقوط العقيدة الحنبلية عن مقامها في نفوس النـاس بعدما كانت قد طبقت العالم الاسلامي وانتشرت في ارجاء البلاد أول الأمر ، فحلت محلها العقيدة الاشعرية بعد هدوء الجو ، وبسرعة تتناسب مع تغيير العقائد في العادة ..

والعقيدة الاشعرية هي عقيدة حنبلية معدلة ، قد تصرفت في جميع ما كان غير معقول في العقيدة الأم وهي الحنبلية ، فذهب الاشعري مثلاً في مـسألة خلق القرآن إلى مكان بعيد سحيق خارج عن متناول افهام الناس فقال بالكلام النفسي وشبهه بالكلام الذي يكون في قلب المتكلم .

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وجعل القرآن ، كلام الله ، بهذا المعنى وصفة قديمة لذاته تعـالى وهكذا أيضاً فقد تصرف في الجبر والقدر باضافة مسألة الكسب ولكن تصرفه كان غير موفق كما وتصرف في اليد والرجل والعين وسائر الاعضاء التي تسميها الحنابلة بالصفات فكان الاشاعرة من اهل التنزيه الا في مسئلة رؤية الله تعالى في الاخرة .

---

(١) لسان الميزان ج ١ ص ١٤٣

وقد كان ابن تيمية ايضاً مخالفاً لهذه العقيدة (عقيدة عدم خلق القرآن) حسبما تقدم عنه ولكنه لما كان يعرّف نفسه بأنه محيي ومجدد عقائد السلفية ، فقد رأى أن تصريحه بانكار محور عقائد السلفية أمر غير ممكن له طبعاً ، فكان عليه ان يأتي بجمع وتركيب لا يخالف البداهة ولا صراحة عقيدة السنة فالتزم برأيين جديدين لعله رأى أن أحدهما مقدمة ومعد للرأي الآخر :

الرأي الأول : أنه يفرق بين القدم وبين عدم المخلوقية فقال : « وكما لم يقل أحد من السلف أنه (أي كلام الله) مخلوق ، فلم يقل أحد منهم أنه قديم ولم يقل واحداً من القولين أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ، ولا من بعدهم من الأئمة الأربعة ولا غيرهم ... وأول من عرف انه قال هو قديم عبدالله ابن سعيد بن كلاب »[1] .

والظاهر الواضح أن القول بأن السلف القائلين بعدم خلق القرآن لا يقولون بقدم القرآن ، والتفريق بين الخلق والقدم لا يعدو عن أن يكون كذباً وغير صحيح !

فأولا : ان ابن الجوزي يصرح بأن الأئمة المعتمد عليهم قالوا ان القرآن كلام الله قديم [2] .

وثانياً : ان معنى كون شيء غير مخلوق هو أنه قديم ، إذ لو فرض غير قديم مع كونه غير مخلوق فلا بد وأن يكون قد حدث ووجد من العدم بنفسه ، وبطلان هذا الوهم من أبده البديهيات .. كما قال الله تعالى : أم خلقوا من

(١) مجموعة الرسائل ج ٣ ص ٢٠
(٢) المنتظم في ترجمة الأشعري ج ٦ ص ٣٣٢

غير شيء »[1] .

وإنما أنكر نسبة القول بالقدم إلى أهل الحديث لوضوح بطلانه عنده .

الراي الثاني : القول بقدم حروف المعجم التي هي مباني (مواد) كلمات الله فهذه الحروف على زعمه شركاء لله في القدم وعدم المخلوقية ثم هو لا يحمل نصوص كلمات أهل الحديث على قدم حروف المعجم وانها متصلة بالله وانها معه منذ الأزل على تكلّفات وتأويلات وتطويلات لا طائل تحتها ولا معنى لها كما انه ينسب هذا الرأي إلى الإمام أحمد بن حنبل ولا أدري صدقه في هذه النسبة من كذبه لخلو رسائل ابن حنبل عن ذلك – والعلم عند الله – ويقول ان بذلك تنحلّ الإشكالات [2] ! واليك نص عباراته :

قال : « وما تكلم الله به فهو قائم به ليس مخلوقاً منفصلاً عنه فلا تكون الحروف التي هي مباني أسماء الله الحسنى وكتبه المنزلة مخلوقة »[3] وقال أيضاً : « وأما قول القائل : ان الحروف قديمة أو حروف المعجم قديمة فإن أراد جنسها فهذا صحيح وإن أراد الحرف المعين فقد أخطأ »[4] كما قال : « ان كلام الله حديث الاحاد قديم النوع »[5] ومن هذه الجملة الأدبية تظهر مخالفته لأهل السنة في هذه المسئلة إذ لم يكن النزاع في كلام الله بين المعتزلة وأهل السنة في نوعه (أعني مبانيه ومادته) بل في آحاد كلام الله أي في آية يا أيها المزمل وسورتها وآية قد سمع وسورتها وسائر آحاد الآيات والسور ويقول ابن تيمية وقد أخبر سبحانه عن نفسه بالنداء في أكثر من عشرة مواضع وناداها ربها

(١) الطور ٣٥
(٢) قاعدة نافعة مج ١ رج ٢ ص ٨١
(٣) مجموعة الرسائل ج ٣ ص ٤٥
(٤) الصدر ص ١٤٩
(٥) المصدر ص ١١٨

ويوم يناديهم ناداه ربه و ... استفاضت الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين وأئمة السنة أنه سبحانه ينادي بصوت وينادي عباده يوم القيامة بصوت ... ولم يقل أحد منهم ان الصوت الذي سمعه موسى قديم ولا أن ذلك النداء قديم [1] .

قدم حروف المعجم :

وقال : « نقل عنه (أحمد بن حنبل) انه قال ومن زعم ان حرفاً من حروف المعجم مخلوق فهو جهمي » [2] « ونقل عنه انه قال : ومن زعم ان حرفاً من حروف المعجم مخلوق فقد سلك طريقاً إلى البدعة » [3] « وإذا قيل ان حروف المعجم قديمة بمعنى النوع كان ذلك ممكناً ... ولهذا أنكروا (أي أئمة السنة وابن حنبل) على من زعم ان حرفاً من حروف المعجم مخلوق » [4] .

ثم ان ابن تيمية يحمل كلام ابن حنبل : « ولم يزل الله عز وجل متكلماً » [5] وكلام غيره من أئمة السنة على معنى قضية شرطية تفيد أنه إذا شاء الله أن يتكلم تكلم قال: «والسلف قالوا لم يزل الله متكلماً إذا شاء » [6] وقال : « وان كلام الله قديم بمعنى انه لم يزل متكلماً إذا شاء » [7] كما قال انه تعالى « يتكلم بمشيئته وقدرته كلاماً قائماً بذاته » [8] فحاصل مراده ومعنى كلامه ان قدرته تعالى على التكلم

---

(١) مجموعة الرسائل ص ٢٢
(٢) مجموعة الرسائل ج ٣ ص ٦٨
(٣) المصدر ص ١١٢
(٤) المصدر ص ١١١
(٥) طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٢٨ عن رسالة السنة لأحمد بن حنبل .
(٦) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٣ ص ٤٤
(٧) المصدر ص ٣٥
(٨) مجموعة المسائل المنيرية ج ٢ – قاعدة نافعة في صفة الكلام .

في الأزل إذا شاء تستلزم وجود حروف المعجم في الأزل حتى يمكن له التكلم وبناء على هذا فقد التزم بقدم حروف المعجم وان هذه الحروف غير مخلوقة بل هي قديمة قائمة بذات الله متصلة به غير منفصلة عنه حيث انها وسائل قدرته على التكلم في الأزل والأبد .

فكأن هذه الحروف كانت بمثابة تمائم معلقة على الله منذ الأزل حتى لاتصيب العين حجمه الكبير الذي يعبر عنه حمله للسماوات على إصبع والأرض على إصبع الخ .. (تعالى الله عما يصفه المشبّهون) .

ويذكر ابن تيمية ان تكلم الله تعالى إنما يكون بصوت فقد قال « وكان أئمة السنة يعدّون من أنكر تكلّمه بصوت ، من الجهمية كما قال الإمام أحمد لما سئل عمن قال ان الله لا يتكلم بصوت فقال هؤلاء جهمية إنما يدورون على التعطيل» [1] فهذه الحروف إذن على زعم ابن تيمية أصوات مختلفة متصلة بالله غير منفصلة عنه فهل تكون هذه الأصوات الثمانية والعشرون (عدد حروف المعجم) متصلة بالله من طريق فمه تعالى فيكون فمه كالبوق لا تزال تخرج منه الأصوات أو أنها خارجة عن جسمه معلقة عليه كالتمائم (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) لا ندري ، إذ لم يبين لنا ابن تيمية أي الوجهين يريد ومع ذلك فإن ابن تيمية يزعم أن إلهه هذا إذا رآه الناس وأهل المحشر لايضامّون أولايضارّون في رؤيته على ما في صحاح الأحاديث عندهم وإذن فإنهم سوف يسمعون من الصيحات والأصوات الممتدة من الله أمراً عجيباً هائلاً ! ..

أضف إلى ذلك كله ان هذا التحقيق الذي حققه ابن تيمية مناف لما استدل به من ان الحدوث والانعدام لازم ذاتي للحروف على ما عرفت فكيف تكون الحروف لاتنفصل عن الله وبحدوث الحروف وانعدامها يمكن التكلم ؟ إن ذلك

---

(١) الرسائل ج ٣ ص ٢٣ و ص ١٥٣

لعجيب ، وعجيب حقاً .. وهكذا فقد اكتشفنا بفضل تحقيقات ابن تيمية ٢٨ شريكاً لله تعالى في القدم بعدد حروف المعجم ولقد علّمنا ابن تيمية طريقة الكشف هذه فلنجرب نحن فهل نستطيع الزيادة عل ما ذكره ذلك المخترع العبقري ؟ نعم .. إننا نستطيع ذلك باستعمال طريقة ابن تيمية نفسها ، فنقول : لما كان الله أزلاً وأبداً قادراً على التكلم بالفارسية واللغات الآرية وفيها أربعة حروف أخرى زائدة على الحروف العربية وهي (پ ، چ ، ژ ، گ) فيبلغ عدد شركاء الله إلى ٣٢ شريكاً وإذا أضفنا اليها الحروف والمخارج التي ينطق بها الصينيون والأمم الأخرى ، ومنطق الطيور والبهائم ، فالله تعالى هو المحصي لعدد شركائه . « ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

الكلمات التامّات شركاء لله أيضاً :

ثم ان التزامهم بقدم القرآن وعدم مخلوقيته قد جرهم إلى عظيمة أخرى : فقد نقل ابن تيمية ان أحمد بن حنبل استدل لعدم خلق القرآن بحديث : « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما برء .. » بتقريب : ان الكلمات التامات غير مخلوقة ، إذ لو كانت مخلوقة للزم الاستعاذة بالمخلوق وهي شرك [1] .

ونقول نحن : ان هذا الاستدلال ليس إلا فراراً من المطر إلى الميزاب ، فقد فرّ من الشرك الحكمي إلى القول بالشرك الحقيقي ، لأن من المعلوم ، والبديهي ان الاستعاذة قسم من الدعاء ، وإنما يستعيذ المستعيذون بكلمات الله التامات لتعيذهم من شرور ما ذكر في الحديث ، ومعنى هذا ان للكلمات التامات تصرّفات وإعاذات للناس من الشرور ، ولو لم تكن كذلك لما جازت الإستعاذة بها ، كما قال الله تعالى : « ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك » . .

---

(١) مجموعة الرسائل ج ٥ ص ٩ ، ١ وغيرها ، نقلناها بالمعنى .

ونتيجة ذلك واضحة وهي : ان كلمات الله التامات قديمة غير مخلوقة ، ولها تصرفات في مخلوقات الله تعالى ، وهي الإعاذة من الشرور .

فهل هذا يختلف عن قول من قال بتعدد الآلهة القدماء ؟ وإذا تقبل ابن تيمية من أحمد بن حنبل عدم مخلوقية كلمات الله التامات ، فلا بد أن تكون بمجموعها – حسب زعمه – متصلة أيضاً بالله ، قائمة به ، لتزيد في نغمات الأصوات يوم القيامة الشيء الكثير مما يشجي أو يطرب .

القيمة الفكرية للحنابلة في المجتمع الاسلامي :

قد عرفت ان اتجاه الحنابلة في مسألة التوحيد ، لم يكن بذلك المرضي في المجتمع الإسلامي ، وقد ظهر ابن تيمية وهو من الحنابلة ، فطرح من جديد مسائل عديدة حول موضوع التوحيد ، بعقوان التحفظ على التوحيد ، وشدّد في آرائه هذه ، وكفر جماعات المسلمين عليها – كما كفّر جماعة من العلماء المعاصرين له ومن بعده – فمنع عن التوسل بالنبي ﷺ والأولياء ، ونداء غير الله ، وطلب الشفاعة من النبي وغيره ، وأنه لا تشد الرحال إلى زيارة قبر أحد من الناس ، ومنع من البناء على القبور ، والتبرك بآثار النبي والأولياء ، وجعل كل ذلك عبادة لغير الله وشركاً بالله ، وأطلق على دعوته هذه عنوان « السلفية » مدّعياً ان المسلمين خرجوا عن طريقة السلف الصالح ودخلوا في الشرك ، وكتب في ذلك رسائل عديدة ..

وقد أثمرت دعوته هذه في الحنابلة ، وخدمتهم خدمة كبيرة ، حيث صرف الوجوه إلى ما ذكر من العقائد العجيبة للحنابلة .

وقد عرفت ان مذهب الحنابلة قد صار مغلوباً لفرعه الذي تفرع عنه ، وهو الأشعرية ، وذلك لأن موهمات الشرك – أو واقعياته – وظلام عدم المعقولية ، والتضاد والمناقضة للتوحيد الخالص كان طاغياً على العقيدة الحنبلية ، ولذلك

تقلّص ظلها سريعاً عن البلاد الإسلامية ، ولكن ظهور ابن تيمية بمظهر الدفاع عن جناب التوحيد ، وكلماته ، ذات الجهات السلبية ، كل ذلك قد صرف الناس عن النظر إلى الجهات الإيجابية ذات الغرابة في العقيدة الحنبلية من قبيل عقيدة التجسيم والجبر ، وان القرآن متلو محفوظ مكتوب غير مخلوق ، وان أسماء الله هي الله ، وكلمات الله التامات هي المستعاذ بها وهي التي تعيذ ، في حين أنها غير مخلوقة ، وغير ذلك مما تقدمت وستأتي الإشارة إليه ، فلم يلتفت الناس إلى هذه العقائد الإيجابية في الدعوة السلفية الجديدة وهي الوهّابية .

وذلك سبب غوغائية ابن تيمية المشار اليها .

الوهّابية وآراء ابن تيمية :

وفي الحقيقة ان الوهابية قد قسموا آراء ابن تيمية إلى قسمين ، فجعلوا القسم السلبي قاعدة لكلامهم ، ومحوراً لعقيدتهم بحماس كثير زائد ، وغضوا النظر عن القسم الإيجابي منها من قدم حروف المعجم وغير ذلك كما قلنا :

وقد خلق فيهم تكرارهم لهذه (السلوب) - في منازعاتهم وكتبهم وخطبهم حالة نفسية مرنوا عليها ورسخت في أذهانهم حتى اعتبروا كل تعظيم لغير الله منافياً لتعظيم الله ، وهو من قبيل جعل الضد والند له تعالى ، وهو عبادة لغير الله ، وهو شرك بالله ، وصاروا يعتزون بها حتى كأنها تكتة لم يسبقهم اليها الأوّلون ولن يلحقهم الآخرون !

أحمد الغزالي والشيطان :

ولكن الحقيقة هي ان ذلك أمر قد حصل في القرن السادس ، حيث قد اشتهر عن العارف الشهير أحمد الغزالي أنه منع عن لعن الشيطان ، وعظّمه وبجّله بحجة ان غيرة ابليس على توحيد الله تعالى منعته عن السجود لغير الله !!

والأنسب أن يسمى هذا التوحيد بالتوحيد الشيطاني . والعرفان الإبليسي ، فإن كمال التوحيد بعد معرفته بأنه إله واحد ، لا قديم ، ولا شبيه له ، هو التسليم الصرف والاستسلام الخالص لأمره تعالى .. وهو لب الدين كما قال تعالى: ان الدين عند الله الإسلام ، وقد بيّن الله تعالى لنا في كتابه الكريم ان هذه النزعة ، وهي الغلوّ في عدم تعظيم غير الله بحيث يؤدي ذلك إلى مخالفة أمره تعالى غير مقبول عنده تعالى ، وظاهر ان أمره تعالى للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام ينافي هذه النزعة - أعني نزعة الغلو في عدم تعظيم غير الله - وذلك لأنه وإن كان السجود لغير الله ممنوعاً عنه في الشرايع التي أنزلها للناس ، ولكن الأمر بيد الله تعالى ، فله أن يأمر بتعظيم بعض مخلوقاته لا عبادتها ، ولذا نراه قد أمر الملائكة بالسجود لآدم وأمر الناس في الحج أن يصلّوا إلى اثر قدم عبد من عبيده ، وهو مقام ابراهيم عليه السلام ، وأن يتبركوا بالحجر الأسود ، وبأركان البيت شرّفه الله تعالى ، فليس معنى ذلك ان الشرك كان واجباً على الملائكة في سجودهم لآدم ، أو أن الصلاة إلى مقام ابراهيم والتبرك بالحجر الأسود كلها شرك واجب تارة ومستحب أخرى .

بل يستفاد من ذلك ان التعظيم لغير الله لا يلزم منه الشرك وإن كان بصورة السجود ، إذا أمر الله ، وذلك أمر واضح لا يخفى على ذي مسكة .

نصيحة مخلصة :

وبعد كل ما قدمنا فإن على الوهابية الذين يعتزون بسلفيتهم أن يجددوا النظر في هذه الجهات الإيجابية التي كانت عمدة كلام سلفهم من الحنابلة وابن تيمية ، ويبيّنوا للمسلمين في دعوتهم هذه كيفية نظرتهم اليها ولا يكتفون (بالسلوب) والنفي والمنع ، فإن الالتزام بقدم القرآن ، أو قدم حروف المعجم أو أن أسماء الله هي الله ، وأشباه هذه الأمور ، ثم المنع عن التوسل وعن سائر ما أثاروه حول التوحيد وسمّوه شركاً ..

ان ذلك كله إفراط وتفريط معاً ، وما أصدق المثل المعروف : « الجاهل إما مفرط أو مفرّط » بكلا شقيه عليهم ، إذ لا يقبل عقل ، ولاعاقل قولهم: « ان الاعتقاد بموجودات قديمة معظمة قديمة غير مخلوقة لله – كحروف المعجم وغيرها – هذا الاعتقاد ليس بشرك » ..

ولكن إذا قال قائل يا رسول الله اشفع لي عند الله ، أو مثل قوله (يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا ، أو إذا قبّل حجرة رسول الله – حباً وتعظيماً له – كان هذا شركاً » .

فإن ذلك ليس إلا تحكماً أعمى يصادم بداهة العقل ... ويتنافى مع قضاء الفطرة ..

حب علي حسنة

ويعود الكاتب ويقول عن عقيدة الشيعة في علي عليه السلام : « وان حبه حسنة لا تضر معها سيئة » . ثم يذكر بعد ذلك فضيلتين أخريين لعلي عليه السلام بصورة الاستنكار ويجعلها من الموبقات.

ونحن نقول له : نعم انها من موبقات دينه وهو النصب . ولكن من دين محمد ﷺ على ما يرويه لنا أهل السنة أنفسهم أيضاً عن رسول الله ﷺ أن « حب علي حسنة لا تضر معها سيئة » . روى ذلك الامام المناوي في كتابه كنوز الحقائق في خبر خير الخلائق عن كتاب الفردوس للديلمي ، كما روى روايات أخرى بهذا المعنى مثل : « حب علي براءة من النفاق ، وحب علي براءة من النار ، وحب علي يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب . »

وإذا رغب رسول الله ﷺ في حب علي كما في الحديث الصحيح – على ما رمز اليه السيوطي في الجامع الصغير عن سلمان رضي الله عنه بقوله : « من أحب علياً فقد أحبني ، ومن أبغض علياً فقد أبغضني » – فأي مانع من القول بأن من أحب علياً (الذي هو بمنزلة حب رسول الله ﷺ) أحبه الله ويكون عليه السلام من جملة من قال فيهم رسول الله ﷺ : إذا أحب الله عبداً لم تضره الذنوب [1] .

---

(١) مجموعة التوحيد للأئمة السلفية ص ١٤٠

مضـافاً إلى ورود رواية في هذا المعنى بالخصوص عن رسول الله ﷺ . وتؤيدها روايات أخرى ، ولكن هؤلاء لهم حساسية خاصة عند ذكر فضائل علي عليه السلام فإنهم أتباع لابن تيمية وقد قال ابن حجر في شأن ابن تيميـة هذا وكتابه « منهاج السنة » الذي رد فيه على منهاج الكرامة للعلامة ابن المطهر الحلي رحمه الله يقول ابن حجر : إن (ابن تيمية) كثير التحامل إلى الغاية في رد الأحاديث التي يوردها ابن المطهر ، وأنه رد في رده كثيراً من الأحاديث الجياد ، وكم له من مبالغة في توهين كلام الرافضي ، أدت به أحياناً إلى تنقيص علي رضي الله عنه (انتهى بحذف وتلخيص) [1] .

الافتراء على الشيعة :

فهذا شيخ إسلام السلفية ، وهواه في تنقيص أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، وهذه مراعاته للتقوى وللصدق وللكذب في صفتـه أحاديث رسول الله ﷺ في الضعف والوهن ، فكم من حديث جيد قد ضعفـه بهواه (النصب) وكم من متواتر قد رده .. إلى غير ذلك من فعلاته التي تعبر عن حنقه وعدائـه لأمير المؤمنين عليه السلام ، وأظهر من ذلك وأشد مرارة أنه يعلن عن نفسه بأنه غير ملتزم بالصدق والكذب في عدائه للشيعة ، بل هو لا يبالي بتكذيب نفسه ، فقد ذكر في (منهاج السنة) عن عبد الرحمان بن مالك بن مغول (وزاد فيه عن الشعبي) كلاماً طويلاً (من صفحة ١٤ – ١٧) يذم فيه الرافضة ، وينسب اليهم أموراً كثيرة من الدين ويشبههم فيها باليهود ، ويصفهم بالحمـق .. ومن العجيب أنها كلها كذب صراح ، ولا يصح من ذلك الكلام الطويل – الذي ينسب فيه إلى الشيعة الشيء الكثير – إلا جمل قلائـل وهي تحريم الجرّي والمارماهي والتياسر في القبلة .

---

(١) لسان الميزان ج ٦ ص ٣١٩

ولا أدري إن كان صدق في نسبة تحريمها إلى اليهود ، وكذا في نسبة التياسر في قبلتهم اليهم أم لا .

وقال ابن تيمية بعد نقل الكلام المذكور عن عبد الرحمن والشعبي . وقوّاه بطريق آخر وبصورة أخرى – قال : فهذا الكلام معروف بالدليل الذي لا يحتاج فيه إلى نقل وإسناد [1] . وقال أيضاً : وما ذكره موجود في الرافضـة وفيهم أضعاف ما ذكر [2] ، وبذلك يكون ابن تيمية قد صحح كل هذه الأكاذيب على الشيعة .

ولا ينقضي التعجب كيف يتجرأ على نسبة هذه الأكاذيب الواضحـة إلى الشيعة مع كثرة الشيعة ، وكثرة كتبهم في عصره ، ثم يذكر أكاذيب أخرى ويدرج فيها بعض عقائد الشيعة ، ثم يسميها جميعاً بالحماقات ! مثـل ان بعض الشيعة لا يشربون من نهر حفره يزيد ، ويكرهون التكلم بالعشرة ، ثم تمثيلهم لعائشة بالنعجة الحمراء ، وتعذيبهم لها وتسمية بعضهم لحمارين بأبي بكر وعمر . ثم يزد على تلك الاكاذيب والحماقات بحكمته العالية المتعالية !!

ثم إنه قال بعد ذلك : « ومما ينبغي أن يعرف أن ما يوجد في جنس الشيعة من الأقوال والأفعال المذمومة وإن كان اضعاف ما ذكر لكن قد لا يكون هذا كله في الإمامية الإثنى عشرية . ولا في الزيدية ولكن يكون كثير منه في الغالية وفي كثير من عوامهم » [3] .

وأقول : إنه بكلامه هذا الأخير قد كذب نفسه في قوله الأول : « إن ما

---

(١) منهاج السنة ج ١ ص ٢٢
(٢) منهاج السنة ج ١ ص ٢٣
(٣) الصواعق المحرقة ص ٧٣

ذكره عبد الرحمن وأضعافه موجود في الرافضة ، ولا يحتاج إلى نقل وإسناد ، وهنا يقول : قد لا يكون هذا كله في الإمامية .. الخ ، وقد أبطل بهذا مجموع ما نسبه اليهم أولاً .

عيب آخر في الشيعة :

ويستمر الكاتب فيقول : « وإن النظر إلى وجه علي عليه السلام عبادة » ، وهذا الذي عده الكاتب من المستنكرات والموبقات أيضاً على ما سيشير اليه ثابت في أحاديث أهل السنة ، فقد قال ابن حجر : أخرج الحاكم والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ ، قال النظر إلى علي عبادة إسناده حسن وأورده المناوي تارة بهذا اللفظ وأخرى بلفظ : « النظر إلى وجه علي عبادة » . ولولا النصب لما كان في هذا ما يوجب الإنكار ، فإن في الحديث الشريف ان رسول الله ﷺ قال : يا علي أنت بمنزلة الكعبة [1] . ولا بد أن يكون ذلك من جهة تعظيمه وتشريفه وان الله تعالى قدجعله – مثل الكعبة – علماً في عباده بعد رسوله ، كما ان من آثار تشريف الكعبة المعظمة أنه يكون النظر إلى الكعبة عبادة [2] وكما قال ﷺ : النظر إلى علي عبادة [3] ، وهو منه بمنزلة هارون من موسى في جميع الآثار إلا في النبوة كما في صحيح البخاري ومنها ان يكون النظر إلى علي كالنظر إلى النبي عبادة أيضاً .

وبعد هذا .. فلماذا لا يستنكرون إذا رأوا الحديث الذي يقول : النظر إلى

---

(١) كنوز الحقائق في حاشية الجامع الصغير .

(٢) » » » » » » »

(٣) » » » » » » »

وجه العالم عبادة [1] .

وقد أخرج السيوطي في رسالته « مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة » عن كتاب السنة للألكائي عن ابن عباس قال : النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو اليها وينهي عن البدعة عبادة » [2] أفترى أن النظر إلى شيوخ المجسمة ووجوههم السمجة القبيحة يكون عبادة ، وأما القول بالنظر إلى أمير المؤمنين ومولى المتقين عبادة يكون مستنكراً ومن الموبقات ؟

---

(١) كنوز الحقائق في حاشية الجامع الصغير

(٢) مفتاح الجنة ص ٤٤ عن مجموعة المسائل المنيرية مجلد ٢

المتعة والبداء والتقية

والكذب على اهل السنة

إباحة المتعة :

ثم يشنع الكاتب على الشيعة فيقول : (ثم إباحة المتعة) .

ونحن نقول له : أما المتعة فهي عقد نكاح موقت شرعه الله تعالى لأمة محمد ﷺ تسهيلا لهم ، ومنة عليهم ، ويظهر أنها تشريع جديد من الله تعالى لم يكن لها سابقة في العرب ، ولقد ذكروا اقسام النكاح في العرب قبل الاسلام وهي اربعة ، وليس فيها نكاح المتعة [1]

وأيضاً لم يذكر من مواليد الجاهلية ، من ولد من هذا النكاح ، بل لاتتناسب هذه التقييدات والشروط الثابتة في المتعة مع طبيعة العربي الجاهلي .

ثم ان اصل تشريعها وتحليلها في عهد الرسول عليه اجماع الأمة ، وانما يقول المحرمون بنسخ هذا التحليل بروايات اختلقت بعد عصر عمر ، حينما جعلت خلافة الخلفاء الثلاثة من جملة العقائد في عصر متأخر فظهرت هذه الأحاديث ..

كل ذلك دفاعاً عن قداسته ، وتأييداً لرأيه إذ لم يكن فيها كلام في عصر أبي بكر ، ولا صدراً من خلافة عمر ، ثم رأى هو تحريمها فحرمها ، وشدد وهدد فيها ، وخالفه في ذلك جماعة من الصحابة : « منهم » أمير المؤمنين عليه السلام وتبعه على التحليل الائمة الطاهرون من ولده وشيعتهم اجمعون .

---

(١) راجع المحبر ص ٣٤٠ ، وتيسير الوصول طبع الهند ج٢ ص ٢٣٠ ، وصحيح البخاري وسنن أبي داود .

« ومنهم » عبد الله بن مسعود وابن عباس وكانا يقرءآن : « فما استمعتم به منهن إلى اجل مسمى فآتوهن اجورهن » وتبعهما في هذه القراءة سعيد بن جبير والسدي .

« ومنهم » عمران بن الحصين في كلام له في حليّة المتعة وأنها كانت حلالا على عهد النبي ﷺ وأبي بكر ثم قال فيها رجل برأيه ما شاء – يعني عمر .

« ومنهم » جابر بن عبد الله الأنصاري ، وله كلام مثل كلام عمران .. وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ، ويكفينا في الموضوع ما كتبه الأخ الفاضل السيد جعفر مرتضى في رسالة لطيفة اسماها « الزواج الموقت في الاسلام–المتعة» فإنه ذكر القول بحلية المتعه عن اكثر من عشرين صحابياً نقلا عن مصادر أهل السنة ، وعن ستة وعشرين من فقهاء التابعين وغيرهم أيضاً . وكذلك نسب القول بذلك إلى احمد بن حنبل عند الضرورة ، فضلا عن غيره من أئمة المذاهب ، ثم اغلق باب الفهم والتدبر والاجتهاد ؛ فصار القول بالتحريم من شعائر أهل السنة . فنحن نقول لهؤلاء الذين يدّعون العلم: إن من كان يؤمن بنبوة محمد ﷺ على الإطلاق فليؤمن بحلية المتعة ،ومن كان يؤمن بتقديم رأي عمر على نبوّة محمد ﷺ في هذه المسألة فليقل بحرمتها .

عمر يحرم والسياسة تؤيد :

ولا يشكّ المتتبع في هذه المسئلة ان النهى فيها كان من رأي عمر ، ولم يكن ذلك ببدع من الخليفة فإنه حرّم إيضاً التمتع بالعمرة إلى الحج (وتبعه في ذلك عثمان) واسقط من الاذان حيّ على خير العمل وزاد في اذان الصبح الصلوة خير من النوم وكان لا يقول بتشريع التيمم للجنب . وأعظم من كل ذلك اثراً في الامة الاسلامية النهي عن التحديث باحاديث رسول الله ﷺ الا بشرائط على ما يقولون مثله والنهي عن كتابة احاديثه ﷺ وقد احرق طائفة كثيرة جمعها من

ايدي من نقلها ودونها وغير ذلك . نعم لقد حرّم عمر المتعة ورأت السياسة أن يؤيد التشريع الجديد من الخليفة بروايات منسوبة إلى رسول الله ﷺ وانه حللها ثم حرّمها ، ولتأكيد ذلك نسب الوضاعون الصالحون الرجوع عن القول بالتحليل إلى علي عليه السلام مع أن اهل بيته القائلين بحليتها لا يخالفونه في الفتوى واهل البيت أدرى بما في البيت .

المتعة الدّورية :

ويقول الكاتب (ومنها المتعة الدورية ...) ونقول : ان للمتعة عند الشيعة تبعاً لآل محمد ﷺ شروطاً تجب مراعاتها ومنها العدة واما ما ذكره من التمتع بأمرته لكل شخص ليلة واحدة فهذا شيء بديع رأيناه في مقال هذا الكاتب ويقطع كل متتبع وخبير بان ذلك لم يرد في أي كتاب من كتب الشيعة لأنه غير موجود فيها قطعاً ؟ بل رآه كاتبنا في مقالات ومفتريات من هم على شاكلته فحاكاهم (كالقردة على ما قاله الكاتب) بلا تدبرّ ولا روية وان الشياطين ليوحون إلى اوليائهم ليجادلوكم بالباطل .

تحليل الاستمناء :

وكيف كان فالمتعة اولى من الخضخضة (وهي الاستمناء) التي تقول الحنابلة بحليتها لأنها مورثة لضعف الاعصاب وقلة العقل وربما توصل ادامتها إلى الجنون ولعل هذا التهوس والخشونة التي نراها في أهل العلم!! من الحنابلة يكون شاهداً على صحة هذا الرأي الطبي والله أعلم .

البداء عند الشيعة :

ويقول الكاتب (ثم اعتقاد البداء في الله) ونقول : البداء بمعنى ظهور رأي جديد لله تعالى لم يعلم به اولاً محال على الله ولم يقل به الشيعة أبداً وهذا

كتاب نهج البلاغة وقبله الكتاب الكريم لا يبقيان مجالاً لمن يؤمن بالله ورسوله ان يتوهم هذا الجهل الفاضح بالنسبة إلى الله تعالى وكما لا يبقيان مجالاً لعاقل أن يتخيل نسبة هذا الأمر إلى من يقول بإمامة منشيء نهج البلاغة وكيف يمكن ذلك ومن علي عليه السلام تعلم المتعلمون التنزيه وعنه أخذ القول بالتوحيد والعدل وهما الاصلان العظيمان للإعتزال كما عرفت سابقاً .

وأما البداء الذي تقول به الشيعة فينبغي ان نذكر في بيانه كلام الامام الراحل السيد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله قال :

« وحاصل ما تقوله الشيعة هنا : ان الله عز وجل قد ينقص من الرزق وقد يزيد فيه وكذا الاجل والصحة والمرض والسعادة والشقاوة والمحن والمصائب والايمان والكفر وسائر الاشياء كما يقتضيه قوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب) وهذا مذهب عمر بن الخطاب وابن مسعود (١) وابي وائل وقتادة (٢) وقد رواه جابر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وكان كثير من السلف الصالح يدعون ويتضرعون إلى الله تعالى أن يجعلهم سعداء لا اشقياء وقد تواتر ذلك عن أئمتنا في أدعيتهم المأثورة وورد في السنن الكثيرة : أن الصدقة على وجهها وبر الوالدين واصطناع المعروف يحوّل الشقاء سعادة ويزيد في العمر وصحّ عن ابن عباس انه قال : لا ينفع الحذر من القدر ولكن الله يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر . هذا هو البداء الذي تقول به الشيعة ... » انتهى كلامه .

حقيقة البداء :

ونحن نقول : إن المراد بالبداء هو أن يظهر الله لرسوله أو لوليه على المقتضي

---

(١) يشير في الحاشية إلى تفسير الرازي ج ٥ ص ٢١٠ في سورة الرعد .

(٢) يشير إلى تفسير مجمع البيان ج ٣ ص ٣٩٨

للفعل لمصلحة ما، من دون أن يطلعه على ما سوف يحصل له من الموانع أو ما سوف يفقده من الشرائط فيخبر عنه ، ثم بعد ذلك يظهر انه قد كان لذلك المقتضي مانع عن التأثير أو انه فاقد لشرط التأثير ، فالبداء هو بمعنى الابداء والاظهار فما المانع من ان يكون الشيء الفلاني له مقتض يؤثر فيه الوجود لولا الدعاء ، أو ان الدعاء مثلاً شرط لتأثيره، فنحن ندعو رجاء أن يحصل ذلك الشرط المؤثر لهذا الأثر المرغوب أو ليكون الدعاء مانعاً عن تأثير المقتضي في مقتضاه غير المحبوب .

بين البداء والقدر :

فليس البداء الذي يقول به الشيعة مما اجمع العلماء على تكفير القائل به على ما قاله الكاتب بل هذا البداء الذي تقول به الشيعة هو لازم اطلاق قدرة الله ومؤكدها ومبين ان القدر ليس بآله كبير ولا صغير ولا يخرج الامر عن بداء الله وإذا كنت لا تقول بالبداء بهذا المعنى وقلت بالقدر السلفي الذي تزعمه فإن ذلك يدخلك في ثنوية المجوس أولاً وفي قول اليهود ثانياً وهو ان الله ممنوع بالقدر عن التصرف في خلقه كيف يشاء كما قال الله عنهم «وقالت اليهود يد الله مغلولة» وغير خفي ان المتابعة لقول اليهود كما فعلته جماعات ممن ينتحلون الاسلام سوف تدخلهم في لعنة الله فإن الباء السببية في قوله تعالى : ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء – تدل على ان هذا القول سبب لدخولهم في لعنة الله وانه لا خصوصية لليهود في ذلك .

التقية :

ثم يعود الكاتب ليقول :

(وكذلك استعمالهم للتقية التي هي النفاق بعينه) وهكذا .. فانك ترى في هؤلاء الذين يسمون انفسهم بالسلفية ظاهرة عجيبة وهي انهم يتخلون في عدائهم للشيعة عن كل دين ومذهب وكتاب وسنة بل ان الدين المتّبع عندهم

هو انكار قاله ويقوله الشيعة كائناما كان حق وأن جرّم ذلك إلى انكارصريح الكتاب العزيز بل ينقلب عندهم نصّ القرآن إلى النفاق بعينه !!! من غير نكير عليهم من أحد !! والسرّ في ذلك هو ظاهرة المحاكاة المستحكمة في جنس هؤلاء فإذا رأى احدهم شخصاً من أهـــل مذهبه يستنكر التقية على الشيعة فانه هو بدوره أيضاً يقلده في ذلك ويستنكرها ويرفضها .

التقية ثابتة في القرآن :

وكيف كان فان التقية وحكمها مذكوران في الكتاب الكريم ، قال تعالى:

١ – لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه واليه المصير [١]

وقال تعالى :

٢ – من كفر بالله من بعد ايمانه الاّ من اكره وقلبه مطمئن بالايمان [٢]

وقال تعالى :

٣ – وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه [٣] الخ .. ومن الواضح انه تعالى في مقام مدح هذا المؤمن الذي استعمل التقية بما له من الوصف المذكور في الكتاب فيستفاد أن كتمان الأيمان ليس نفاقا وليس من عادة الله أن يمدح النفاق . واما السنة فقصة عمار معروفة في كتب الحديث فان الكفار لم يتركوه حتى سبّ النبي ﷺ وذكر الهتهم بخير وقال رسول الله ﷺ ان عادوا فعد . ويقولون ان آية إلامن اكره وقلبه مطمئن بالايمان قد نزلت في عمار في هذه المناسبة .

(١) آل عمران ٢٨ (٢) النحل ٢٠٦ (٣) غافر ٢٨

ومن هذا يظهر ان انكار التقية على اطلاقها كما فعله هذا الكاتب إنما هو انكار لحكم الله الثابت في القرآن الكريم ، وانكار لسنة نبيه ﷺ .

ولو كان لقضاة تلك البلاد غيرة على كتاب الله ، وعلى دينه واحكامه لألقوا القبض على كاتب هذا المقال ، واجروا عليه حكم المرتد ، ولكنهم إنما يكنزون غيرتهم وشدتهم ليواجهوا بها هذا الشاب الذي ألف كتاب « أبو طالب مؤمن قريش » حيث حكموا بوجوب شنقه – على ما بلغنا – وليس لأبي طالب شيخ الأبطح ، كفيل الرسول والمحامي عنه وعن دينه ، المصرح بإيمانه في اشعاره – ليس له ذنب – الا انه والد علي أمير المؤمنين ، وأب للعترة الهادية ، ولذا لا تسمح نفوسهم بذكر إيمانه والاشادة بفضائله ، إلا أن يكون في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه .

احمد بن حنبل والتقية :

ثم أنه ان كانت التقية نفاقاً فلقد استعمل أحمد بن حنبل هذا النفاق بعينه لما أحضر للمرة الأولى فقال له الوالي : ما تقول في القرآن ؟ قال : هو كلام الله ، قال أمخلوق هو ؟ قال : هو كلام الله لا أزيد عليها [١]

ولكنه زاد بعد ما علا نجمه في عصر المتوكل ، وكفّر من لم يزد ، فكان يقول ويكتب في رسائله : ومن زعم ان القرآن كلام الله ووقف ، ولم يقل ليس بمخلوق فهو اخبث من القول الأول [٢] .. يعني اخبث من القول بخلق القرآن نفسه .

وقال أيضاً في الفرق الثلاث التي ينبزها بلقب الجهمية : وقالت طائفة :

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٠١
(٢) طبقات الحنابلة ج ١ ص ٢٩

القرآن كلام الله وسكتت (كما سكت ابن حنبل في ذاك المجلس تقية) وهي الواقفة الملعونة [1]

عامة أهل الحديث والتقية :

وان عامة أهل الحديث قد استعملوا هذا النفاق أيضاً، حيث اجابوا المأمون بما يريد في محنة خلق القرآن ، ما عدا افراداً معدودين منهم محمد بن نوح ، وابو نعيم والبويطي .

ابن تيمية والتقية :

كما استعمل ابن تيمية هذا النفاق بعينه في قضية خلق القرآن ايضاً ، فإنه كان يخالف ابن حنبل والحنابلة ، ويقول بحدوث القرآن وخلقه ، فيظهر في عباراته موافقتهم لفظاً ، ولكنه يفسر كلام ابن حنبل وسائر عبارات أهل الحديث ، المصرحة بأن القرآن غير مخلوق ، يفسرها ويقول : بأن مرادهم ان القديم هو مباني كلامه تعالى وهي حروف المعجم فهذه هي القديمة ، وغير المخلوقة ، ويستدل على ذلك باستدلالات المعتزلة ، ويستنهض العقول على ابطال عقيدة قدم القرآن، ولكنه لا يفوته أن يتظاهر بنوع موافقة لأهل الحديث تقيّة، ويتستر بتطويله وتكراره ، واستطراداته عن اظهار مخالفته الصريحة لأهل الحديث ، لكنه يدرج مخالفته الواقعية في طي كلماته .

وبهذا زادت تقية ابن تيمية أو نفاقه على التقية التي يقول بها الشيعة اتباعاً للكتاب والسنة فإنها عندهم في موارد الاكراه والخوف ، وابن تيمية لم يكن مكرها على اثارة مسألة خلق القرآن من جديد حتى يتقى ابناء مذهبه الحنابلة. ومع ذلك فهو قد فعل ، واستعمل التقية .

---

(١) الرد على الجهمية لأبن حنبل في كتاب الدومي ص ٢٨

والمهم في الأمر هو أن ابن تيمية كان مطمئناً إلى عدم شغب ابناء مذهبه عليه مع مخالفته في المسألة لابن حنبل واقعاً ، إذ كان عارفاً بهم وبأفهامهم وبأفكارهم وعقولهم ، وانه لا يوجد إلى آخر الأبد ما دام كونهم حنبليين من يفهم أو يتنبه لمخالفة قوله لقول ابن حنبل ولا يهمه من غير الحنابلة أحد .

نصب الحنابلة وتقيتهم :

كما وان غالب من تزيا بزي اهل العلم من الحنابلة يستعملون هذا النفاق فهم يخفون بغض آل محمد ﷺ ويبطنون النصب ، وقد تمرنوا على ذلك ، ومردوا عليه طول عمرهم كما قال الله تعالى : ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم ، وهؤلاء يخفون النفاق أيضاً،وقد كان يعرف النفاق في عصر الصحابة ببعض علي بن ابي طالب . ونفاق هؤلاء أشد حيث انهم قد مرنوا على اخفاء هذه العلامة .. ولكن .. ولتعرفنهم في لحن القول .

معاملة الشيعة لاهل السنة :

ويستمر الكاتب فيقول : « وإجماعهم على جواز الكذب على أهل السنة ، وإباحة شهادة » ..

ونقول نحن : وهنا بلغ الحماس الديني بكاتبنا إلى أوجه الأعلى ، فانحط إلى أسفل درك من الكذب والوقاحة ، وعمل بالكلمة المشهورة : إذا لم تستح ، فاصنع ما شئت ، فرأى نفسه بطل هذا الميدان ، فأتى بطامات ومفتريات يعجز عنها العقل واللسان :

من كان يخلق ما يقول فحيلتي فيه قليلة

وإلا .. فمن هو ذلك القائل من الشيعة: إنه يجوز الكذب على أهل السنة؟!

فضلاً عن الاجماع الذي ادّعاه هذا الباهت المفتري ، واستقصى فيه أقوال علماء الشيعة في جواز الكذب على أهل السنة ، واستباحة دمائهم ، وأموالهم وأعراضهم. وشهادة الزور عليهم ؟!

وإذا كان عدد الشيعة ليس قليلاً ، ولاهم مغمورن لا يعرفهم أحد – حتى في بلد هذا الكاتب نفسه .. فلا يمكن أن ينسب اليهم هـذه الطامات إلا من له وقاحة وجرأة قوية على البهت والافتراء .. فهذه البحرين ، والاحساء ، والقطيف ، وجماعات في مكة والمدينة المنورة ، والحجاج في كل سنة ، من إيران ، والعراق ، وسائر البلاد الشيعية ، والمعتمرون منهم في غير أشهر الحج ، يزيدون على مئات الألوف والملايين ، والتجربة والمشاهدة تكذب هذا الكاتب حيث اننا نرى الشيعة والسنة في هذه المواقف والبلاد وفي مختلف بلاد العالم إخوانا متحابين متصادقين إلا أن يفـتن بينهم مثل هـذا الكاتب وغيره في بعض الأحوال ، بأكذوباته ..

السلطة وادوات الفتنة :

ولست أدري لماذا يغفل أمراء تلك البلاد عن أن إثارة الفتنة تخـل بأمن البلاد والعباد ، وهم المسؤولون أمام الله والناس ، ووجدانهم .. فلماذا يسمحون بنشر أكاذيب واضحة فاضحة في مجلة رسمية أسست للتوجيه للدعوة إلى التوحيد بين المسلمين ؟ ! ..

فنحن نطالب أمراء تلك البلاد وحكامها بالاهتمام بهذا الأمر ، والعمل بقول الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ، أن تصيبوا قوماً بجهالة ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين [1] .

---

(١) الحجرات : ٦ .

رمتني بدائها وانسلّت :

هذا .. ولو أن الشيعة حاولو استخراج الاجماع العملي لأهل السنة ، الذين يردون على الشيعة ، ويفترون عليهم .. ثم قالوا : إنم يجمعون عـلى جواز الكذب على الشيعة ، بدليل كثرة هذه الأكاذيب منهم عليهم باستمرار ، مع أن الشيعة منها براء – لو أنهم حاولوا وادعوا ذلك – لم يبعدوا عن الحق والواقع.

ومن أظرف وأنفذ أساليبهم أن نجد البعض من هؤلاء يحاول أن يصدق فيما ينسبه إلى الشيعة في موارد ، بل ويدافع عنهم فيما صدق فيه ، ولكن ذلك منه ليس إلا من أجل أن يكذب كذبة كبيرة ، وافتراءاً عظيما عليهم في مكان آخر ، كما فعله أحمد محمود صبحي في كتابه : «نظرية الامامة لدى الشيعة الأثني عشرية» في بعض موارد كتابه .. وهذه طريقة يهودية في التضليل ، حكاها عنهم الله تعالى في كتابه الكريم ، فقال : وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنـوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار ، واكفروا آخره لعلهم يرجعون [1] .

وقال تعالى : قل : لا تعتذروا ، لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم [2].

كذبة مفضوحة :

ولكن الكاتب قد تدارك الأمر بطرف خفي ، وحتى لا يتضح كذبه ، نراه قد أشار إلى أن ما قاله إنما كان في الزمان السابق ، وذلك حيث قال : «والتاريخ شاهد صدق على ذلك» . فلنراجع التاريخ فلقد أقر أنه شاهد الصدق فقد قال ابن الأثير في فتنة الحنابلة ببغداد سنة ٣٢٣ بعد أن ذكر انهم منعوا عن كثير من

---

(١) آل عمران : ٧٢ .

(٢) التوبة : ٩٤ .

الأمور : « ومشى الرجال مع النساء والصبيان ؛ فإذا رأوا ذلك سألوه عن الذي معه من هو ؟ فأخبرهم والا ضربوه وحملوه إلى صاحب الشرطة ، وشهدوا عليه بالفاحشة فارهجوا بغداد » [1] .

وقال السبكي : « وقد بلغ الحال بالخطابية [2] .. وهم المجسمة في زماننا ، فصاروا يرون الكذب على مخالفيهم في العقيدة ، لا سيما القائم عليهم بكل ما يسوؤه في نفسه وماله .

وبلغني أن كبيرهم استفتى فى شافعي أيشهد عليه بالكذب ، فقال ألست تعتقد أن دمه حلال ؟ قال : نعم قال : فما دون ذلك دون دمه فاشهد ، وادفع فساده عن المسلمين ، قال السبكي فهذه عقيدتهم يرون انهم المسلمون ، وانهم أهل السنة ، ولو عدّوا عدداً لما بلغ علماؤهم ولا عالم فيهم على الحقيقة مبلغاً يعتبر ، ويكفرون غالب علماء الأمة ثم يعزون إلى الامام أحمد بن حنبل ، وهو منهم بريء » [3] .

فهذا هو التاريخ والشاهد الصدق هكذا يقول

ويظهر أن الذي افتريت به على الشيعة إنما هو في أهل مذهبك وحسب يا كاتبنا العزيز .. نعم .. في مذهبك .. ولم ينس الناس بعد ما وقع في سنة ١٣٦٢ هـ . من شهادة الزور على حاج إيراني اسمه أبو طالب ، الذي تغيرت

---

(١) الكامل لابن الأثير جـ ٨ ص ٣٠٧ .

(٢) وذكروا في شرح مقالة الخطابية : أنهم يجوزون شهادة الزور على مخالفيهم ولهذا أطلق السبكي كلمة الخطابية على الحنابلة ايضاً ..

(٣) عن « طبقات الشافعية جـ ١ ص ١٩٣ .

حالته الصحيحة ، فقاء في لباس احرامه تلافياً لتلويث الناس والمسجد ، فأخذوه ، وشهد عليه الشهود : أنه أراد تلويث الكعبة المعظمة ، فقتل رحمه الله ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ..

وقد عرف الامام محمد بن جرير الطبرى هؤلاء على حقيقتهم فقال فيهم : لا عصابة في الاسلام كهذه العصابة الخسيسة [1] .

---

(١) المنتظم جـ ٦ ص ١٥٩ .

الفقه الحنبلي ..

لا بد من حجة

ويقول الكاتب : « زد على ذلك : أن أذانهم يختلف عن أذاننا ... »

وهكذا .. فانك ترى هذا الكاتب قد كرر في العبارة ضمير : « نا » الذي يشير به إلى جماعة يعتز بهم ، فنقول له : ومن أنتم أصلحكم الله ؟ ! .. فان كنت تقصد الحنابلة ، والفقه المنسوب إلى أحمد بن حنبل ، فسأخبرك - كما أخبرنا أهل العلم والثقات والمحققون - : ان هذا الامام المبجل أحمد بن حنبل لم يكن من أهل الفقه والفقاهة ، وأن هذا الفقه المنسوب إليه إنما هو شيء لفقه غيره ، وليس له إلا راو واحد ، وهو الخلاّل ، وفيه شواهد على أنه لم يكن من ابن حنبل ، ونرشد كاتب المقال هنا إلى كلمته التي نصحنا بها ليعود إليها، ويتعظ بها ، حيث قال :« أريد من كل شيعي أن يرفع رأسه ، وأن يخرج من قوقعته المظلمة ... وان يعلم بأنه مسئول امام الله بحكم عقله فان المحاكاة لا تصلح إلا للقردة » ونقول له هل نظرت إلى ما في يدك من هذا الفقه الذي تتدين به امام الله ؟ هل صحت نسبته إلى ابن حنبل ؟ وقبل ذلك .. هل كان ابن حنبل فقيهاً ؟ وعلى فرض كونه فقيهاً ككثيرين غيره ، وصحت نسبة هذا الفقه اليه لماذا اخترت ابن حنبل على غيره وهل ورد فيه بالخصوص حجة بينة من الله وحديث صريح عن رسول الله ﷺ مثل « اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأحمد بن حنبل » ام ان متابعتك لهذا الفقه المنسوب أو المكذوب انما هو من باب : انّا وجدنا آبائنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ؟فعليك أولاً أن ترفع

رأسك وتفتح عين قلبك وتأذن لعقلك أن يحكم حكمه وتخرج مـــن قوقعتك المظلمة المنيرة على زعمك ليصح لك بعد ذلك أن ترشد غيرك ـ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون – أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ـ . فإذا أنت لم تستحكم براهينك أمام الله وأمـــام وجدانك في كل هذه المراحل الثلاث (كون ابن حنبل فقيها كون الفقه المنسوب اليه غير مكذوب . لزوم اتباعه وحده من بين الفقهاء) فليس لك أن تطنطن بأمر لا برهان لك فيه في شيء من مراحله ولا أن تظهر الاعتزاز بأمر هو أوهن من بيت العنكبوت لدى التحقيق العلمي وحسب مقائيس القرآن والعقل . ثم انه لم يكن ليحتج أحد من العقلاء على خصمه بهذا البرهان المبين القاصم للظهر !! وهو أن يقول له ان قولك يختلف عن قولي – وفعله هذا الكاتب العبقري !! ، وجعله من موجبات الطعن والذم لمخالفيه !!

أحمد بن حنبل يعترف بأنه ليس بفقيه :

والمعروف عن الامام أحمد بن حنبل هو أنه رجل النقل والحديث وهذا أمر مسلم ومشهور وأما اتصاله بالفقه فانما كان بصورة نقل مدارك الفقه ورواياته فقط وأما الاختيار لقول وترجيحه على سائر الأقوال والجمـــع بين المتعارضات من الأحاديث بالتخصيص والتقييد كما هو شأن الفقيه وهو الفقه بمعناه الفني المصطلح فلم يكن أحمد بن حنبل من أهل ذلك ولم يكن يدعيه في حياته بل كان يتحرز من الفتيا ويرى في اجتنابها قداسة ونزاهة ولذلك لم يدخل نفسه فيها .

أحمد ابن حنبل عند نفسه :

قال الخطيب بالاسناد : ... قال كنت عند أحمد بن حنبل فسئله رجل عن مسئلة في الحلال والحرام فقال له أحمد سل عافاك الله غـــيرنا ، قال انما نريد

جوابك يا أبا عبد الله قال سل عافاك الله غيرنا ، سل الفقهاء سل أبا ثور [١] فهو يرى نفسه من غير الفقهاء ويكرر ذلك مرتين ويقول المرجع في الفتيا هو الفقيه وهو غيرنا .

وهذا الارجاع إلى غيره لم يكن وليد مناسبة ، أو مجلس ، بل هو عزيمة منه وطريقة اختارها لنفسه ، فقد قال المروزي : سمعت أحمد يقول : أمـــا الحديث ، فقد استرحنا منه ، وأما المسائل ، فقد عزمت إن سألني أحد عن شيء ، فلا أجيبه [٢] .

وهذا هو الورع التام ، عندما يرفض أحمد ابن حنبل التدخـــل في أمر لا يحسنه ..ولكن الخلاّل جعل الراوي لمثل هذا أحد ناقلي فقه أحمد بن حنبل !!

وذكر الخطيب بالاسناد ... أنه قدم أحمد بن حرب (الزاهد النيسابوري) من مكة ، فقال لي أحمد (بن حنبل): من هذا الخراساني الذي قدم؟ قلت: من زهده كذا وكذا ، فقال : لا ينبغي لمن يدعي ما يدعيه (يعني من الزهد) أن يدخل نفسه في الفتيا [٣] .

فالامام ابن حنبل يرى أن من الزهد والورع أن لا يدخل الانسان نفسه في الفتيا .

وقال أبو بكر الأثرم تلميذ أحمد بن حنبل ، قال : كنت أحفظ الفقه والاختلاف ، فلما صحبت أحمد بن حنبل تركت كل ذلك .

---

(١) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٦٦ .

(٢) مناقف أحمد ص ٥٧ .

(٣) تاريخ بغداد ج ٤ ص ١١٩

وجعله الخلاّل ممن يروي فقه أحمد، مع أنه قد ترك الفقه والاختلاف موافقة لمسلك أستاذه في الحديث وترك الفقه ..

وقال أحمد بن حنبل : إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام [1] .

يعني بذلك : لا تفت في مسألة اطلاقاً ، حتى وان كان بيدك حديث ، أو أكثر عن رسول الله ﷺ ، إلا إذا كان لك إمام في هذه الفتوى تعتمد عليه ..

وهذه الكلمة هي كلمة المقلد الصرف ، الذي لا يعتمد على نفسه في اجتهاده، واستنباطه ، ويلقي تبعة الصواب والخطأ على غيره ..

وذكر الخطيب بالاسناد عن محمد بن عبد الرحمان الصيرفي ، قال : قلت لأحمد بن حنبل إذا اختلف أصحاب رسول الله ﷺ في مسألة ، هل يجوز لنا أن ننظر في أقوالهم ، لنعلم مع من الصواب منهم ، فنتبعه ؟ فقال لي : لا يجوز النظر بين أصحاب رسول ﷺ . فقلت : كيف الوجه في ذلك ؟ قال : تقلد أيهم أحببت .

وأنت خبير بأن القول بعدم حق النظر في ترجيح أحد القولين او الأقوال ، هو منتهى التسليم ، والتورط في عدم التفقه ، والابتعاد عن الاجتهاد في الأحكام الشرعية .

والسؤال هنا هو : إن من كان هذا رأية ، هل يمكن عقلا أن يكون فقيهاً مجتهداً ؟ ! .

---

(١) أحمد بن حنبل ، لأبي زهرة ص ١٦٩ .

(٢) جامع بيان العلم ص ٩٦ - ٢٠٢ ج ٢ .

وماذا يقول الناس عن فقه أحمد ؟

ولأجل هذا كله لم يذكره ابن قتيبة في جماعة الفقهاء ، مع أن ابن قتيبة هذا هو متكلم أهل السنة ، والمدافع المتحمس عنهم، ولو كان يعرفه بالفقه والاجتهاد لم يبخس مثله حق ابن حنبل ، مع قرب عهده به وهكذا أيضاً أبو عمر بن عبد البر فانه لم يذكره في الفقهاء في كتابه الانتقاء .

كما ان ابن جرير الطبري لم يذكره في كتابه في اختلاف الفقهاء حيث لم يكن لابن حنبل فقه بمعناه المصطلح فاعترض عليه الحنابلة بأنه لِمَ لم تذكر قول أحمد بن حنبل في كتابك فأجاب بما يعرفه هو عن ابن حنبل ويعرفه الناس به فقال انه لم يكن فقيهاً وانما كان محدثاً، فحصل بينه وبين الحنابلة ما حصل [1]

وقال الشيخ أبو زهرة : ان كثيراً من الأقدمين لم يعدوا أحمد من الفقهاء كابن قتيبة وهو قريب من عصر أحمد جدا وابن جرير الطبري وغيرهما ولو كانت تلك المجموعة الفقهية معروفة مشهورة عنه وهي بلا شك تجعل صاحبها فقيهاً أي فقيه (ولنا في هذه الجملة الأخيرة كلام سنشير اليه) ما ساغ لأولئك أن يحذفوا أحمد من سجل الفقهاء ... [2] ويشهد أيضاً لعدم معروفية أحمد بن حنبل بالفقه وانه لم تكن له تلك المجموعة الفقهية أن جماعة ممن ينتسبون إلى أحمد ويبجلونه كال التبجيل والاكرام لا ينتسبون اليه فقهياً وذلك مثل الامام الأشعري فانه بعد ما تاب عن الاعتزال وانتسب الى أحمد أي صار حنبليا كما ذكره ابن عساكر اختلفوا في مذهبه الفقهي أنه حنفي أو شافعي أو غيره ولم يذكروا أنه حنبلي ومثله الباقلاني فانه مع كونه يوقّع : أبو بكر الحنبلي [3]

---

(١) ضحى الاسلام ج ٢ ص ٢٣٥ .

(٢) أحمد بن حنبل لأبي زهرة ص ١٧٠

(٣) درء التعارض لابن تيمية .

فقد كان على مذهب مالك في الفقه ومثله عبد الله الانصاري الهروي المتوفى سنة ٤٨١ وكان شديد الانتصار لمذهب أحمد وهو القائل على المنبر يوماً بهراة

أنا حنبلي ما حييت وان امت فوصيتي للناس أن يتحنبلوا

ولكنه في الفقه كان على طريقة ابن المبارك على ما يذكر عن ابن تيمية [1]

هذا كله في أن الامام ابن حنبل لم يكن فقيهاً وانه عرف ذلك منه معاصروه ومن هو قريب العهد به مضافاً إلى أن كتابه الصغير في الصلاة لا يدل على براعة له في الفقه فانه انما ذكر المسلمات من بعض مسائل الصلاة والحث والترغيب على اتيانها بآدابها بل اننا لا نرى أثراً لتأثير فقه الامـــام الشافعي عليه الذي كان أول من شرع في بناء الفقه والفتوى العملية على الأحاديث المأثورة والاجمـاع وملاحظة أقوال الصحابة والتابعين وتقويمها والأخذ بواحد منها عـــلى ما هو مترقب من الفقيه ذي النظر .

قيمة الفقه الحنبلي :

وأما عن قيمة الفقه المنسوب إلى أحمد بن حنبل ، لو فرض – وهو فرض غير واقع – أنه أحد الفقهاء ، فان وجود هذه المجموعة الكبيرة عن إمـام له هذا التقدم في الحديث يمتنع عن كتابة آرائه ، وينهى الناس عن كتابتها غير معقول . وانما نقل الخلاّل (فقط) أجزاءاً كبيرة عن أناس مختلفين وهذا ممـا يسيء به الظن ، خصوصا وانه لم يكن في عصر ابن حنبل .

ثم إننا نرى أن ابن حنبل ينهى في رسائله عن الرأي والقياس والاستحسان ،

(١) التاج المكلل ص ١٨٧ و ١٨٥ ، ومن هذا وأشباهه يعرف : أن اسم الحنبلي كان يتبادر منه من هو منسوب إلى ابن حنبل من جهة المذهب العقائدي فقط ..

ويجعل القائلين بالرأي والقياس في رديف الجهمية والقدرية والرافضة ، ويحمل على أبي حنيفة بشخصه ..

ولكننا مع ذلك نرى أن القول بالقياس قد أدخل في هـذا الفقه المنسوب إلى ابن حنبل .. وبعد هذا فيكفي أن نذكر أن الشيخ محمد أبو زهرة يقول :

ان الفقه المنقول عن أحمد (بن حنبل) قد تضاربت أقـــواله فيه تضارباً يصعب على العقل نسبة كل هذه الأقوال اليه . وافتح أي كتاب من كتب الحنابلة ، وأي باب من أبوابه تجده لا يخلو من عدة مسائل اختلفت فيه الرواية بين لا ونعم [1] .

ولقد أجاد أبو زهرة في بيان هذه النكتة المطّردة في هذا الفقه ..

فعلينا إذن أن نبين كيف وجد هذا الفقه ، بحسب ما ظهر لنا من النصوص التاريخية ، فنقول :

كيفية نشوء الفقه الحنبلي :

إنه بعد ما صار أحمد بن حنبل إماماً لعقائد أهـل السنة ، بسبب تضحيته وصبره في قصة خلق القرآن .. عظم مقامه عند الناس ، وتقدم على مشايخه فضلا عن أقـرانه .. فصارت السنة هي ما يقوله أحمد بن حنبل ، واختفت سائر آراء أهل الحديث في المسائل العقائدية . بل لم يعل نجم أحد من أئمـــة الاسلام في حياته وعصره مثل ابن حنبل ، فإنهم إنما صارت لهم هذه العظمة والكرامة بعد موتهم إلا أحمد بن حنبل ، فلقد رأى بأم عينيه علو نجمه وظهور أمره ، وصار بذلك أي بسبب قضية خلق القرآن إمام عقائد أهل السنة بلا

(١) أحمد بن حنبل لأبي زهرة ص ١٦٨ .

مدافع ، واستمرت إمامته العامة في العقائد حتى غلبة مذهب الاشاعرة ..

وتجرد رجلان معاصران له تقريباً لتدعيم إمامته وتكميلها من ناحيتين . كان ابن حنبل يحرّم احداهما ، وهي الكلام والاستدلال ،ويتنزه عن الأخرى تورعاً ، وهي الفقه والافتاء ..

وكان ذلك التدعيم بعد موته بسنين ، حيث كانت قد بقيت عظمته في النفوس والعوام ، بل كانت تزيد باستمرار ، ولكن قد احتاجت إمامته العامة ، حسب « قانون العرض والطلب » إلى الترقيع من هاتين الناحيتين ..

أما الترقيع من ناحية الكلام والاستدلال فقد قام به الامام أبو الحسن الأشعري ، بعد ما صار من الحنابلة ، فخرج بمذهب جديد لا يخالف مذهب أهل السنة كل المخالفة ، ولا يوافقه كل الموافقة وإن كان قد سبقه إلى ذلك المذهب آخرون ، مثل الكرابيسي ، وحفص الفرد ، وابن كلاّب ،والكلابية ، وليس هنا محل ذكره ..

وأما الترقيع من الناحية الثانية ، فقد قام به أحمد بن محمد بن هارون أبو بكر الخلاّل ، المتوفى سنة ٣١١هـ ...وهو جامع أشتات المسائل الفقهية المنسوبة لابن حنبل ، ومن حلقته في جامع المهدي ببغداد انتشر المذهب الحنبلي الفقهي بلا ريب .. وقد اختلفت الروايات في أقوال أحمد اختلافاً عظيما ، والمخرجون بعده اختاروا صحة بعض الأقوال ورجحوها على غيرها [1] .

ولكن يظهر لنا أن ذلك تكلف لا مبرر له ، إذ قد عرفت أبا زهرة يقرر: أن اختلافات أقوال أحمد بمكان يصعب على العقل نسبة جميعها إليه..والحقيقة هي انه ليس أياً منها رأيه وقوله ، وإنما هو راو وناقل للحديث الدال على

---

(١) راجع كتاب : أحمد بن حنبل لابي زهرة ..

الأقوال فقط .. وذلك لأن الخلاّل ، قد عمد إلى جمع الأحاديث التي رواها أحمد ،أو كان في طريق روايتها – لو صدق الخلال في روايته – ونقل المتخالفين والمتناقضين – والجمع أمر حسن بنفسه – ،ثم جعل هذه الروايات المختلفة أقوالاً للامام أحمد وفتاوى له ، وهذا هو منشأ التضارب والتناقض في الفتاوى المنسوبة لابن حنبل ..

وذلك نظير ما لو أخذ مصنف عبد الرزاق الصنعاني ، المطبوع حديثاً ، وحذفنا أسانيد رواياته ، وبوبنا متونها على حسب الترتيب الفقهي ، وعند تعارض الأحاديث وفتاوى الصحابة ، ومن يعتمد على آرائهم نقول : إن لعبد الرزاق فيه روايتين .. فلو عمل الخلال هذا فانه لا يجعل عبد الرزاق ولا ابن حنبل فقيهاً ، ولا المأثور عنهما فقهاً يتبع .

ولعله لا يبعد أن يكون تاريخ بدء قوله هذا الفقه بهذا النحو كان بعد تأليف الطبري لكتابه : اختلاف الفقهاء ، الذي لم يذكر فيه أحمد بن حنبل أصلا ، الأمر الذي كان سبباً في تعرضه لحملات الحنابلة عليه (والله أعلم)

هذا .. وقد نقل عن الامام الغزالي ان الاعتراف بفقه الحنابلة كان حوالي سنة ٥٠٠ هـ [1] .

الاختلافات الفقهية بين الشيعة وغيرهم :

هذا كله .. إذا كان كاتب المقال يريد بيان مخالفة فقه الشيعة للفقه المنسوب إلى أحمد بن حنبل ، فقد بينا عدم ضير المخالفة لفقه مزعوم مكذوب من أصله.

وأما إذا أراد أن فقه الشيعة مخالف لجميع المذاهب الفقهية السنية في جميع الأحكام ، فهذا كذب عليهم.. فان اختلاف الشيعة مع الشافعية مثلاً لا يزيد على

---

(١) الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٧٠ .

اختلاف الحنفية مع المالكية ، والشافعية مع الحنفية ، وهكذا ..

هذا كله .. عدا عن أن ثمة مذاهب فقهية كثيرة أخرى وكان لهـــا أتباع كثيرون ، مثل فقه: الحسن البصري ، ومثل السفيانية ،والأوزاعية ،والعطائية ، والثورية ، والمباركية ، والراهوية والطبرية ، والداودية (الظاهرية) ، وغيرها ، حتى لقد قيل : انه قد انقرض في القرن الرابع الهجري خمسمائة مذهب فقهي [1]

وعلى حسب منطق القرآن .. فان اتباع الناس لهذه المذاهب ، واختيارهم لها ، من دون أمر من الله ورسوله .. يكون قولاً بغير عـــلم ، واتباعاً للهوى والظن ، وصدق الله الذي يقول في هؤلاء وائمتهم: « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله [2] » .

ومن العجيب – وكل قضايا هؤلاء تثير عجباً – : أن بقية من بقـايا تلك الفرق تنسب إلى رجل لم يكن يدعي في حياته هذا المقام لنفسه ، ثم هي تشنع وتحمل على الفرقة المحقة التي تمسكت في أمور دينها بعروته الوثقى ، واتبعت أمر الرسول ﷺ باتباع أهل بيته عليهم السلام .. وغاية ما تحتج به تلك الفرقة على المتمسكين بأهل البيت هو قولها : انكم تخالفوننا !!.. ونقول لهم : ومن أنتم؟ حتى تكون مخالفتكم شناعة ، وموافقتكم اعتزازاً ؟ ! ..

---

(١) الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٧٠ عن مقدمة اختلاف الفقهاء ص ١٤ عـــن كتاب : عمدة العارفين .

(٢) التوبة ٣١ .

حي على خير العمـــل في الأذان

وأما اختلاف أذان الشيعـة عن أذان غيرهم ، فليس إلا في « حي على خـير العمل » التي يقولها الشيعة ، وإلا في زيادة السنة عبارة « الصلاة خير من النوم » في أذان الصبح .. وكلاهما من تصرفات الخليفة عمر بن الخطاب التشريعيـــة ، وحيث إننا لا نقول بنبوة الخليفة ، ولا بذلك الحق التشريعي له ، وإنما نتبـع سنة رسول الله ﷺ ، حسب ما كان عليه الأذان الأول .. فإننـا لا نرى في مخالفة غير سنة الرسول ﷺ غضاضة ولا محذوراً .

ولقد نشر في مجلة الهادي الغراء ، التي تصدر في قم في العدد الخامس من السنة الخامسة ، والأول من السادسة مقالان حول هذا الموضوع بقلم السيـــد جعفر مرتضى العاملي اعتمد فيها الكاتب على كتب أهل السنة ، وأثبت بمـا لا يقبل الشك أن « حي على خير العمل » من الأذان ، وان عمر هو الذي أسقطها منه .

وأما عن التثويب في صلاة الصبح ، فليراجع مصنف عبد الرزاق ، وكنز العمال ، ودلائل الصدق للعلامة المظفر ج ٣ قسم ٢ ص ٩٨/٩٩ ليعلم أن عمر أيضاً هو الذي زادها في أذان الصبح .

الشهادة بالولاية لعلي (ع) في الأذان :

وأما قول الشيعة بعد الشهادة بالرسالة : « أشهد أن علياً ولي الله » فهـــذا

هو الداء الدوي لخصومهم ، والذنب الذي لا يغفر ، وقاطع نياط قلوب النواصب ولا أدري هل كان معاوية أضيق خناقاً من قول المؤذن في كل يوم خمس مرات : « أشهد أن محمداً رسول الله » ، أم هؤلاء عند سماعهم : أشهد أن علياً ولي الله؟!

فمن الواضح عند كل الشيعة – كما ذكره العلماء في رسائلهم العمليـــة – أن هذه العبارة ليست من الأذان ولا الإقامة قطعـــاً ، وأنه إذا أتى بها بقصد الجزئية ، فهو بدعة ومحرم ، ولذا لا يأتون بها بنية أنها جزء من الأذان والإقامة بل بنية التيمن والتبرك وعرض الايمان على الله تعالى – وإنما الأعمال بالنيات – واننا لسنا ممن آمن ببعض وكفر ببعض فالشيعة بلسان حالهم : يا إلهنـا آمنّا بما كفروا وعرفنا منك ما أنكروا وأجبناك إلى ما دعوا وذلك مثل ما إذا قال بعد أشهد أن لا إله إلا الله : جل جلاله وعم نواله وبعد أشهد أن محمداً رسول الله ﷺ وهذا مثل ما ورد عن البعض ... قال سمعت أحمد بن حنبل ما لا أحصيه وكان يكون هو المؤذن فإذا قال الله أكبر الله أكبر : قليلاً قليلاً الله أكبر الله أكبر ، كلما قال كلمة قال مثلها قليلاً قليلاً حتى يفرغ من الأذان إلى آخره[1] فهل ترى ان ابن حنبل يجوز في الأذان الشهادة بالوحدانية أو بالرسالة أو الحيعلات كل واحدة أربع مرات؟ أو انها إذا لم تكن بقصد الجزئية ، كما كان يفعله الامام أحمد ابن حنبل ، لا تقع جزءاً حتى تكون بدعة .

ولكنكم تعلمون كما نعلم أن زقزقتكم هـذه ليس منشؤها غيرتكم على الدين حيث قد زيد في الأذان ما ليس منه بل يرجع إلى النصب وإلى عدائكم الموروث وإلا فعليكم أن تردّوا على عمر بن الخطاب مرتين لا علينا نحن ولقد بلغنا أنكم أخير أتعلّمون الناس التشهد في الصلوة بغير ذكر الصلوة على آل محمد مع أن كيفية الصلوة على رسول الله ﷺ مذكورة في صحيح البخاري وغيره والصلوة على آل محمد داخلة في تلك الصيغة وقد أفتى الفقهاء من جميع الفرق بوجوبها واستحبابها أكثر من

---

(١) طبقات الحنابلة ج ١ ص ٩٧

ثلاثة عشر قرناً وعليه جرت سيرة المسلمين في التشهد عملياً من لدن عصر رسول الله ﷺ إلى اليوم ، فمعارضة ذلك ليس لها إسم إلا الحماقة ، ولا إسم لفـاعلها إلا التيسنة التي ينبزكم بها بعض المعتزلة من قبل ، وهو الزمخشري ، حيث يقول:

وإن قلت من أهل الحديث وحزبه يقولون تيس ليس يدري ويفهم

يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يـتم نوره ولو كره الكافرون .

الحكام وراء شيوع المذاهب الأربعة :

ويقول الكاتب أيضاً : « وصلاتهم تختلف عن صلاتنا » ونقول :

أما معظم مسائل الصلاة وأركانها ، فلا اختلاف بين الشيعة وغيرهم في كثير من مسائلها ، وإذا اختلفوا مع بعض الفرق في شيء ، فترى أن فرقـة أخرى توافقهم ، نعم تبقى بعض المسائل القليلة التي اتفقت المذاهب الفقهيـة الأربعـة الدارجة على مخالفة الشيعة فيها . وليس اتفاقهم على خلاف الشيعة فيها أمراً مهماً ، فلعل أربعمائة من المذاهب الفقهية المنـدرسة توافقهم ، فليست هذه الموافقات والمخالفات أموراً يخاف منها ، سيما بعد أن نعلم سر ، وسبب شيوع هذه المذاهب تاريخياً ..

فإن سبب شيوع مذهب مالك مثلا ، هو مسالة مالك لأولي السلطـة في عصره ، وسيره في ركابهم

ولأجل هذا تماماً شاع هذا المذهب في الأندلس على يد تلميـذ مالك ، وهو يحيى بن يحيى ، لمسالمته لحاكم الأندلس ، وانتخابه القضاة له من المالكيين ومن أصحابه ، فانقرض مذهب الأوزاعي من الأندلس ، وخلفه مذهب مالك .

ولكن ذلك لم يتفق لليث بن سعد ، صديق مالك ، حيث إن السلطـة لم

هو الداء الدوي لخصومهم ، والذنب الذي لا يغفر ، وقاطع نياط قلوب النواصب ولا أدري هل كان معاوية أضيق خناقاً من قول المؤذن في كل يوم خمس مرات : « أشهد أن محمداً رسول الله » ، أم هؤلاء عند سماعهم : أشهد أن علياً ولي الله؟!

فمن الواضح عند كل الشيعة – كما ذكره العلماء في رسائلهم العمليـــة – أن هذه العبارة ليست من الأذان ولا الإقامة قطعـــاً ، وأنه إذا أتى بها بقصد الجزئية ، فهو بدعة ومحرم ، ولذا لا يأتون بها بنية أنها جزء من الأذان والإقامة بل بنية التيمن والتبرك وعرض الايمان على الله تعالى – وإنما الأعمال بالنيات – واننا لسنا ممن آمن ببعض وكفر ببعض فالشيعة بلسان حالهم : يا إلهنـــا آمنّا بما كفروا وعرفنا منك ما أنكروا وأجبناك إلى ما دعوا وذلك مثل ما إذا قال بعد أشهد أن لا إله إلا الله : جل جلاله وعم نواله وبعد أشهد أن محمداً رسول الله ﷺ وهذا مثل ما ورد عن البعض ... قال سمعت أحمد بن حنبل ما لا أحصيه وكان يكون هو المؤذن فإذا قال الله أكبر الله أكبر : قليلاً قليلاً الله أكبر الله أكبر ، كلما قال كلمة قال مثلها قليلاً قليلاً حتى يفرغ من الأذان إلى آخره[1] فهل ترى ان ابن حنبل يجوز في الأذان الشهادة بالوحدانية أو بالرسالة أو الحيعلات كل واحدة أربع مرات؟ أو انها إذا لم تكن بقصد الجزئية ، كما كان يفعله الامام أحمد ابن حنبل ، لا تقع جزءاً حتى تكون بدعة .

ولكنكم تعلمون كما نعلم أن زقزقتكم هـــذه ليس منشؤها غيرتكم على الدين حيث قد زيد في الأذان ما ليس منه بل يرجع إلى النصب وإلى عدائكم الموروث وإلا فعليكم أن تردّوا على عمر بن الخطاب مرتين لا علينا نحن ولقد بلغنا أنكم أخيراً تعلّمون الناس التشهد في الصلوة بغير ذكر الصلوة على آل محمد مع أن كيفية الصلوة على رسول الله ﷺ مذكورة في صحيح البخاري وغيره والصلوة على آل محمد داخلة في تلك الصيغة وقد أفتى الفقهاء من جميع الفرق بوجوبها واستحبابها أكثر من

---

(١) طبقات الحنابلة ج ١ ص ٩٧

ثلاثة عشر قرناً وعليه جرت سيرة المسلمين في التشهد عملياً من لدن عصر رسول الله ﷺ إلى اليوم ، فمعارضة ذلك ليس لها إسم إلا الحماقة ، ولا إسم لفـاعلها إلا التيسنة التي ينبزكم بها بعض المعتزلة من قبل ، وهو الزمخشري ، حيث يقول:

وإن قلت من أهل الحديث وحزبه يقولون تيس ليس يدري ويفهم

يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يـتم نوره ولو كره الكافرون .

الحكام وراء شيوع المذاهب الأربعة :

ويقول الكاتب أيضاً : « وصلاتهم تختلف عن صلاتنا » ونقول :

أما معظم مسائل الصلاة وأركانها ، فلا اختلاف بين الشيعة وغيرهم في كثير من مسائلها ، وإذا اختلفوا مع بعض الفرق في شيء ، فترى أن فرقـة أخرى توافقهم ، نعم تبقى بعض المسائل القليلة التي اتفقت المذاهب الفقهيـة الأربعـة الدارجة على مخالفة الشيعة فيها .. وليس اتفاقهم على خلاف الشيعة فيها أمراً مهماً ، فلعل أربعمائة من المذاهب الفقهية المنـــدرسة توافقهم ، فليست هذه الموافقات والمخالفات أموراً يخاف منها ، سيما بعد أن نعـلم سر ، وسبب شيوع هذه المذاهب تاريخياً ..

فإن سبب شيوع مذهب مالك مثلاً ، هو مسالمة مالك لأولي السلطـــة في عصره ، وسيره في ركابهم .

ولأجل هذا تماماً شاع هذا المذهب في الأندلس على يد تلميـذ مالك ، وهو يحيى بن يحيى ، لمسالمته لحاكم الأندلس ، وانتخابه القضاة له من المالكيين ومن أصحابه ، فانقرض مذهب الأوزاعي من الأندلس ، وخلفه مذهب مالك .

ولكن ذلك لم يتفق لليث بن سعد ، صديق مالك ، حيث إن السلطـة لم

تساعده ، ولا اتفق له أصحاب يؤازرونه كأصحاب مالك .. فانقرض مذهبه وفقهه ، مع أنه كان أفقه من مالك كما قاله الشافعي [1] .

وقال أحمد بن حنبل : كان ابن أبي ذؤيب أفضل من مالك ، إلا أن مالكاً أشد تنقية للرجال منه [2] .

ويقول أحمد أمين : « كان للحكومات دخل كبير في نصرة مذهب أهل السنة ، والحكومات عادة إذا كانت قوية ، وأيدت مذهباً من المذاهب تبعه الناس بالتقليد ، وظل سنداً إلى أن تدول الدولة [3] » .

وأما عن مذهب أبي حنيفة ، فإن سبب انتشاره هو مسالة تلميذيه : القاضي أبي يوسف ، والشيباني ، لطاغوت عصرهما ، هارون الرشيد ، ومؤازرتهما له ، فلم ينصبا قاضياً إلا من أصحابهما ، فصار مذهب أبي حنيفة بذلك من أعظم المذاهب الفقهية ، بالرغم من مخالفة كثيرين من علماء عصر أبي حنيفة ، وبعده له ، ومنهم ابن حنبل ، الذي صرح في رسائل عقائده بثلبه ، وتبعه على هذا الثلب الإمام أبو الحسن الأشعري في الابانة .

وأما مذهب الشافعي ، فلعله كان في بدء أمره أقل حظاً من السلطة الحاكمة . ولكنه عاد فعلا نجمه حينما وجد التأييد له من قبل السلطات .

ولا تنسى أخيراً المذهب الحنبلي الفقهي ، فإنه لو لم يؤيده الحكام لم يكن شيئاً مذكوراً ، مع أن أهل بغداد مثلاً كانوا على المذهب الحنبلي في عقائدهم ..

---

(١) مناقب الشافعي ص ٤٢٥

(٢) عن تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٧٦

(٣) ظهر الاسلام ج ٤ ص ٩٦ .

ثم اتصل الشيخ محمد بن عبد الوهاب بآل سعود فأيدوه وآزروه ، فانتشر هذا المذهب في الحجاز ونجد وغيرهما ..

المذاهب الأربعة في ميزان الاعتبار :

والأمر الذي لم يكن يراعى أبداً من قبل هذه الفرق المتفرقة هو أمر الله تعالى وسنته في جواز اتباع هذه المذاهب وانتحالها وعدمه .. وأنه هل يجوز اتخاذ هذا الإمام إماماً أو لا يجوز ؟! وهل دل دليل ، أو قامت سنة على أن المسلمين مخيرون في الأخذ بهذه المذاهب أياً ما كانت ؟!!

وهل جاء برهان على حصر المذاهب في الأربع ؟ وعلى أنه لا يجوز الأخذ بغيرها ؟! أم أن الله قد أغفل هذا الأمر وترك الناس حيارى ، فلم يشرع لهم حكماً يبين لهم فيه عمن يأخذون أحكام دينهم ، وعمن لا يأخذون ؟!!

أو أن كل ذلك لم يكن ؟! بل الذي كان هو تصريح رسول الله ﷺ بأن المرجع للناس في أخذ المعارف الدينية هو آل محمد ﷺ، فجعل ذكرهم في الصلوات بعد ذكر رسوله ، ثم صرح في موارد عديدة بأنهم هم المرجع في الدين ، وجعل التمسك بهم عديل التمسك بكتاب الله الكريم ولكنهم لمناهضتهم وخصومتهم مع طواغيت عصورهم .. فقد سعى هؤلاء الطواغيت إلى صرف الناس عنهم ، وعن التمسك بسنة نبيهم فيهم ، فصارت الرغبة عن دينهم ديناً عند الناس .. كل ذلك مع وضوح الحجة ، وقيام البرهان .

وليت شعري ما هي حجتهم في عمق ضمائرهم ، ولدى وجدانهم في اتباعهم أشخاصاً لا دليل من الله ولا من رسوله على جواز تقليدهم واتباعهم ؟!.

ثم ما هي حجتهم في عدم اتباعهم من أمر الله ورسوله باتباعهم ؟!

سؤال لا بد له من جواب :

ولنا هنا سؤال ليس جديداً .. إذ قد طرح نظيره من ذي قبل في حوار جرى حول الخلافة الإسلامية . وأنه حين صرف الأمر عن أمير المؤمنين وصار أبو بكر خليفة ومرضت فاطمة الزهراء سلام الله عليها مرض موتها فعادتهاعدة من نساء المهاجرين والأنصار فاشتكت من رجالهن بكلمات ، فكان مما قالته عليها السلام : ... وما الذي نقموا من أبي الحسن ؟!! هذا والعهد قريب والرسول لما يقبر ابتداراً زعمتم خوف الفتنة إلا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين ..

والسؤال هنا هو التالي : ما الذي تنقمون من آل محمد ﷺ ؟ ! أو لم تبلغكم أحاديث الثقلين التي جعل الله فيها آل محمد وعترته وأهل بيته أعدالاً للكتاب ؟ وجعل ذكرهم والصلاة عليهم فرضاً في كل صلاة ؟

أوليس لحديث الثقلين مصداقاً في الخارج ؟ أم أن الله ورسوله قد أرجعا الناس إلى من لا وجود لهم أصلاً ؟ أو إلى أشخاص مطعون في دينهم وعلمهم (والعياذ بالله) فاكتشفتم أنتم أموراً خفيت على الله ورسوله ؟! .

ومن العجيب المدهش هنا انهم يسمحون لكل تناقض واختلاف فيما بينهم ويستدلون على حسن هذا الإختلاف بحديث : اختلاف أمتي رحمة فإذا نقلت فتوى أو قول عن آل محمد ﷺ ينتصب ذو الأذناب على أذنابهم وتقع الصيحات والزعقات : لم ، وبم . هذا خلاف السنة !! يختلف أذاننا عن أذانهم ووضوءنا عن وضوئهم ... الخ ويعاملون آل محمد معاملة من هو خارج هذه الأمة والملة !!!

السنة يخالفون القرآن :

ثم يقول الكاتب : (ووضوئهم يختلف عن وضوئنا) ونحن نقول .. نعم.. هذا صحيح ، هذا صحيح ، ولكن لم يكن الفقه الحنبلي المختلق معياراً للحق والصدق في وقت من الاوقات ولا إذا اضيفت اليه سائر المذاهب الأخرى بل ميزان الحق في الدرجة الاولى هو الموافقة للكتاب الكريم ثم الموافقة للعترة الطاهرة عليهم السلام وبهما تعرف سنة رسول الله ﷺ وهما الثقلان لا يختلفان في مسئلة الوضوء ولا في غيرها حتى يردا الحوض على رسول الله ﷺ فمخالفة المذاهب في هذه المسئلة للشيعة لا قيمة ولا وزن لها بميزان الدين والقرآن لأن تلك المذاهب مخالفة في هذه المسألة لصريح الكتاب المبين ، المنزل بلسان عربي مبين فإذا قرأنا الاية الشريفة : « فاغسلوا وجوهكم وايديكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين » نرى ان الظاهر المتبادر مع قطع النظر عن المذاهب الغالبة والاحاديث المأثورة هو عطف « ارجلكم » على « رؤسكم » ومقتضاه وجوب المسح على الارجل كما قال في تفسير المنار ص ٢٢٧ ج ٦ : بعد نقل القراءتين : والظاهر انه عطف على الرأس أي امسحوا بارجلكم الى الكعبين انتهى . ولا بدّ ان ننظر في انه هل يصح في كلام العرب عطف كلمة على ما قبل العامل فيها ام لا . وبعبارة أخرى ، هل يصح العطف مع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بجمله أم لا ؟ فيجيبنا عدة من أهل الادب والفقه من اهل السنة – كما سيجيء نصوص كلماته – بالنفي وانه غلط ولا يصح ذلك وانت خبير بان تطبيق الآية الشريفة على المذاهب الغالبة مبني على ذلك الغلط الادبي وبذلك ظهر ان عطف « ارجلكم » على « وجوهكم » وهو مفعول « اغسلوا » مع فصل « امسحوا برؤسكم » بين المعطوف والمعطوف عليه حتى يكون مفاد الآية وجوب غسل الارجل أيضاً – هذا العطف – غلط بيّن للزوم الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بجملة وهذا مما لا يصح ادبياً .

قراءة النصب دليل لنا أيضاً :

ولا بد لنا هنا من دفع توهم وهو انه ليس قراءة النصب في « ارجلكم » دليلاً

على لزوم عطفه على « وجوهكم – المفعول لاغسلوا » حتى يكون المفاد وجوب الغسل وذلك لأنه يصح نصب« ارجلكم » حتى مع ذلك لأنه حينئذ يكون معطوفاً على محل « رؤسكم » وهو النصب او معطوفاً على « برؤسكم – مجموع الجار والمجرور » قال ابن حزم : « ٢٠٠ – مسئلة . واما قولنا في الرجلين فان القرآن نزل بالمسح قال الله تعالى : وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين وسواء قرء بخفض اللام أو بفتحها هي على كل حال عطف على الرؤس اما على اللفظ واما على الوضع لا يجوز غير ذلك لأنه لا يجوز أن يحال بين المعطوف والمعطوف عليه بقضية مبتدئة وهكذا جاء عن ابن عباس : نزل القرآن بالمسح في الرجلين في الوضوء . وقد قال بالمسح على الرجلين جماعة من السلف منهم علي ابن ابي طالب وابن عباس والحسن وعكرمة وجماعة غيرهم ورويت في ذلك آثار »[1] وقال الامام الفخر الرازي : « حجة من قال بوجوب المسح مبني على القرائتين المشهورتين في قوله وارجلكم – قال – فقرء ابن كثير وحمزة وأبوبكر وعاصم – في رواية ابي بكر عنه – بالجر . وقرء نافع وابن عامر وعاصم – في رواية حفص عنه – بالنصب . . فنقول اما القراءة بالجر فهي تقتضي كون الارجل معطوفة على الرؤس فكما وجب المسح في الرأس فكذلك في الارجل ... واما القراءة بالنصب فقالوا ايضاً انها توجب المسح وذلك لأن قوله وامسحوا برؤسكم فرؤسكم في محل النصب ... فثبت ان قرأته وارجلكم بنصب اللام توجب المسح ايضاً »[2] انتهى ملخصاً . وقال ابراهيم بن محمد الحلبي : « الصحيح ان الارجل معطوفة على الرؤوس، ونصبها على المحل وجرها

---

(١) المحلى ج ٣ ص ٥٤ ـ ويظهر من رسالة « الوضوء في الكتاب والسنة » للشيخ العلامة نجم الدين العسكري كثرة القائلين بالمسح من الصحابة والقراء والتابعين قبل شيوع التقليد وكذلك كثرة الاحاديث في ذلك ولا سيما من طريق امير المؤمنين علي عليه السلام واصحابه عنه .

(٢) تفسير الرازي ج ١١ ص ١٦١ ط دار الكتب العلمية .

على اللفظ .. وذلك لامتناع العطف على وجوهكم للعطف بين العاطف (يعني بها) طوبى وبين المعطوف عليه بجملة اجنبية وهي وامسحوا برؤوسكم... والاصل ان لا يفصل بينهما بمفرد فضلاً عن الجملة ولم نسمع في الفصيح ضربت زيداً ومررت ببكر وعمروا بعطف عمروا على زيد .. (واما الجر على الجوار فانما يكون على قلة في النعت وفي التأكيد ...) واما في عطف النسق فلا يكون لأن العاطف يمنع المجاورة »[1]

هذا كله في دلالة الكتاب المبين و كلمات بعض الاعلام حول آية الوضوء ونزيد هنا: ان لزوم العطف على المتأخر وعدم جواز العطف على متقدم يفصل بينه وبين المعطوف بجملة لا يحتاج إلى الاستشهاد بكلمات أئمة الأدب بل يحكم فيه من له ادنى إلمام باسلوب كلام العرب فإذا سمع الانسان المثال الذي ذكره الحلبي أوقول القائل : اكرمت زيداً وضربت بكراً وعمروا ، يتبادر منه إلى ذهنه تمامية الجملة الأولى بتوابعها ومتعلقاتها وان ما يلي الجملة الثانية منقطع عن الجملة الأولى بالمرة ويحكم السامع من غير توقف بان القائل قد أخبر عن ضربه عمروا لا عن إكرامه له ومن العجب ان الفخر الرازي والحلبي قد ذكروا ما نقلناه عنهما ولكنهما في ذيل كلامهما يدركهما عرق من رأيهما المذهبي فيصححون ما ابطلوه اولاً حسب ذوقهم الادبي بتوجيهات وتكلفات سمجة وباهتة تكلفية ...

أما الاستدلال بالروايات :

هذا ولا مجال للتمسك بطائفة من الاحاديث الدالة على وجوب الغسل، وذلك لعدم امكان الجمع بينهما – أي بين القرآن وتلك الروايات – لو فرض تمامية دلالتها ، وعند التعارض يكون الكتاب هو المرجع ، لعدم حجية ما يناقض

---

(١) الوضوء في الكتاب والسنة للسيد نجم الدين العسكري ، عن كتاب : منية المتملي ، في شرح غنية المصلي ..

الكتاب ، وليس هذا من قبيل التخصيص والتقييد ليمكن الجمع بينهما ، بل بين القرآن وهذه الروايات تكاذب وتناقض .

أقوال الصحابة وغيرهم في الوضوء :

وأخيراً .. فإن في المسألة أحاديث غير قليلة تدل على وجوب مسح الرجلين ومن المعلوم أنه لا إجماع في المسألة على وجوب الغسل ، لوجود المخالف فيه مثل علي أمير المؤمنين ، واشتهار ذلك عنه عليه السلام لا يحتاج إلى بيان ، وأيضاً مثل : ابنيه سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام ، وكذلك مثل من ينسب في علمه إلى علي عليه السلام ، وهو حبر الأمة عبد الله بن عباس ، وعدة آخرون من الصحابة مثل : حذيفة ، وأنس بن مالك ، وتميم بن غزية الانصاري وعبد الله بن زيد المازني ، وأوس بن أبي أوس الثقفي وغيرهم وضي الله عنهم حيث قد رووا كيفية وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حسبما رأوه وشاهدوه .

ويظهر من كلام ابراهيم النخعي : أنه كان يمسح ، ويستدل على ذلك بأنه عمل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ورضي الله عنهم ، فإن لم نعمل بالمسح فقد احتقرنا عمل الصحابة بالمخالفة .. وإن كان يظهر من كلامه أن البعض قد قالوا بالغسل ، بحجة أنه أفضل من المسح ..

والقول بوجوب المسح هو ظاهر كل من قرأ بالخفض في « أرجلكم » .ومن أراد التفصيل فليراجع الرسالة القيمة : « الوضوء في الكتاب والسنة » للعلامه السيد نجم الدين العسكري ، و « مسائل فقهية » للامام شرف الدين .

نعم .. قد صار الغسل شعاراً لأهل السنة بعد انقراض مذاهب فقهية كثيرة وغلبة التقليد ، وسد باب الفهم والاجتهاد والاستنباط عليهم .

المشكلة الصعبة وحلها :

وكيف كان .. فالمشكلة التي لا بد لها من حل – سواء قلنا بأن الواجب في الوضوء هو المسح أو الغسل . هي: انه كيف خفي على المسلمين الوضوء الذي فعله فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من عشرين سنة ، أو ما يقرب منها ، وأيضاً فقد كان هذا أمراً يمارسه الناس في حياته صلى الله عليه وآله وسلم في كل يوم وليلة مرات عديدة .

ثم إن كان الغسل هو المعمول به في عصره صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان نزول سورة المائدة على رأس ثلاثة أشهر قبل موته صلى الله عليه وآله وسلم ، وآية الوضوء في المائدة صريحة في المسح، أو لا أقل ظاهرة فيه .. فهل هي ناسخة لما سبق من حكم الغسل الرائج حسب الفرض ؟ أو أن الآية دالة على الغسل أيضاً ؟ !..وإذا كان كذلك فكيف اشتهرت مخالفة عدة من علماء الصحابة لذلك الحكم ، حتى ليظهر من كلام النخعي : أن عمل الصحابة كان على المسح ؟ ! .. لا .. أبداً فان ظاهر القرآن بل صريحه هو المسح ، كما أن في هؤلاء الموجبين للمسح من نعلم منه تقيده الشديد بالنص ، وعدم تجويزه الاجتهاد في مقابل النص .. ومكانته في الدين علماً وورعاً وفقهاً وفهما للكتاب معروفة ومشهورة .. الا وهو علي عليه السلام وابن عباس وغيرهما .

وتنحل هذه المشكلة بالمراجعة الدقيقة الواعية للتاريخ والآثار ، إذ يظهر بوضوح لكل مراجع هو أن القول بعدم المسح ووجوب الغسل قد حصل بالتدريج حتى صار شعاراً لأهل السنة .. ولا تنفرد هذه المسألة عن غيرها من المسائل بهذا الاختلاف الغريب .. أذ ليس الاختلاف في البسملة في قراءتها وعدم قراءتها وفي الجهر بها وعدمه . في أول الفاتحة فقط ، أو فيها وفي أول السورة ..وكذا الاختلاف فيما هو مقرر في الركعتين الاخيرتين ، وفي كيفية التشهد ، الذي ورد فيه : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن

الكتاب ، وليس هذا من قبيل التخصيص والتقييد ليمكن الجمع بينهما ، بل بين القرآن وهذه الروايات تـكاذب وتناقض .

أقوال الصحابة وغيرهم في الوضوء :

وأخيراً .. فإن في المسألة أحاديث غير قليلة تدل على وجوب مسح الرجلين ومن المعلوم أنه لا إجماع في المسألة على وجوب الغسل ، لوجود المخالف فيه مثل علي أمير المؤمنين ، واشتهار ذلك عنه عليه السلام لا يحتاج إلى بيان ، وأيضاً مثل : ابنيه سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام ، وكذلك مثل من ينسب في علمه إلى علي عليه السلام ، وهو حبر الأمة عبد الله بن عباس ، وعدة آخرون من الصحابة مثل : حذيفة ، وأنس بن مالك ، وتميم بن غزية الانصاري وعبد الله بن زيد المازني ، وأوس بن أبي أوس الثقفي وغيرهم وضي الله عنهم حيث قد رووا كيفية وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حسبما رأوه وشاهدوه .

ويظهر من كلام ابراهيم النخعي : أنه كان يمسح ، ويستدل على ذلك بأنه عمل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ورضي الله عنهم ، فإن لم نعمل بالمسح فقد احتقرنا عمل الصحابة بالمخالفة .. وإن كان يظهر من كلامه أن البعض قد قالوا بالغسل ، بحجة أنه أفضل من المسح ..

والقول بوجوب المسح هو ظاهر كل من قرأ بالخفض في « أرجلكم » .ومن أراد التفصيل فليراجع الرسالة القيمة : « الوضوء في الكتاب والسنة » للعلامه السيد نجم الدين العسكري ، و « مسائل فقهية » للامام شرف الدين .

نعم .. قد صار الغسل شعاراً لأهل السنة بعد انقراض مذاهب فقهية كثيرة وغلبة التقليد ، وسد باب الفهم والاجتهاد والاستنباط عليهم .

المشكلة الصعبة وحلها :

وكيف كان .. فالمشكلة التي لا بد لها من حل – سواء قلنا بأن الواجب في الوضوء هو المسح أو الغسل . هي: انه كيف خفي على المسلمين الوضوء الذي فعله فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من عشرين سنة ، أو ما يقرب منها ، وأيضاً فقد كان هذا أمراً يمارسه الناس في حياته صلى الله عليه وآله وسلم في كل يوم وليلة مرات عديدة ..

ثم إن كان الغسل هو المعمول به في عصره صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان نزول سورة المائدة على رأس ثلاثة أشهر قبل موته صلى الله عليه وآله وسلم ، وآية الوضوء في المائدة صريحة في المسح، أو لا أقل ظاهرة فيه .. فهل هي ناسخة لما سبق من حكم الغسل الرائج حسب الفرض ؟ أو أن الآية دالة على الغسل أيضاً ؟ !..وإذا كان كذلك فكيف اشتهرت مخالفة عدة من علماء الصحابة لذلك الحكم ، حتى ليظهر من كلام النخعي : أن عمل الصحابة كان على المسح ؟ ! .. لا .. أبداً فان ظاهر القرآن بل صريحه هو المسح ، كما أن في هؤلاء الموجبين للمسح من نعلم منه تقيده الشديد بالنص ، وعدم تجويزه الاجتهاد في مقابل النص .. ومكانته في الدين علماً وورعاً وفقهاً وفهما للكتاب معروفة ومشهورة .. الا وهو علي عليه السلام وابن عباس وغيرهما .

وتنحل هذه المشكلة بالمراجعة الدقيقة الواعية للتاريخ والآثار ، إذ يظهر بوضوح لكل مراجع هو أن القول بعدم المسح ووجوب الغسل قد حصل بالتدريج حتى صار شعاراً لأهل السنة .. ولا تنفرد هذه المسألة عن غيرها من المسائل بهذا الاختلاف الغريب .. أذ ليس الاختلاف في البسملة في قراءتها وعدم قراءتها وفي الجهر بها وعدمه . في أول الفاتحة فقط ، أو فيها وفي أول السورة ..وكذا الاختلاف فيما هو مقرر في الركعتين الاخيرتين ، وفي كيفية التشهد ، الذي ورد فيه : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن

ثم الاختلاف في التكتف وعدمه وفي كيفيته ، وغير ذلك من المسائل – ليست هذه الاختلافات بأقل غرابة من الاختلاف في مسألة الوضوء . . غاية الامر أن الاختلاف فيها كان بين أهل السنة أنفسهم ، وهنا كان الاختـــلاف في المسألة بينهم وبين الشيعة ، ولكنها كلها في الغرابة بمثابة واحدة .

الاجتهاد في مقابل النص :

ويمكن القول هنا في مقام حلّ تلك المشكلة: إنه حيث بعض كبار الصحابة رضي الله عنهم كانوا يرون العرب الذين كانوا حفاة غالباً . . كانت أرجلهم تتلوث بالبول وغيره . . فقد احتاطوا لهم ولصلواتهم ، فأمروهم بغسل الأرجـــل في الوضوء ، حيث يقول الله تعالى في آية الوضوء : « ولكن يريد ليطهركم» ، فرأوا أن الغسل أقرب إلى هذا الملاك المذكور في الآية ، وهو التطهـير ، وهذا معنى ما يقال : اننا نغسل الرجلين التماساً للفضل ، وهو أحسن وأنظف . .

كما ورأوا بحسب اجتهادهم – ولأجل ذلك الملاك أيضاً – كفـاية الغسل عن المسح الواجب . ولا أقول أنهم تعمدوا مخالفة الكتاب وبدّلوا المسح الواجب بالغسل بل رأوا ان الغسل أقرب إلى التطهير فحكموا بإجزائه عن المسح الواجب وكم لهم من اجتهادات في قبال النص فمثلاً نرى أن الخليفة عمر بن الخطاب لا يرى التيمم للجنب مع أنه مصرح به في الكتاب الكريم ونقل عن ابن حجر أن سقوط التيمم مـــذهب مشهور عن عمر فإذا كان عمر يرى عدم التيمم للجنب رأساً حسب اجتهاده مع أنه مذكور في الكتاب ناقش عمـار بن ياسر بحديث ذكره للخليفة عن رسول الله ﷺ في كيفية التيمم ومع ذلك لم يقنع عمر بذلك، فإن اجتهاده في إجزاء غسل الرجلين عن مسحها أولى بالقبول عند النـــاس ، والوقوع في نفوسهم .

وبذلك يظهر أن الخلاف قد وقع في ابتداء الأمر بهذا النحو ثم اتخذه بنو

أمية وعمالهم مثل الحجاج ذريعة لإظهار الخلاف بينهم وبين علي وذويه اتباعاً لأهوائهم وسياساتهم وافتروا على الصحابة الأولين فنقلوا عنهم وجوب الغسل وعدم صحة المسح .

ولم يكن الغسل مجمعاً عليه في القرن الأول والثاني ، وذلك لوجود جماعات من الصحابة ، والعلماء والقرّاء ، ممن وصلت الينا أقوالهم ، ولا يعدّون من الشيعة كانوا يقولون بالمسح ، وهو ظاهر كل من قرأ بالجر في « أرجلكم »، وهم أكثر القرّاء.

ويظهر من كلام ابراهيم النخعي ، المتوفى سنة ٩٦ هـ : أن المسح هو السنة ، وأنه عمل أصحاب رسول الله ﷺ ، حيث قال : لو أن أصحاب محمد لم يمسحوا إلا على ظفر ما غسلته التماس الفضل ، وحسبنا من إزراء على قوم إن نسأل عن فقههم ، ونخالف أمرهم .. وقال : من رغب عن المسح فقد رغب عن السنة ، ولا أعلم ذلك إلا من الشيطان . قال فضيل (الراوي عن ابراهيم) يعني تركه المسح . وقال : من رغب عن المسح ، فقد رغب عن سنة النبي ﷺ [1] .

أمران هما الداء الدوي :

والذي يؤيد اختفاء هذا الأمر عن الناس تماماً حتى تخيلوا أن الغسل كان معمولا به حتى في زمن النبي ﷺ .. أمران لهما أيضاً مدخلية في كثير مما بدّل من الأحكام والسنن :

الأول : قلة الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ ، حيث قد منع الخلفاء الأولون بصور مختلفة عن التحديث بأحاديثه ﷺ ، وتبعهم في ذلك النهـــي

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٦ ص ١٩١ و ١٩٢

ثم الاختلاف في التكتف وعدمه وفي كيفيته ، وغير ذلك من المسائل – ليست هذه الاختلافات بأقل غرابة من الاختلاف في مسألة الوضوء . . غاية الامر أن الاختلاف فيها كان بين أهل السنة أنفسهم ، وهنا كان الاختـــلاف في المسألة بينهم وبين الشيعة ، ولكنها كلها في الغرابة بمثابة واحدة .

الاجتهاد في مقابل النص :

ويمكن القول هنا في مقام حلّ تلك المشكلة : إنه حيث بعض كبار الصحابة رضي الله عنهم كانوا يرون العرب الذين كانوا حفاة غالباً . . كانت أرجلهم تتلوث بالبول وغيره . . فقد احتاطوا لهم ولصلواتهم ، فأمروهم بغسل الأرجـــل في الوضوء ، حيث يقول الله تعالى في آية الوضوء : « ولكن يريد ليطهركم » ، فرأوا أن الغسل أقرب إلى هذا الملاك المذكور في الآية ، وهو التطهـير ، وهذا معنى ما يقال : اننا نغسل الرجلين التماساً للفضل ، وهو أحسن وأنظف . .

كما ورأوا بحسب اجتهادهم – ولأجل ذلك الملاك أيضاً – كفـاية الغسل عن المسح الواجب . ولا أقول أنهم تعمدوا مخالفة الكتاب وبدّلوا المسح الواجب بالغسل بل رأوا ان الغسل أقرب إلى التطهير فحكموا بإجزائه عن المسح الواجب وكم لهم من اجتهادات في قبال النص فمثلاً نرى أن الخليفة عمر بن الخطاب لا يرى التيمم للجنب مع أنه مصرح به في الكتاب الكريم ونقل عن ابن حجر أن سقوط التيمم مـــذهب مشهور عن عمر فإذا كان عمر يرى عدم التيمم للجنب رأساً حسب اجتهاده مع أنه مذكور في الكتاب ناقش عمـار بن ياسر بحديث ذكره للخليفة عن رسول الله ﷺ في كيفية التيمم ومع ذلك لم يقنع عمر بذلك، فإن اجتهاده في إجزاء غسل الرجلين عن مسحها أولى بالقبول عند النـــاس ، والوقوع في نفوسهم .

وبذلك يظهر أن الخلاف قد وقع في ابتداء الأمر بهذا النحو ثم اتخذه بنو

أمية وعمالهم مثل الحجاج ذريعة لإظهار الخلاف بينهم وبين علي وذويه اتباعاً لأهوائهم وسياساتهم وافتروا على الصحابة الأولين فنقلوا عنهم وجوب الغسل وعدم صحة المسح .

ولم يكن الغسل مجمعاً عليه في القرن الأول والثاني ، وذلك لوجود جماعات من الصحابة ، والعلماء والقرّاء ، ممن وصلت الينا أقوالهم ، ولا يعدّون من الشيعة كانوا يقولون بالمسح ، وهو ظاهر كل من قرأ بالجر في « أرجلكم » ، وهم أكثر القرّاء .

ويظهر من كلام ابراهيم النخعي ، المتوفى سنة ٩٦ هـ : أن المسح هو السنة ، وأنه عمل أصحاب رسول الله ﷺ ، حيث قال : لو أن أصحاب محمد لم يمسحوا إلا على ظفر ما غسلته التماس الفضل ، وحسبنا من إزراء على قوم إن نسأل عن فقههم ، ونخالف أمرهم . . وقال : من رغب عن المسح فقد رغب عن السنة ، ولا أعلم ذلك إلا من الشيطان . قال فضيل (الراوي عن ابراهيم) يعني تركه المسح . وقال : من رغب عن المسح ، فقد رغب عن سنة النبي ﷺ (١) .

أمران هما الداء الدوي :

والذي يؤيد اختفاء هذا الأمر عن الناس تماماً حتى تخيلوا أن الغسل كان معمولا به حتى في زمن النبي ﷺ . . أمران لهما أيضاً مدخلية في كثير مما بدّل من الأحكام والسنن :

الأول : قلة الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ ، حيث قد منع الخلفاء الأولون بصور مختلفة عن التحديث بأحاديثه ﷺ ، وتبعهم في ذلك النهـــي

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٦ ص ١٩١ و ١٩٢

معاوية ، ثم عبد الملك [1] فاختلقت روايات صحيحة (!!) عن رسول الله ﷺ تدل على المنع عن كتابة الحديث وتدوينه ، موافقة لتلمود اليهود الذي هو بمنزلة الاحاديث عند المسلمين .. حتى لقد كان أغلب العلماء في القرن الاول ، وصدر من القرن الثاني يتورعون عن كتابة الاحاديث تديناً ، ثم نسخ ذلك المنع بالإجماع العملي (والإجماع حسب تعبير بعض أهل السنة هو نبوة بعد نبوة كما مر) ، حيث شرعوا في كتابة الاحاديث بإكراه من الامراء – على حد تعبير الزهري – وطبعاً يكون الامير الذي أكرهه هو هشام بن عبد الملك (١٠٥ – ١٢٥) .. فبدؤ الكتابة ببطىء وبالتدريج ، ثم جاءت الدولة العباسية ، فكتب الإمام مالك الموطأ بأمر من المنصور ..

وإذا كانت الكتابة قد بدأت بأمر من السلطة ، فلا بد وأن تكون الاحاديث المجموعة مما ينفق عندها ، ويروج في سوقها ، وعلى وفق مصالحها وما يعجبها ، ثم انفجرت كتابة الاحاديث دفعة واحدة في العالم الاسلامي في سنة ١٤٣ هـ .

وجعل الاجماع الناسخ للنهي عن الكتابة الوارد عن رسول الله ﷺ حسب زعمهم وكانت النبوة بعد النبوة فتبارك الله أحسن الواهبين للعقل والادراك ..

وهذا المنع عن الكتابة ، ثم نسخة بالاجماع ليس بأقل غرابة من مسائل الوضوء والبسملة والتشهد .

ويظهر أن الامر كان بيد أولي الامر ، يفعلون ما يشاءون ، فيجعلون من الدين ما يشتهون ، ويرفضون منه ما يريدون . .

الثاني : إطاعة الحكام والمتسلطين ، وجعل هذه الاطاعة واجباً شرعياً

---

(١) طبقات ابن سعد ، والرحلة في طلب الحديث ، وتقييد العلم وغير دلك ..

دينياً ، وهي إحدى العقائد السنية الشائعة .. وعمموا وجوب الاطاعة هذه إلى جميع الامور : الدينية منها والدنيوية ، وهذا هو ما صرح بـ عمرو ابن سعيد الاشدق لما خرج على عبد الملك بن مروان بدمشق فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس انه لم يقم أحد من قريش قبلي على هذا المنبر إلا زعم ان له جنة وناراً يدخل الجنة من أطاعه والنار من عصاه .

وبالجملة فإنه لقلة الأحاديث الصحيحة في أيدي الناس ولتسلط الأمويين الشديد على الناس اتسع المجال للتحريف والتغيير والتقوّل على رسول الله ﷺ كما قال الكميت الشاعر في شأن بني أمية :

وفي كل عام بدعة يحدثونها أذلّوا بها أتباعهم ثم أوجلوا

ومما يدل على تلاعب السياسة بالدين في هذه المسألة ما يذكر في التواريخ وأثبتته الوقائع على ما يذكره أبو زهرة وغيره من أن بني أمية كانوا يتعمدون محو آثار علي وفتاواه بصورة عامة وفي هذه المسألة بالخصوص . . حيث ان علياً عليه السلام قد ترأس القول بالمسح واشتهر ذلك عنه وتبعه على هذا آله وشيعته ثم بعض كبار من ينتسب اليه في العلم كابن عباس هذا من طرف ، ومن طرف آخر نرى ان المنقولات عن الخليفتين عمر وعثمان تدل على الغسل في حين ان بني أمية كانوا مصرّين على إخفاء آثار علي وفتاواه كما عرفت بعض الأمر في هذا في مسألة التشبيه كما اننا نرى ان الحجاج أكبر العمال في دولة بني أمية يأمر بغسل الرجلين وهو الراد على فتوى في مسألة فقهية منقولة عن علي عليه السلام بقوله : انه لمرء يرغب عن قوله وهذا ينبئنا عن خطة – وهي خطة بني أمية – فيما يؤثر عن علي عليه السلام .

وذكر الطبري عن حميد عن موسى بن أنس قال : خطب الحجاج فقال : اغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم ظهورها وبطونهم وعراقيبها فإن دلك أدنى

إلى جنتكم قال أنس صدق الله وكذب الحجـــاج قال الله وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين [1] وما للحجاج الطاغية وللأمور العبادية لولا مساسها بالسياسة ولولا أن ثمة خطة تقول عن علي المرء يرغب عن قوله؟ ولعل المتتبع يجد شواهد كثيرة في الموضوع ولعله إلى هذا يشير في ما رواه البخاري والترمذي عن أنس بن مالك قال ما أعرف شيئـــاً مما كان على عهد رسول الله ﷺ قيل : الصلاة قال : أليس صنعتم ما صنعتم فيها [2] وروى الشافعي من طريق وهب ابن كيسان قال رأيت ابن الزبير يبدأ بالصلاة قبل الخطبة ثم قال : كل سنن رسول الله ﷺ قد غيّرت حتى الصلاة [3] قال ذلك تعريضاً ببني أمية الذين قدّموا الصلاة على الخطبة وقال الزهري دخلنا على أنس بن مالك بدمشق وهو وحده يبكي قلت ما يبكيك قال لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة وقد ضيعت» وبعد عصر أنس بقليل قال الحسن البصري «لو خرج عليكم أصحاب رسول الله ﷺ ما عرفوا منكم إلا قبلتكم » [4] وفي دعاء الجمعة وعرفة الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام قال : اللهم ان هذا المقام لخلفائك وأصفيائك ومواضع أمنائك في الدرجة الرفيعة التي اختصصتهم بها قد ابتزوها.. حتى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزين يرون حكمك مبـــدّلا وكتابك منبوذاً وفرائضك محرّفة عن جهات اشراعك وسنن نبيك متروكة.. الخ [5] وروى مالك في الموطأ ص ٧١ عن عمه عن جده مالك انه قال : ما أعرف شيئاً مما أدركت عليه الناس إلا النداء للصلاة فذكر السيوطي في شرحه عن الباجي : يريد الصحابة وان (الأذان) باق على ما كان عليـــه لم يدخله

---

(١) تفسير الطبري ج ٦ ص ٨٢

(٢) ضحى الاسلام ج ١ ص ٣٨٦

(٣) عن : الأم ج ١ ص ٢٠٨

(٤) جامع بيان العلم ج ٢ ص ٢٤٤

(٥) الصحيفة الكاملة السجادية دعاء ٤٨

تغيير ولا تبديل بخلاف الصلاة فقد أخّرت عن اوقاتها وسائر الأفعال دخلها التغيير ولكن يعلم من رواية أخرى ذكرها في الموطـــأ ان الأذان أيضاً قد تغير عما كان عليه في عصر رسول الله ﷺ وزيد وي أذان الصبح الصلاة خير من النوم بأمر عمر .

الصوم والحج بين السنة والشيعة :

ويستمر الكاتب يقول : (وصيامهم يختلف عن صيامنا وحجهم يختلف عن حجنا) وأقول له إني قد راجعت الفقه على المذاهب الأربعـــة لعبد الرحمن الجزيري فلم أر في بحث الصيام والحج من الاختلاف بين الشيعة والمذاهب الأربعة ما يعدون به صومهم غير صوم الشيعة وحجهم غير حج الشيعة فراجعت الانتصار للشريف المرتضى الذي يذكر فيه ما انفردت به الشيعة وحجتهم فيه وكثيراً ما يذكر ان ذلك مما ظن به انفراد الإمامية ولهم من غير المذاهب المشهورة موافقون فذكر مما انفردت به الإمامية : إفساد الصوم بالارتماس والكذب على الله ورسوله وقد قال الأوزاعي الكذب والغيبة يفطران ومسألة فساد الصوم بإنزال الماء عمداً من غير جماع عند الإمامية ولعل عظم الإختلاف كان في هـذين ومسائل متعددة في التفريعات غير مهمة وأما في مسائل الحج فما عده مما انفردت بـــه الامامية ان الوقوف بالمشعر الحرام واجب وركن وان الاحرام قبل الميقات وفي غير أشهر الحج لا ينعقد وان التمتع بالعمرة إلى الحج فرض من الله على كل من نأى عن المسجد الحرام ولعل الاختلاف في هذا الأخير هو من أعظم الاختلافات في باب الحج وذلك لأن الخليفة عمر وبعده عثمان قد نهيا الناس عن التمتع بالعمرة إلى الحج وقد خالفهما أصحاب الحديث ومنهم أحمد بن حنبل فقالوا بأفضلية التمتع على غيره من القران والافراد وللشيعة اختلافات مع غيرهم في الكفارات والخلل بالواجبات ولكن لا خلاف في أصل الحج ولا كيفيته غالباً والعمدة في باب الحج

ومسائله هو رواية طويلة ، ذكرها أهل الحديث من أهل السنة عن الامام جعفر الصادق عليه السلام .. وهذا الحديث الطويل مذكور مقطعاً في رواياتنا أيضاً ..

وقد ذكر عن الامام أبي حنيفة ، أنه قال : إنه لولا جعفر بن محمد لما عرف الناس مناسك حجهم .

مسألة ثبوت الهلال :

ولعل نظر كاتب المقال في هجومه على الشيعة إلى مسألة كيفية ثبوت الهلال لشهور ذي الحجة ورمضان ، وشوال ، واختلاف الشيعة والسنة في ذلك .

ولكن من الواضح : أن هذا ليس اختلافاً حكمياً ، فشهر رمضان شهر الصوم ، يجب الصوم لرؤية الهلال فيه ، والافطار لرؤيته ، وهكذا الحج ، فالعيد يوم العاشر من ذي الحجة ، وقبله عرفة ، وبعده أيام التشريق .. وهذا كله لا كلام فيه .

وإنما الكلام في ما يثبت به الهلال ، وفي دقة من يحكم بثبوته في ملاحظة منشأ حكمه .. والحق : أن القضاة السعوديين يحكمون في ثبوت الهلال استناداً إلى مالا يصح الاعتماد عليه ، أي لمجرد ادعاء الرؤية من أجلاف بوّالين على أعقابهم .. وربما يؤيد ذلك الحكم بالبرقيات المجهول مرسلها ، أو المزورة ، أو الموقعة بأسماء يعرفها الحاكم ..

ومن الواضح : أن الدواعي لإفساد أمور المسلمين كثيرة من اليهود والنصارى ، والمتفرنجين ، الذين يريدون أن يبرهنوا للمسلمين ، ويروهم رأي العين : أن أمور الحياة لا تتمشى مع الدين الاسلامي ، لأنه غير منضبط لاختلاف تشريعاته فيأخذون منا الشهور والسنين العربية الدينية ، ويعطوننا عوضاً عنها الشهور والسنين الميلادية المسيحية ، ويلوّوننا بألوانهم .. ولتمحى من ثم شعائر الدين ،

ومنها السنين والشهور الهجرية ، إلى غير ذلك من نظرياتهم التي غزت كثيراً من المسلمين .. ثم نرى هؤلاء القضاة يؤيدونهم ويحققون لهم أهدافهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون .. ثم تتبع البلاد والعباد حكم هؤلاء ويتوهم العوام (ومنهم العلماء الشكليون مثل كاتب المقال) : أن ذلك لاختلاف في الحكم الشرعي بين الشيعة والسنة ..

وإني كثيراً ما جربت بنفسي (وأقسم عليكم بالله العظيم أن تجربوا أنتم أيضاً) وكثيراً ما سمعنا ذلك بالراديو : أنهم قد حكموا في البلاد السعودية بثبوت هلال شهر شوال ، ولكننا في غروب ذلك اليوم الذي جعلوه عيداً وحكموا بأنه أول شوال تعبنا وأتعبنا الناس في الاستهلال ، فربما لم ير أحد الهلال أصلاً ، وربما رآه البعض النادر ضعيفاً جداً وفي منتهى الدقة ، بحيث يقطع أن القمر كان قبل ذلك باثنتي عشر ساعة في المحاق ، ليس قابلاً للرؤية فضلاً عما قبل أربع وعشرين ساعة .

وقد تكررت هذه الأحكام من هؤلاء القضاة ، حتى اعتقد بعض أهل السنة أن الهلال ليلة أول الشهر غير مرئي دائماً ، ولا تمكن رؤيته ، وإنما يكون ثبوت الهلال بحكم الحاكم فقط ، ولقد رأيت أنا ذلك منهم ، وذلك حين رجوعي من سفري الاول للحج ، حيث رافقنا في سيارتنا الكبيرة جماعة من أهل السنة ، وهم جماعة طيبون فعلاً ، فنزلنا قبيل الغروب على ماء في صحراء نجد ، أو قريباً منها ، وكانت السماء صاحية وصافية ، وكان ذلك اليوم هو يوم الثلاثين من هلال ذي الحجة حسب حكم حاكمهم ، فالتمست من أولئك الرفاق المشاركة في الاستهلال لهلال شهر محرم ، فمع أنه قد استجاب عدة منهم لدعوتي ، واستهلوا معي أداء لحق الصحبة ، ولكنهم كانوا يضحكون على بساطتي وسذاجتي . وعلى ظني أن الهلال ليلة اول الشهر قابل للرؤية !!

هذا .. مع أنه كان قد مضى ثلاثون يوماً من الهـــلال الثابت بحكم الحاكم عندهم .

فكأن عيون القضاة والشهود من عيون الجن والشيـــاطين ترى ما لا يراه الناس ..

وأمر آخر حضرت فيه بنفسي أيضاً وذلك في صبيحة يوم الخميس [1] آخر خميس من ذي القعدة سنة ١٣٩٧ هـ . فقد رؤي القمر بين الطلوعين في المدينة المنورة ، ورآه الخارجون للصلاة وهم في الشارع ، وبعد الصلاة في طريقهم إلى البقيع ، ثم ادعيت الرؤية وشهد الشهود العدول (!!) برؤيتهم الهـــلال في غروب ذلك اليوم بالذات ، فحكم الحاكم بأن يوم الجمعـــة هو أول ذي الحجة وعلى هذا كانت مدة المحاق أقل من اثني عشر ساعة وهذا مما لا يكون ولايقع قطعاً إلا أن يشاء الله تعالى وقوع معجزة ولكن كل هذا مردود عنـد الحـاكم بشهادة مسلمين !!

وهذا القاضي وأشباهه هم ممن قال فيهم أمير المؤمنين عليه السلام : جعلوا الدين من اقفال البصيرة .. فهم أغرار مرحومون .

النصيحة الغالية :

ولدي هنا نصيحة لأمراء تلك البلاد المقدسة بالنسبة إلى هذا القاضي وأشباهه وهو ما قاله علي عليه السلام للخليفة عثمان (رض) وقد كلّمه في أمر مروان بن الحكم وتدخّله في أمر الأمة وقال : « والله ما مروان بذي رأي في دينه ولانفسه ، وأيم الله اني لأراه سيوردك ثم لا يصدرك »[2] وهؤلاء أيضاً ليسوا بذي رأي في

(١) ولا أدري هل أنه كان يوم ٢٧ أو ٢٨ أو ٢٩ من ذي القعدة ، فان التقاويم الايرانية والسعودية اختلفت .

(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ١٧٣ .

علمهم ولا في عقلهم أيضاً وكونهم بهذه العقلية ، والعلمية ، وهم رؤساء دينيون ، فإن ذلك سوف ينفر الناس والشباب والمثقفين من الدين ، ويصدهم عن سبيل الله. وأنتم تعرفون – وكلامي مع أمراء تلك البلاد – أكثر منا غلظتهم وفظاظتهم ، وقد ذقتم وذاق الناس منهم الأمرّين ، فاجعلوا على الأقل لهم حداً يقفون عنده فيما يرتبط بالأمور التي تتعلق بكرامة عامة المسلمين ودينهم ، ومنها قضية الهلال ، فإن أمره سهل وقريب من الحس والعيان ، وتركه لأهواء هؤلاء موجب لإبطال الصيام والحج . . وعلّموهم أن الرجوع إلى الشهود إنما يكون فيما إذا أمكن رؤية الهلال ..

هذا كله عدا عن أنكم تشاهدوه باستمرار ، كم مرة ، وكيف تجرح مواقفهم عواطف المسلمين في أمر واضح ، وهو الفرق بين العبادة ، وبين إظهـار الحب والتبجيل والتعظيم ، وأنهم لا يفهمون الفرق الشاسع بينهما ، فيضربون النـاس ويهينونهم لتقبيلهم ضريح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويقولون : إن ذلـك عبادة لغير الله وشرك به .

ولأجل عدم درکهم لهـذا الفرق البيّن كم محوا من آثار لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مكة المكرمة والمدينة المنورة سداً للذريعـــة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ..

الزكاة عند الشيعة:

ويقول الكاتب أيضاً (وهم لا يعترفون بالزكاة ولا بمستحقها) ونحن ليس لنا في جواب كذّاب اليمامة الذي لا يبالي بظهور كذبه وافتضاحه إلا أن نقول له ان الذّليل هو المذهب الذي أنت ناصره وهذه هي الكتب الفقهية والحديثة للإمامية ورسائل علمائهم العملية يذكرون فيها أبواب الزكاة بعد الصلوة أو الصوم بلا استثناء ولقد أظهر الكاتب في مقاله هذا انه مستعد للمباهلة مع أحد علـماء

الشيعـــة فليباهلنا ساعـــة وصول هذه الرسالة اليه فيجعل لعنة الله على الكاذبين .

أهل السنة والخمس :

وأضاف الكاتب هنا قوله (وإنما يؤدّون خمس محاصيلهم وأرباحهم إلى من يسمونه نائب الإمام) ونقول: وفق الله تعالى المؤدّين لهذا الواجب والمؤدى اليهم جميعاً لمرضاته وإنما يفعلون ذلك لعموم الآية في قوله تعالى « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل »(١) وللروايات الواردة عن أحد الثقلين آل محمد الذين جعلهم الله عدلا لكتـابه الكريم وطهرهم من الذنوب تطهيراً فكان على الأمـة أن يقبلوا رواياتهم عن جدهم الرسول الأعظم ﷺ ولا أقل أن ينزّلوا علياً أمير المؤمنين منزلة أبي هريرة والحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة منزلة عبد الله بن عمرو ابن العاص وكعب الأحبار وتميم الداري وسيد الساجدين زين العابدين علي بن الحسين منزلة نافع غلام ابن عمر والباقر محمد بن علي الذي سماه رسول الله ﷺ باقر العلم كما في حديث ابن قتيبة وجعفر بن محمد الصادق منزلة أحد الفقهاء الثلاثة أو الأربعة فإن لكل هؤلاء روايات تختص بهم ولكل هؤلاء الفقهاء آراء خاصة بهم فلم لا تجعلون مجموع آل محمد والأئمة الإثنى عشر عليهم السلام بمنزلة واحد من هؤلاء الرواة والفقهاء إذا رووا رواية أو أفتوا بفتوى ؟ فلا تنكرون عليهم كما لا تنكرون على غيرهم وبعد كل ذلك فإنه قد كان لعلي عليه السلام كتب كثيرة قد أملاها رسول الله ﷺ وقد أبقاها علي عليه السلام للأئمة المعصومين من ولده وهم أروا بعضها لجماعة من أصحابهم .

فروى عبد الملك بن أعين قال أراني أبو جعفر الباقر عليه السلام بعض كتب

---

(١) الأنفال ٤١

علي عليه السلام ثم قال لي : لأي شيء كتب هـــذه الكتب ؟ قلت : ما أبين الرأي فيها .

هذا .. وواضح أنه لا بد وأن يكون الدين الذي هو خاتم الأديان مشتملا على أحكام كثيرة جداً ، وقوانين وافية باحتياجات الناس إلى يوم القيامة ، مع أننا نرى أن أحاديث الأحكام عند السنة قليلة جداً .. ومجرد أن لا يجد أهل السنة حديثاً يدل عنـــدهم على حكم الرسول ﷺ وعلي عليه السلام بخمس الأرباح بشكل واضح ، فإن ذلك لا يدل على عدم وجود هذا الحكم عند الله ورسوله ، فإن إجراء هذا الحكم كان منوطاً بحصول شرائط خاصة أودعها رسول الله (ص) عند أوصيائه .. ومن كلام لعلي عليه السلام في نهج البلاغـــة في الخطبة الأولى في اقسام الأحكام : « ... بين مأخوذ ميثاق علمه ، وموسع على العبـــاد في جهله ... إلى أن يقول : وبين واجب بوقته ، وزائل في مستقبله الخ » ..

فإن التقييد بوقته يدل على أن ثمة واجبات لا تجب بوقتها ، كما أن هناك واجبات يزول وجوبها في المستقبل ، وعدم وجداننا ذلك لا يـــدل على عدم وجوده ..

هذا كله .. عدا عن أننا نجد شواهد في كتب السنة تدل على ثبوت الخمس في الأرباح ، في زمن النبي (ص) نفسه ولا بأس بمراجعة ما كتبه العلامة السيد مرتضى العسكري في مقدمة مرآة العقول حول هذا الموضوع .

ما بقي من السنن :

هذا .. عدا عن أننا نجد أن السنن التي بقيت في أيدي الناس بصحيحها ومكذوبها واقعاً هي نحو من خمسمائة حديث كما قاله الإمام الشافعي ، والظاهر أن هذا هو أيضاً رأي أستاذه في الحديث سفيان بن عيينة أيضاً ويدل عليه

ما قاله السيوطي في التقريب عن ابن حزم : أحصيت ما في الموطأ وما في حديث سفيان بن عيينة فوجدت في كل منهما من السنن ٥٠٠ حديثاً .. كما ذكر عن القاضي ابن العربي ان أحاديث مالك رجعت بعد اختياراته إلى ٥٠٠ حديث من السند وهكذا في رواية ابن الهباب .. هذا .. ولم يثبت عند أبي حنيفة سوى سبعة عشر حديثاً كما في مقدمة ابن خلدون .. وأما عند مالك فقد ذكر ابن خلدون أيضاً أن ما ثبت عنده هو ما في الموطأ فقط ..

فكأن أحاديث رسول الله (ص) إنما كانت لطفل ذبح في حجر أمه، حيث منع الخلفاء الثلاثة عن التحديث عنه (ص) ، وأردفوا ذلك بالمنع عن كتابة الأحاديث وتدوينها ، وزيادة الأحاديث بعد ذلك إنمـــا كان من الكذابين الوضاعين .

وكيف تفي خمسمائة من الأحاديث ولو فرضنا صحة جميعها باحتياجات البشر والمسلمين إلى يوم القيامة ولم يحتج المسلمون إلى القياس والرأي والاستحسان والقول بحجية آراء الصحابه والتابعين ثم الغلو في ذلك وجعلها سننـاً مثل سنن رسول الله ﷺ !! إلا قلة المأثورات الصحيحة عنه ﷺ وأنت خبير بأنها كلها ظن ، وقول بغير علم ، مع النهي الشديد عنه في الكتاب العزيز .

الائمة وحق التشريع

ويقول الكاتب أيضاً : « هذا بالاضافة إلى زعمهم بأن للأئمة حق التشريع والنسخ » .

ونقول : لقد افترى كاتب المقال على الشيعة الامامية هنا فنسب إليهم ما يقوله أهـــل السنة والحديث في الصحابة رضي الله عنهم ، وفي الأمراء وفي الفقهاء الأربعة ..

وهذا من طراز نسبته إلى الشيعة القول بتحريف القرآن الكريم ، وتكفير الصحابة رضي الله عنهم ، وجواز شهادة الزور ضد أهل السنة وقد عرفت ان ذلك كله من أقوالهم ، وفي صحاحهم .

وقبل نقل كلمات اعلام أهل السنة حول هـذا الموضوع نورد إجمالاً بعض الروايات المتواترة في مغزاها عن أئمة أهـل البيت عليهم السلام ، ليعرف ان أقوالهم في الاحكام والشريعة ليست إلا ترديداً لما وصل اليهم عـن رسول الله ﷺ ، وليتضح من ثم .. كذب كاتب المقال ، حيث نسب عقيدة أهل السنة إلى الشيعة فمنها ما روي بأسانيد عديدة عن جابر عـن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام قال يا جابر انا لو كنا نحدثكم برأينا وهوانا لكنا من الهالكين ولكنا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله ﷺ كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم وفي رواية أخرى : ولكنا نفتيهم باثار من رسول الله واصول علم عندنا نتوارثها كابراً عن كابر وفي رواية محمد بن شريح عن الصادق عليه السلام ... والله ما نقول

باهوائنا ولا نقول برأينا ولا نقول الا مـا قال ربنا وفي رواية عنه .... مهما اجبتك فيـــه بشيء فهو عن رسول الله لسنا نقول برأينا من شيء وفي رواية الفضل عن الباقر عليه السلام قال لو انا حدثنا برأينا ضللنا كما ضل من كان قبلنـــا ولكنا حدثنا ببينة من ربنا بيّنها لنبيه فبيّنها (فبينـــه) لنـا – ورواياتهم عليهم السلام في الموضوع اكثر من ان تحصى وقد مضى بعض الكلام فيما نسبه الكاتب إلى الشيعة من القول باعتقادهم العلم المحيط بكل شيء للأئمة فراجع .

اقوال الصحابة سنة

يقول مؤلف كتاب « السنة قبل التدوين » انه : تطلق السنة أحيانا على ما عمل اصحاب رسول الله ﷺ وان لم يكن في القرآن أو في المأثور عنه ﷺ وقد كان يفرق بعض المحدثين فيرى الحديث هو ما ينقل عن النبي ﷺ والسنة ما كان عليه العمل المأثور في الصدر الأول وعلى ذلك يحمل قول عبد الرحمن بن مهدي: لم أر احداً قط اعلم بالسنة ولا بالحديث الذي يدخل في السنة من حماد بن زيد وقوله : سفيان الثوري امام في الحديث وليس بامام في السنة والاوزاعي امام في السنة وليس بامام في الحديث ومالك امام فيهما ، ومن ابرز ما ثبت في السنة بهذا المعنى « سنة الصحابة » حدّ الخمر وتضمين الصناع ... ويحتج لذلك بقوله ﷺ عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بهـــا وعضّوا عليها بالنواجذ . وبما قاله علي بن ابي طالب بعدما جلد الشارب اربعين جلدة : كف جلد رسول الله ﷺ اربعين وابو بكر اربعين وكملها عمر ثمانين وكلّ سنة . وقال ابن قيم الجوزية في توجيه الحديث الأول ، فقرن سنة خلفائه بسنته وأمر باتباعها كما أمر باتباع سنته وهذا يتناول ما افتوا به وسنّوه للامة وان لم يتقدم من نبيّهم فيه شيء والا كان ذلك سنة [1] وهذه الروايات تدل على ان للصحابة سنّة كسنة

(١) السنة قبل التدوين . واعلام الموقعين ج ٤ ص ١٤٠

النبي وآرائهم وفتاويهم حجة كحديث رسول الله ، فعندهم سنة أبي بكر ، وسنة عمر ، وسنة علي ، يتحاورون بها فيما بينهم .

فقد روى السيوطي : « قال حاجب بن خليفة شهدت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو خليفة ، فقال في خطبته : إلا ان ما سنّ رسول الله ﷺ وصاحباه فهو دين نأخذ به ، وننتهي إليه ، وما سنّ سواهما فإنا نرجئه »[1]. وفي هـذه الجملة تشم رائحة الارجـــاء الذي ينسب إلى عمر بن عبد العزيز من التولي بالشيخين ، وارجاء الصهرين .

وعن ابي داود السجستاني ان احمد بن حنبل أخبر أن يحيى بن معـــين ينسب الشافعي إلى التشيع . فقال له أحمد : تقول هذا الامام من أئمة المسلمين؟ فقال يحيى اني نظرت في كتابه في قتال أهل البغي ، فاذا قد احتج من أوله إلى آخره بعلي بن أبي طالب . فقال أحمد بن حنبل عجباً لك !! فبمن كان يحتج الشافعي في قتال أهل البغي ؟! . واول من ابتلي من هذه الامة بقتال أهل البغي علي بن ابي طالب ، وهو الذي سن قتالهم واحكامهم ، ليس عن النبي ﷺ ولا عن الخلفاء غيره فيه سنة فيمن كان يتسنن ؟! فخجل يحيى من ذلك »[2]

ومحل الشاهد هنـــا هو قول عمر بن عبد العزيز : « ما سنّ رسول الله وصاحباه » وقوله : « ما سنّ سواهما » وقول ابن حنبل : « وهو الذي سنّ قتالهم واحكامهم وعطف سنة الخلفاء على سنة النبي » ومعناه أن علياً هو الذي سنّ من عند نفسه الأحكام في قتال أهل البغي فهي سنة يجب اتباعها لا أنه عمل بالمأثور عن النبي ﷺ في هذا الباب ، وان ذلك سنة كسنن النبي ﷺ .

وفي محاورة ثعلبة بن ابي مالك القرظي مع عبد الملك بن مروان : وليست

(١) تاريخ الخلفاء ص ١٦٠

(٢) مناقب الشافعي ج١ ص ٤٥٠

سنة أحب إلي من سنة عمر (وقد رآه ثعلبة أن عمر أخر صلاته إلى مزدلفة) [1] .

ورأي الصحابي حجة أيضا :

وهذا عدا ما ذهبوا إليه من حجية آراء الصحابة بما أنها آراؤهم ، من غير تسميتها بالسنة ، فقد ذكر ابن قيم الجوزية ستة واربعين دليلا على حجية رأي الصحابي وليس في واحد منها دلالة إلا بعض الأحاديث ، مثـــل : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم [2] ، ولكنها احاديث غير صحيحة قطعاً ، كما انها مخالفة للقرآن الكريم ، بل وخاتمية خاتم الأنبياء ﷺ كما سنشير إليه .

ويقول الشيخ ابو زهرة : « لقد وجدناهم يأخذون (أي الفقهاء من أهل السنة) جميعاً بفتوى الصحابي ولكن يختلفون في طريق الاخذ فالشافعي كما يصرّح في الرسالة يأخـذ بفتواهم على انها اجتهاد منهم واجتهادهم اولى من اجتهاده ووجدنا مالـكا رضي الله عنه يأخذ بفتواهم على انها من السنة ويوازن بينها وبين الأخبار المروية ان تعارض الخبر مع فتوى صحابي ثم يقول ما حاصله انه اختلف في نظر ابي حنيفة وابو الحسن الكرخي اعتبر ابو حنيفة الاخذ بفتوى الصحابي من قبيل الأخذ بالحديث والسنة وابو سعيد البراذعي يجعل ابا حنيفة مثـــل الشافعي واما احمد بن حنبل فنراه يقدم الحديث الصحيح على فتوى الصحابي ويأخذ بكل فتاوى الصحابة كما نجده يقدم فتوى الصحابي على الحديث المرسل ويلخص ابو زهرة رأي احمد ان فتاوى الصحابة سنة ولكنها سنة بعـــد الحديث الصحيح وحيث لا تصح سنة غير اقوالهم .

وربما يأخذ الفقهاء بفتوى التابعين وان لم يعتبروا فتوى التابعي اصلا وعن احمد بن حنبل فيه روايتان ولكنه يباعد الاجتهاد بالرأي تورعاً فيأخذ بفتاوى

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٧٢

(٢) اعلام الموقعين ج ٤ ص ١٢٣ وما بعدها .

علماء الاثر كمالك والثوري وابن عيينة والاوزاعي .

ويقول ابو زهرة : والاحتجاج باقوال الصحابة وفتاويهم مسلك جماهير الفقهاء وخالفهم الشيعة ولكن أيد ابن القيم الجمهور بنحو ستة واربعين وجهاً وكلها حجج قوية ... ولكننا وجدنا الشوكاني يقول: والحق انه (أي قول الصحابي) ليس بحجة فإن الله سبحانه وتعالى لم يبعث إلى هذه الأمة الا نبينا محمداً ﷺ وليس لنا إلا رسول واحد والصحابة ومن بعدهم مكلفون على السواء باتباع شرعه والكتاب والسنة فمن قال انه تقوم الحجة في دين الله بغيرهما فقد قال في دين الله بما لا يثبت واثبت شرعاً لم يأمر الله به .. إلى آخر كلامه (انتهى ملخصاً)

والانصاف أن كلام الشوكاني موافق للقرآن الكريم ، ولقوله تعـــالى : « أم لهم شركاء شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله » وقوله : « اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله » « ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هـذا حلال وهذا حرام » « ولا تقف ما ليس لك به علم » .

والصحابة رضي الله عنهم لم يدعوا لأنفسهم ، ولا ائمهم ما ادعي لهم بعـد ذلك ، وهذا الخليفة عمر بن الخطاب يقول : « إني لعلي انهاكم عن اشياء تصلح لكم وآمركم بالاشياء لا تصلح لكم .. [1]

ومن الكلمات التي كانت دائرة على السنتهم : « اقول فيهـــا برأيي فإن اصبت فمن الله ، وأن أخطأت فمني أو من الشيطان ، فكيف يمكن ان يكون الرأي الذي هو متردد في صحته وبطلانه ، وبأنه منه أو من الشيطان . ثم يبديه بعد هذا الكلام – كيف يكون – حكم الله ، وواجب الاتباع على الناس ، وقائله نفسه يتبرء من عهدته ؟.

---

(١) تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٨١

وبناء على هذا القول – يعني حجية قول الصحابي بنفسه – رتب الامام الشافعي الصحابة على درجات ، وهـــذا الكلام عجيب منه فبالاسناد سمعت الشافعي يقول: العشرة (المبشرة بالجنة) اشكال لهم ان يغـــير بعضهم على بعض ، والمهاجرون الأولون والانصار أشكال لهم أن يغيروا بعضهم على بعض والمسلمة من بعد – يريد مسلمة الفتح اشـكال لهم ان يغير بعضهم على بعض ، فإذ ذهب أصحاب محمد ﷺ فحرام على تابعي الأتباع لهم بإحسان [1] .

فما هو دليله على هذا الترتيب الذي يدعيه وصحته ، ونسخ الحكم بحكم اخر من شكله ؟

ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب الا يقولوا على الله الا الحق .. نعم .. ان كلامه لعجيب ، وعجيب حقاً .

آراء الأمراء حجة :

هذا في الصحابة ، وأما الأمراء فيزعم علماء أهـل السنة – تبعاً لرواياتهم الكثيرة ، وجرت عليه السيرة ، أن لهم حق التشريـع أيضاً ، ولهم اقطاعات في ذلك الحق سميت : « صوافي الأمراء » [2]

وعلى اساس هذا الأصل المسلم بينهم – من حق التشريـع ، وجعل ارائهم أحـكاماً إلهيـة – فرّعوا حجية القياس والرأى للعلمـاء حيث قالوا إنا أمرنا بطاعة أولى الأمر بمقتضى قوله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم » فيدخل في هذه الإطاعة ما قالوه بقياس أو رأي إذ لو أراد الله اخراجهم لاكتفى بذكر طاعة الله ، وطاعة الرسول .

---

(١) مناقب الشافعي ج ١ ص ٤٤٣

(٢) راجع الصفحة الماضية

وإذا كان قياس الأمراء ورأيهـم حجة ، فقياس العلماء أيضاً حجة ، ورد عليهم ابن حزم بأنه بناء على ما تقولون فللأمراء أن يبطلوا ما شاءوا من الشرائع التي أمر الله ورسوله بها ، كما لهم أن يزيدوا فيها ، ولا فرق بين الزيادة والنقص في ذلك ، وهذا كفر ممن أجازه بلا خلاف [1] .

فقد ذكر أبو عمر بن عبد البر عدة من الروايات حول هـــذه الصوافي والاقطاعات ، فبالاسناد عن هشام بن عروة قال : ما سمعت أبي يقول في شيء قط برأيه . قال : وربما سئل عن الشيء فيقول هـــذا من خالص السلطان ، وبالاسناد عن أبي هرمز قال : أدركت أهل المدينة ومـا فيها الكتاب والسنة والأمر ينزل فينظر فيه السلطان . وعـن ابن سيرين قال عمر بن الخطاب لأبي مسعود عقبة بن عمرو : ألم انبأ انك تفتي الناس ، ولست بأمير ؟ ولي حـارها من تولى قارّها (؟)

وبالاسناد عن المسيب بن رافع قال : كان إذا الشيء مـن القضاء ، وليس في الكتاب ، ولا في السنة ، سمي : « صوافي الأمراء » فدفع إليهم ، فجمع له أهل العلم ، فما اجتمع عليه رأيهم فهو الحق [2] .

وقال سعيد ابن جبير .. فسألته (أي عبد الله بن عمر) عن الايلاء فقال : أتريد أن تقول قال ابن عمر ، قال ابن عمر ؟ قال : قلت : نعم ونرضى بقولك ونقنع ، قال يقول في ذلك الأمراء [3] بل يقول فيه الله ورسوله ومـن يقول عنهما ، ورجاء بن حيوة يعد في أفقه فقهاء الشام ، ولكن كنت إذا حرّكته وجدته شامياً يقول : قضى عبد الملك فيها بكذا وكذا [4] .

---

(١) ملخص ابطال القياس ص ٣٧ .

(٢) جامع بيان العلم ج ٢ ص ١٧٤ .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٦ ص ١٧٩ .

(٤) طبقات الفقهاء .

وكتب معاوية إلى زيد بن ثابت يسأله عن الجد ، فكتب إليه زيد بن ثابت ... وذلك مما لم يكن يقضي فيه الا الأمراء ، يعني في الخلفاء ، ثم كتب ما حاصله ان له مع الأخ الواحد النصف ، ومع الاثنين والأكثر الثلث ، على هذا كان عمل الخليفتين قبلك ، وزيد بن ثابت كان مرجع الخليفتين في باب الفرائض يستفتيانه فيها ، ولكن بعد مضي قضائهما صار الأمر بالعكس ، فصار زيد بن ثابت راوياً عمن كان يرجع إليه في الفرائض ، وكأنه يقول لمعاوية قل برأيك شيئاً وأنا سأنقل رأيك ، إذ صار حكمك أحب الأتباع عن الناس . وهذا من أردأ أشكال التقليد ، إذ هو رجوع الجاهل إلى من هو أجهل منه .

وقد علق الامام الذهبي على قوله كفر بلا خلاف فقال : « هذا تقرير فاسد وخطأ فاحش ، فان الأمة أجمعت الا داود بن علي ومن مشى خلفه على أن أولي الأمر لهم الحكم باجتهادهم ورأيهم إذا لم يكن في النازلة نص ، ويقولون لا يحل لهم الحكم بالرأي والاجتهاد مع علمهم بالنص في النازلة ، فظهر بهذا أن لهم أن يزيدوا في الشرع زيادة ساغت في الشرع وليس لهم أن يبطلوا ما شاء من الشرع » انتهى . ولكن لابن حزم أن يقول في أي مورد كان للصحابة أو الامراء ان يزيدوا في الدين زيادة سائغة ؟ بل كلمة « زيادة سائغة » مثل كلمة « المثلث ذي الزوايا الأربع » غير معقولة ، إذ قد أكمل الله دينه ، بل كلها تشريع محرم من عند أنفسهم ، ومما لم يأذن به الله .

وهذا الحق التشريعي الذي قال به أهل السنة للصحابة والأمراء والفقهاء الثلاثة هو من الانحرافات العجيبة المخالفة للكتاب الكريم ولكنها لما كانت عامة في مذاهب أهل السنة اذ كلهم يتبعون راي وقول من لا حجية لقوله شرعاً فقد صار المنكر في القرآن معروفاً عندهم ولم يهمهم ذلك الامر شيئاً وكان من قبيل البلية إذا عمت طابت واتفقوا بلا دليل بل مع وجود الدليل على خلافه على تسهيل أمر الفروع والفتاوى العملية فيما بينهم وان كانت فتوى خاصة لفرقة دون أخرى ولكن بشرط أن لا تكون الفتوى الخاصة من أقوال

آل محمد ﷺ إذ قد ورد في الحديث اختلاف امتي رحمة !! فلا بأس باتباع أي فرقة كانت ولكن مع المحافظة على الشرط المذكور .

والذي عظم تأثير هذه القضية في الفقه هو جعل هؤلاء الائمة آراء الصحابة حجة وأعظم من ذلك جعلها سنة وفي قوة السنة وإذا انضم اليها عقيدة ان السنة قاضية على الكتاب ولا تنسخ السنة بالقرآن تكون النتيجة هي سلب قابلية التمسك عن القرآن استناداً إلى رأي منسوب إلى بعض الصحابة ويبقى للقرآن الاحترام العقيدي فقط اي اعتقاد انه شريك لله تعالى في القدم وواضح أن اتباع آراء من لم يجعل الله رأيهم حجة هو منشأ الانحرافات في الدين كما قال رباني الامة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه : « انما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع ، وأحكام تبتدع ، يخالف فيها كتاب الله ويتولى عليها رجال رجالاً على غير دين الله » وما اعلى هذه الكلمة وأعظمها وأشملها !!

والعجب من هذا الكاتب الجاهل بمذهبه وبقول امام مذهبه حيث ان امامه يجعل قول الصحابي سنة ويزيد على غيره انه كان يرى كلا من القولين المتناقضين ديناً أي حيث كان ينقل عنه انه كان يقول في المسائل المختلف فيها : ان فيها روايتين ، ثم يمنع عن النظر في ترجيح أحد القولين ولانه كان يقول للصحابة والامراء بحق التشريع ويضيف اليهم التابعين ... ولكم كاتب مجلة الدعوة ينسب هذا القول إلى من لا يقول به !!

علي افضل الخلق بعد النبي (ص)

يقول الكاتب (وادعائهم بأن علياً مساو للانبياء) ونقول : بل من المحتمل القريب جداً أن يكون عليه السلام أفضل من جميع الانبياء سوى محمد رسول الله ﷺ ولو لم يكن هذا الكاتب مبتلى بمرض النفاق والنصب لكن هجومه على الفرق الصوفية السنية التي ترى مرتبة النبوة دون مرتبة الولاية وترى أن شيخها ومرشدها أفضل من رسول الله ﷺ .. أجدر وأولى من هجومه على الشيعة الامامية وعلى كل حال فقد قال الشيخ المفيد : « قد قطع قوم من أهل الامامة بفضل الائمة من آل محمد ﷺ على سائر من تقدم من الرسل والانبياء سوى نبينا محمد ﷺ وأوجب فريق منهم لهم الفضل على جميع الانبياء سوى اولي العزم منهم عليهم السلام وأبى القولين فريق منهم آخر وقطعوا بفضل الانبياء كلهم على سائر الائمة (ع)، وهذا باب ليس للعقول في ايجابه والمنع منه مجال ولا على احد الاقوال فيه اجماع » ... [1] والسيد هبة الدين الشهرستاني يقول : واما بالقياس إلى سائر الانبياء السالفين فلا يبعد أن تكون جملة من هؤلاء (أي الائمة) أفضل وأشرف من جملة في أولئك لان في هؤلاء (الائمة) من هو أعلم وأشرف وأكثر جهاداً في سبيل الله وأصبر وأعظم نفعاً للبشر علمياً وأدبياً وأخلاقياً واجتماعياً فلا يبقى ما يقف عثرة في سبيل التفضيل سوى ميزة النبوة وقد قررت في محله أن الخلافة لافضل الانبياء قد يعتبر أعظم درجة

---

(١) أوائل المقالات ص ٤٣ .

من بعض الأنبياء .. ولدينا مثال محسوس وهو قياس ملك صغير في الشرف إلى ملك كبير مثل ملك بريطانيا ثم قياسه إلى وزير المستعمرات مثـــلا فان وزير الملك العظيم يقتبس من عظمة ملكه فضلاً وعظمة لا يدانيه فيه فضل الملك الصغير ثم يذكر الشهرستاني الحديث المعروف : علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل وفي أكثر الروايات أفضل من أنبياء بني اسرائيل فلو أخذ بعموم اللفظ فهو يشملهم والا فهم القدر المتيقن وروى السيوطي في الجامع الصغير ص ١٢٧ عنه (ص) أنه قال: لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن فيهم تسقون وبهم تنصرون ما مات منهم أحد الا ابدل الله مكانه آخر . ورمز السيوطي على هذا الحديث بأنه حسن السند ومن المعلوم ان ابراهيم الخليل هو أعظم الأنبياء في القرآن ما سوى محمد رسول الله ﷺ وفي حديث السيوطي ذكر غير بكلمة أربعين فلو كان بدله بكلمة أربعين ألفاً لم ينكر عليه أحد من أهل السنة ولكن إذا كان الكلام في فضل آل محمد ﷺ يظهرون التحقيقات العلمية الرشيقة ..

قاعدة اللطف :

ويعود الكاتب ليقول :

(واعتقادهم بوجوب اللطف والعوض ونصب الأئمة على الله)

ونقول نحن هنا : ان ما ذكره هو من المسائل الكلامية بينهم وبين غيرهم فيستدل علماء الكلام في مسألة اللطف بحجج عقلية لا مجال لذكرها . وليست من المسائل المأثورة ومن التي أوجب الله الاعتقاد بها على الناس – فكم من شيعي بل عالم من علماء الشيعة لم يفكر في هذ المسألة ، ولم يبد فيها رأياً .. نعم ان الشيعة يعتقدون بأن لله تعالى اللطف بعباده ومـــع أنه لا يقدر عليهم الكفر والعصيان ، ثم يعذبهم بهما ، وبأنه نصب لعباده بعد رسوله ﷺ أئمة هـداة

حتى لا ينحرف الناس عن دينه ، وهم لا يقولون ان على النبي (ص) أن ينتظر الوحي في أحكامه الصادة منه ، ولكن أصحابه إذا نزلت بهم نازلة يبدون رأياً ، ويجب على الناس متابعتهم فيه إلى يوم القيامة ، وان يلتزموا بأنه حكم الله تعالى ، فيشركون معه – أي مع النبي ﷺ – أربعة عشر ألفاً مـن معاصريه في نبوة الأحكام حسب تعبير الشوكاني ، بـل يفضلوهم عليه ، حيث إن آرائهم حجة على الناس دون رأي رسول الله ، بل الحجة منه هو الوحي النازل عليه فقط . ولا يشبهون الله بخلقه ولا يتبعون عقائد المشركين واليهود والنصارى ، ولعـل ما في مسألة اللطف من الحزازة هو تعبيرهم بكلمة « الوجوب على الله » ولكن ليس الوجوب في هذه المسائل الكلامية بمعنى الوجوب التكليفي الشرعي ، بل معناه العقلي وهو اللزوم والثبوت ، حيث لا أمر فوق الله تعالى ، وشأن العقل هو الارشاد لا الالزام والتكليف .

لا بد من القول بالرجعة :

ثم ينتقد الكاتب على الشيعة :

(قولهم بالرجعة) ونحن نقول له : أصل الرجعة ثابت عـــن أئمتنا عليهم السلام وان بعض المؤمنين وبعض الكفار سوف يرجعون إلى الدنيا وهذا أمر لا ينافي العقل ولا يردّه القرآن الكريم إن لم يكن يثبته وقد كان عيسى عليه السلام يحيى الموتى باذن الله وأمات الله تعالى عزيراً مأة عام مع حماره ثم أحياهما وقال تعالى ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم [1] ... هذا كله في امكان الرجعة ووقوعها .

ثم ان الظاهر الاولي من قوله تعالى « ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا

---

(١) البقرة : ٢٤٣ .

بذنوبنا» الخ [1] . هو أن الله أحيا هؤلاء المعذبين في الجحيم مرتين وأماتهم مرتين، فأحياؤهم مرة للقيامة ، فليكن الاحياء الآخر هو الرجعة كما ويستدل الرجعة بقوله تعالى : « ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون»[2] فإن ظاهر (من) هو التبعيض . والحشر للقيامة سوف يكون لكل الناس ، وإذن فالآية دالة على رجعة عدة من المكذبين .. وليس في الرجعة شيء يوجب الإنكار عليها إذا صح نقلها عن المعصومين عليهم السلام اللهم إلا أنه إذا اشتهر شيء في الشيعة فلابد وان ينكره عليهم أهل السنة كائناما كان وإن كان أصله ثابتاً في القرآن كالتقية والمسح على الرجلين في الوضوء ومتعة النساء فضلا عما لم يكن فيه فقد ذكر أصحاب الكتب الرجالية في ترجمة زيد بن خارجة أنه تكلم بعد الموت فعن النعمان بن بشير من وجوه كثيرة قال لما توفي زيد بن خارجة انتظر به خروج عثمان فقلت أصلي ركعتين فكشف الثوب عن وجهه فقال السلام عليكم السلام عليكم قال وأهل البيت يتكلمون فقلت وأنا في الصلوة سبحان الله سبحان الله فقال : انصتوا ، انصتوا محمد رسول الله كان ذلك في الكتاب الأول، صدق، صدق ، صدق ، أبو بكر الصديق ضعيف في جسده قوي في أمر الله كان ذلك في الكتاب الأول ، صدق ، صدق ، صدق عمر بن الخطاب قوي في جسده قوي في أمر الله ، كان ذلك في الكتاب الأول ، صدق ، صدق ، صدق، عثمان ابن عفان (على منهاجهم نسخه) مضت اثنتان وبقي أربع) (وفي نسخة) مضت أربع سنين وبقيت اثنتان أتت الفتن وأكل الشديد الضعيف وقامت الساعة) وأبيحت الاحماء ، بئر اريس وما بئر اريس ، السلام عليك عبدالله بن رواحة هل أحسست بي خارجة وسعداً . قال شريكهما أبوه وأخوه ، وقد رويت هذه القصة من وجوه كثيرة عن النعمان بن بشير وغيره اه تهذيب بلفظه..

---

(١) غافر ١١

(٢) النمل ٨٣

وتكلم بعد الموت أيضاً عمير بن جندب بن جهينة [1] ولا بأس هنا بذكر نكتة في هذه القصة وهي أن النعمان بن بشير وشخص آخر هما اللذان اتبعا معاوية من الأنصار وتركا علياً أمير المؤمنين عليه السلام ويظهر أنه قد لفق هذه القصة حينما احتاجت سياسة معاوية أن يجعل خلافة الخلفاء الثلاثة من الدين ومن العقائد الإسلامية وأن يجعل خلافتهم في الكتاب الأول كرسالة رسول الله إبطالاً لما قام به علي عليه السلام في رحبة الكوفة من استشهاده عليه السلام بالصحابة لإثبات حقه المغتصب في الخلافة الثابت بحديث الغدير وغيره ثم شهادة من حضر من الصحابة على ذلك إلا أنس بن مالك فدعى علي عليه السلام عليه بالبرص [2] وكيف كان فإن اهتمام بني أمية باليهود والكتاب الأول والإسرائيليات قد أثر أثراً كبيراً في الأحاديث ومعارف الأمة وعلى هذا نجد أن شاعر الأمويين يذكر ان حكم الأمويين مذكور في التوراة والزبور (لا في القرآن وحديث الرسول (ص)) فهو يقول :

الله أعطاكم من علمه بكم ... حكماً ومابعدحكم الله تعقيب
أنت الخليفة للرحمان يعرفه ... أهل الزبور وفي التوراة مكتوب [3]

عذاب الشيعة في الآخرة :

ويستمر الكاتب يقول عن الشيعة : « وأنهم لايعذبون بصغيرة ولا كبيرة»..

وجوابنا نحن : أنه إن كان مقصود الكاتب أنهم لا يعذبون فى الآخرة وبعد القيامة إذا لم يرتدّوا عن الدين ، فذلك حق ، لحديث أبي هريرة عنه (ص) أنه

---

(١) حاشية خلاصة تذهيب الكمال ص ١٠٩

(٢) فراجع الغدير

(٣) العقيدة والشريعة في حواشي أواخر الكتاب

قال : أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه [1] وفي حديث أنس بن مالك ... انه (ص) قال ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرّمه الله على النار[2] والروايات في هذا الموضوع كثيرة وأي فرقة من الفرق أخلص توحيداً من الشيعة ، لا يجعلون لله شريكاً في القدم ، يعيذ من الشرور ؟ ! وأيها أطهر عقيدة من الشيعة الذين لا يشبّهون الله بخلقه ، ولا يجورونه في فعله ، ولا يجعلونه مغلول اليد بقدره ، ولا يسلبون عنه حكمته وعدله ورأفته ؟

ثم ان للحافظ ابن حجر العسقلاني « رسالة في الخصال المكفرة ، للذنوب المتقدمة والمتأخرة » [3] يذكر فيها خصالاً إذا فعلها الإنسان غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فمما ورد فيه هذا التعبير : إسباغ الوضوء وصلاة التسبيح والتأمين في الصلاة وصلوة الضحى وغيرها – وليس معنى غفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر إلا أنه لا يعذب بصغيرة ولا كبيرة – فعلى من يتدين بهذه الاحاديث ويرى صحتها أن يقول لأهل مذهبه أولاً ، انهم لا يعذبون بصغيرة ولا كبيرة ، قبل أن يقوله لغيرهم ، ولا يجعله موبقة من الموبقات بالنسبة لغيره وغير أهل مذهبه فقط – إن كان يعقل – .

إباحة فروج الاماء عند السنة:

وقال : « وإباحتهم فروج الاماء » .

ونقول : إن إباحة الأمة للغير ، مع عدم وطىء مولاها لها في مدة كافية للمنع يوجب حلّية وطىء ذلك الغير لها في مدة التحليل ، ثم تعتد منه وتعود

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٣٥
(٢) صحيح البخاري ص ٤٣
(٣) وهي مطبوعة في المجلد الأول من مجموعة المسائل المنيرية .

إلى مولاها .. وقد اختلف الفقهاء في تخريج ذلك ، هل هو على نحو العقد الضمني ، أم هو على نحو تمليك المنفعة ..

وكيف كان فإننا نجد أن ذلك ثابت في كتب أهل السنة أيضاً وقد أفتى به ابن عباس ، وطاووس وقال الثاني : هي أحل من الطعام بل ربما يظهر من بعض النصوص الصحيحة السند ان ذلك كان شائعاً ومعروفاً في عهد التابعين كما يظهر مما قاله عطاء بن جريج فراجع مصنف الحافظ عبد الرزاق ج ٧ صفحة ٢١٦ .

أكاذيب أخرى :

ويقول أيضاً : « .. وإسقاطهم الجمعة ، والجماعة ، والجهاد ، والحدود ، بحجة غيبة الإمام » .

ولقد كذب هذا الكاتب كذباً صراحاً هنا ، لا توجيه له حينما قال : « والجماعة » فإن صلوات الجماعة مقامة في مختلف البلاد الشيعية ، في مدنهم وقراهم ، ويعرف مقدار وقاحة هذا الكاتب ، وعدم مبالاته بظهور كذبه من إخباراته هذه ..

وأما الجمعة ، فتقام أيضاً في كثير من المدن فعلا ، ولكن في عصر غيبة الإمام عجل الله تعالى فرجه ، وتسلّط الظالمين ، وغير العادلين .. فإن كثيراً من الفقهاء يفتون بالتخيير بين الجمعة والظهر .. وبعضهم يرى أن إقامة الجمعة من مناصب الإمام العدل ، فإذا لم يمكنه ذلك ، فإنها تسقط ..

وأما الحدود ، فليست بساقطة عند الشيعة ، وإنما لا يجرونها لعدم تمكنهم من إقامتها كسائر البلاد الإسلامية الأخرى .

وأما جهاد الكفار الخارجين عن البلاد الإسلامية ، فهذا شيء قد ترك منذ

مئات السنين . وليست الشيعة مأخوذة بترك هذا الواجب وحدها .

وأما قوله : « وتسميتهم أمة محمد بالأمة الملعونة » ..

فهو كذب فاحش .

وقوله : « واعتقادهم بأن لعن الصحابة ، ومن تبعهم إحدى المقربات إلى الله ، بل من أعظمها » ..

فهو كذب فاحش أيضاً .. وقد تقدم في أوائل هذا الكتاب ، ما يدلّك على مدى تفاهة هذه الخزعبلات .

وأما قوله : « .. هذا عدا عما يخالفوننا فيه في المعـــاملات والأحوال الشخصية » .

فقد قلنا في السابق : أن هذا الضمير « نا » نكرة مبهمة .. فإن أراد بـه الحنابلة ، فمخالفتهم لا تضر ، وإن أراد مجموع أهل السنة ، فإن اختلافاتهم مع بعضهم البعض أكثر من أن تحصى ، فانظر إلى كتاب : بداية المجتهد لابن رشد ، وكتاب « الفقه على المذاهب الأربعة » فانك تجد أن اختلافاتهم في مسائـــل العبادات والمعاملات كثيرة وكثيرة جداً ، والذي يتفقون فيـه قليـل .. هذا كله .. مع عدم ملاحظة المذاهب الفقهية التي انقرضت من دون دافع ولا مبرر ديني ، كما وأن هذه المذاهب الأربعة قـــد انتشرت أيضاً من دون دافع ولا مبرر ديني ..

صلاة التراويح والضحى :

ثم هو يقول : « والعبادات الأخرى » .

والذي أتذكره في هذه الساعة من العبادات الأخرى التي خالف فيها الشيعة

أهل السنة ، مع اتفاق أهل السنة – أعني المذاهب الأربعة – عليها .. صلاة التراويح وصلاة الضحى .

وحيث إن الأولى هي من بدع الخليفة عمر بن الخطاب ، ونحن لا نقول بحق التشريع للصحابة ولا للأمراء ، ولا لغيرهم كما يقول به أهل المذاهب الأربعة .

ويوافق الشيعة في هذا من المذاهب البائده فرقة : « الداوديـــة » ، فإنها كانت لا تقول بحق التشريع للصحابة أيضاً . ويوافقهم من المتـأخرين الإمام الشوكاني ..

وإذا كان الشيعة لا يقولون بذلك ، فانهم بالتالي لا يعترفون بشرعية صلاة التراويح والضحى .. وعليه فإذا ظهرت في أهل السنة عبادة ليست لدى الشيعة فلا بد وأن تكون من آراء بعض الصحابة والتابعين ، أو الأمراء ... أو نسبها اليهم الكذابون الصالحون ، وهم غير قليل في رجال الحـــديث . . فقد قال السيوطي : انه لما ولي يزيد (بن عبد الملك) قال سيروا بسيرة عمر بن عبـــد العزيز ، فأتى بأربعين شيخاً فشهدوا له : ما على الخلفاء حساب ولا عذاب[1] فهل ترى أنهم جاءوا بهؤلاء المشايخ من السوقة ، أم أنهم كانوا من مشايـــخ أهل الحديث والعلماء ؟!

ومما يؤيد ذلك أننا نعلم بأن أحاديث أهل السنة كانت قليلة في القرن الأول والثاني ... وإذا ما رأيت عبادة في الشيعة قد صح سندها إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام وأفتى بها فقهاء مذهب أهل البيت فاعلم أنهم أخذوها من باب مدينة علم الرسول ﷺ ولا يضر عقلا ان فقهاء مذاهب أهل السنة لم يعرفوها فان سنن رسول الله (ص) قليلة في أيديهم كما تقدم .

---

(١) تاريخ الخلفاء ص ١٦٣

الجحود يوجب الخلود في النار :

ويستمر الكاتب قائلا :

(وان سواهم مخلدون في النار) ونقول : لقد كذب الكاتب على الشيعة فالكفر عندهم بمعنى الجحود وعدم قبول الحق عناداً إذا كان جحوداً وكفراً بالله أو برسوله أو بالمعاد أو ما يستلزم إنكار الله أو رسوله وهو يوجب الخلود في النار وذلك بعد تمام الحجة والبيان من الله كما قال تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً »[1] وأما الكفر فقهاً وبحسب الأحكام الشرعية والأحوال الشخصية فيتحقق بعدم القول بالأصول الثلاثة (التوحيد ، النبوة ، المعاد) فضلا عن جحودها وإنكارها وإنكار ما يلزم منه إنكار الله أو رسوله .

وعلى هذا فلا يحكم الشيعة بكفر فرق المسلمين بحسب الأحكام الشرعية إلا النواصب واخوانهم الغلاة .

ولا يخفى ان الحكم الشرعي بالكفر وانه لا يرث مورّثه المسلم ولا يزوّج بمسلمة ولا يجب دفن ميّته ، ولا يدفن في مقابر المسلمين وغير ذلك لا يلازم الحكم بأنه مخلّد في النار فربّ مستضعف في العالم لا يحكم بإسلامه ويحكم بكفره شرعاً ولكنه حيث لم تقم عليه الحجة ولم يبلغه بيان الدين غير مخلّد في النار ولعله لا كلام في ذلك كله عند الشيعة .

من مشكلات المسائل :

إنما الكلام في بعض فروع المسألة أي في صحة توحيد من اعتقد بأن في عالم الوجود أشياء تسمى بالكلمات التامات مثلا وبأنها غير مخلوقة لله وهي قديمة

---

(١) الاسراء ١٥

مثل الله تعالى وبأنها تعيذ المستعيذين بها من شر ما خلق الله وبعبارة أخرى يعتقدون بأن لها تصرفات غير طبيعية في مخلوقات الله تعالى فهل هذا يعدّ من القول بتعدد الآلهة ؟ وإن كان معتقدوها لا يسمّونها آلهة . وهكذا الكلام في قول الغلاة المخمسة البائدة بأن النبي والوصي وفاطمة والحسنين صلوات الله عليهم مأمورون من الله بتدبير العالم مع قولهم ان لا خالق ولا قديم إلا الله وبأن هؤلاء الخمسة الأطهار ككل العوالم مخلوقون مربوبون لله تعالى ولكنه تعالى أعطاهم القدرة على ذلك فهل هذا شرك بالله مثل القول الأول ؟ وأي القولين إلى الشرك أقرب ؟ وغير خفي ان كلا القولين باطل ولكن القول الأول إلى الشرك الصراح أقرب من قول الغلاة المخمّسة وذلك لأنهما يشتركان في أمر باطل وهو تصرّف غير الله تعالى في العالم ويزيد القول الأول على قول المخمسة بإثباته الصفات الخاصة بالخالق من القدم وعدم المخلوقية لغير الله ، أي الكلمات التامات مثلا ، أعاذنا الله ، وجميع المسلمين من الشرك ، وإن كان ذلك الشرك باسم السنة ، والسلف الصالح ، أو باسم التشيع وآل محمد .

الرشد في خلافهم:

ويستمر فيقول : « .. تنفيذاً لأمر جعفر بن محمد : إذا اختلفتم في شيء فخالفوا هؤلاء » .

ونقول : إن ما ذكره كذب بهذا النحو .. وليس أمر الإمام جعفر الصادق وغيره من الأئمة عليهم السلام بهذه الصورة ، ولا هو بهذا المعنى الذي تلقاه كاتب المقال عن جاهل مثله ، بل إنما كان أمرهم بأخذ المخالف في صورة تعارض الروايتين عنهم عند المجتهد ، واشتباه الحكم ، فالرجوع إلى الخبر المخالف لهؤلاء يعتبر من المرجحات في باب التعارض .

والسر في ذلك : أنهم عليهم السلام كانوا في كثير من الأحوال مراقبين

من قبل طواغيت عصورهم ، فلم يمكن لهم إبداء حكم الله على ما هو عليه عند السؤال .. كما أنه لم يكن يصلح لهم ولشيعتهم السكوت ، فأظهروا كلاماً موافقاً لهؤلاء الحكام ، وقد كان قبل هذه الواقعة ربما سأل شخص آخر هذا الإمام ، أو أحد الأئمة السابقين عن تلك المسألة ، فبين حكم الله الواقعي فيها ، فاختلفت وجوه المسألة عند الرواة .. ولأجل ذلك فقد بيّن الأئمة للناس قرينة عامة يرجعون اليها عند تعارض الروايتين ، وهي أن الرواية لهؤلاء إنما صدرت تقية ، وأن الحق والرشد هو في الرواية التي تخالفهم .

الذبح لغير الله :

وقال أيضاً : « فإذا كان العلماء قد حكموا بشرك من يذبح لغير الله الخ. ».

ونقول : ليس الشيعة ممن يذبح لغير الله ، وهذه هي الرسائل العملية ، والكتب الفقهية قد ذكر فيها : أن من شرط حلية المذبوح أن يذكر الذابح المسلم – وليكن الذابح مسلماً – اسم الله تعالى عليه ، وقد افترى الكاتب ضمناً على الشيعة حينما قال : « فما ظنكم بمن تجتمع فيه كل هذه الموبقات ؟ » يعني أن هذه الموبقة أيضاً في الشيعة ، وقد كذب في ذلك كما هو دأبه ، كما بيّنا ذلك سابقاً في النذر وغيره من الموارد التي كذب فيها .

الحلف بغير الله :

وقال : « أويحلف بغير الله » .

ونقول : لا حلف في المرافعات وفصل الخصومات إلا بالله تعالى ، ولا يكفي الحلف بالقرآن الكريم ، ولا بالنبي العظيم ، ولا بأوصيائه الكرام لإثبات حق أو رد دعوى .

وأما في مقام التأكيد في المكالمات العادية ، فليس لديّ عن الشيعة في هذه المجالة قول معروف .. والظاهر أنه لا بد منه ، ولا بد من المراجعة .

وقوله : « أويستغيث بغير الله » .

قد مضى الكلام في الجائز والمحرم من ذلك فلا نعيد ، فراجع ..

الفرق بين الشرك والكفر :

ويعود الكاتب ليقول : « والشرك كما تعلمون هو صنو الكفر ، بل هو الكفر بعينه » .

ويظهر أن نظر الكاتب إلى أن الشرك اخف من الكفر !! مع أن الشرك أعظم من الكفر ، لأن الشرك أخص مطلقاً من الكفر .

ومنشأ توهمه هنا هو أنه قد شاع بين هؤلاء كلمة : « الشرك » و « المشرك » على المسلمين ، وعلى تعظيماتهم للرسول (ص) ، من التقبيل وغيره ، فتوهم ، أن الشرك أخف من الكفر إذ ليس من ديدنهم بناء الكلام على الحق والصدق .. فكلما كان الكلام أشد وألذع ، فهو يشيع بينهم ويتداولونه، حتى ينقلب الشديد منه إلى رقيق نسبياً

اليهودية في الاسلام

ماذا عن ابن سبأ اليهودي

ونقول الكاتب : « ثانياً : إن مما لا يختلف فيه اثنان أن عبدالله بن سبأ اليهودي هو المؤسس الأول لعقيدة التشيع » .

ويقول : لا ينبغي لعاقل أن يركن إلى اخبارات هذا الكاتب ولا لتأكيداته فإن ما ذكره قبل هذا عن الشيعة يقرب من أو يزيد على أربعين جملة قد كذب (عند العدّ) في نصفها تحقيقاً.. ثم أكّد كلامه هنا بقوله : مما لا يختلف فيه اثنان .. ولعله يريد « اثنان » من معاصريه ، من أهل نحلته الذين هم بعداء عن العلم والتحقيق ، يحكون ما يلقى إليهم كالببغاء ... وغاية علمهم هو حفظ الأحاديث بلا فهم لمعناها ومغزاها ... وهم عوضاً عن الايمان ، والعلم ، والعقل مملوؤن بالتعصب والتهويش والكذب ... وإلا فمسألة السبأية في التاريخ أمر كثرت فيه الأقوال والبحوث ، حتى إن بعض المحققين ، وهو العلامة الكبير السيد مرتضى العسكري قد انكر وجودهذا الشخص وان كنا نرى أن انكاره سلمه الله مبالغة في الاستنتاج وإنما نحن نقول بما قاله الدكتور طه حسين : « ان أمر السبأية وصاحبهم ابن السوداء إنما كان متكلفاً منحولاً قد اخترع بأخرة حين كان الجدال بين الشيعة وغيرهم من الفرق الاسلامية اراد خصوم الشيعة أن يدخلوا في اصول هذا المذهب عنصراً يهودياً إمعانا في الكيد لهم والنيل منهم ولو قدكان أمر ابن السوداء مستنداً إلى اساس من الحق والتاريخ الصحيح لكان من الطبيعي أن يظهر أثره وكيده في صفين وفي وقت تحكيم الحكمين وفي خروج الخوارج ولكنا لا نرى لابن السوداء ذكراً فيها وأهمله المؤرخون والعلة في ذلك

أن ابن السوداء لم يكن إلا وهماً وان وجد بالفعل فلم يكن ذا خطر وانما ادخره خصوم الشيعة للشيعة وحدهم لا للخوارج ... »[1] وروايات الشيعة مثل كثير من احاديث السنة وكتب الفرق تدل على أن عبدالله بن سبأ قد ادّعى الالهية في امير المؤمنين عليه السلام، وفي رواية مع سبعين شخصاً (ولم يذكروا الوصاية) فاستتابهم امير المؤمنين فلم يرجعوا فأحرقهم بالنار وهذا هو الاظهر الاشهر في روايات الشيعة والسنة ولكن بعض احاديث السنة والملل والنحل للشهرستاني تقول : انه ادعى الالوهية في علي ، وكان في الأصل يهودياً ، وقال بوصاية علي ، كما ذكروا انه كان في حال يهوديته يقول مثل ذلك في يوشع بن نون الخ ..

وهذا مما لا يمكن أن يقول به ابن سبأ ، أي لا يمكن أن يقول بأن علياً إله وأنه وصي محمد صلى الله عليه وآله معاً .

ثم كيف يمكن أن يقول بألوهية علي ، ثم ينفيه علي إلى المدائن – فكيف لم يجر عليه حكم المرتد ، ويقتله ، ولماذا اكتفى بنفيه ، وهو علي المعروف بصلابته في الدين ، وشدته في ذات الله ؟!! .

وإذا أخذنا برواية الأغلب (التي لا تذكر الوصاية) من أن علياً عليه السلام قد أحرق ابن سبأ بالنار ، فلا يمكن ان يكون أبن سبأ هذا هو المخترع للقول بالرجعة ، لأن المناسب حينئذ أن يكون اختراعه لها بعد شهادة علي عليه السلام حسبما نسب إليه ، ليكون هذا سبباً لأن يذمّوا الشيعة (وهم القائلون بأحقية علي عليه السلام بالخلافة) ويسبّوهم باطلاق كلمة « السبأية » عليهم .

منشأ الغلط في التسمية :

إذ ان هذه الكلمة كانت تطلق على الشيعة بصورة الطعن والسب، كما يقول

(١) الفتنة الكبرى ج ٢ ص ٩٩، وقد لخصنا ما بين الهلالين.

الانسان لغيره ، يا فاجر ، يا فاسق ، فإن هاتين الكلمتين ليستا اسماً له ، وانما اطلقتا عليه مبالغة في ذمه .. وهكذا أيضاً فقد كان الناس يذمّون الشيعة بهذه الكلمة ، وينزلونهم منزلة السبأية ، لا أنهم يقصدون بذلك أنهم سبأية حقيقة ، لأن السبأية هم جماعة قد انقرضت .. وأما بقية الغلاة من الخطابية وغيرهم ، فإنما نشأوا من جديد بعد ذلك .. فتوهم جماعة أن السبأية هم الشيعة، وذلك حينما اختلط عليهم السب والطعن ببيان الحقيقة والاسم .

وقد وقع نظير ذلك في كلمة : « الجهمية » فإنها فرقة معارضته لأهل الحديث ، فإذا أراد أهل الحديث المبالغة في التنفير عن أهل مذهب ، قالوا فيهم : انهم جهمية ، فقد قال الامام أحمد بن حنبل : « ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمي كافر ، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف ، ولم يقل ليس بمخلوق ، فهو أخبث من قول الأول ، ومن زعم : الفاظنا به وتلاوتنا له مخلوقة ، والقرآن كلام الله فهو جهمي [1] » .

ومن هذه الفرقة الأخيرة التي تسمى باللفظية كان البخاري ومسلم ، وداود الاصبهاني وغيرهم ، وليس هؤلاء بجهمية قطعاً ، ولكن الامام احمد بن حنبل قد اطلق عليهم تلك الكلمة تقبيحاً لرأيهم ، ولكن ابن تيمية قد توهم أن للفظية هم من الجهمية ولم يفهم لحن كلام ابن حنبل [2].

كما أن الامام السبكي قد أطلق على الحنابلة كلمة « الخطّابية » . حيث نقل أن كلتا الفرقتين ترى جواز الكذب على من خالفهم في العقيدة .. وليس معنى ذلك : أن الامام السبكي يرى أن الحنابلة من فرق غلاة الشيعة .

(١) طبقات الحنابلة ج ١ ص ٣٢٩ .

(٢) مجموعة المسائل المنيرية ج ٥ ص ٤ .

متى أطلقت كلمة السبأية على الشيعة :

وهكذا كلمة السبأية فانها أطلقت على الشيعة اطلاقاً من باب السب وأول من فتح ذلك الباب على الشيعة هو الدعي زياد بن ابيه في قصة حجر بن عدى الكندي [1] حيث كتب زياد إلى معاوية : « .. أن طواغيت من هذه الترابية السبائية رأسهم حجر بن عدي خالفوا امير المؤمنين ... وقد دعوت خيار أهل المصر واشرافهم وذوي السنّ والدين منهم فشهدوا عليهم بما رأوا وعملوا ... وكتبت شهادة صلحاء أهل المصر وخيارهم في أسفل كتابي هـذا [2] وذكر قبل ذلك أن زياداً أمر أن يلقوا اسماء الشهود ولا يعتبروا منها إلا من قد عرف بحسب وصلاح في دينه ونرى في هؤلاء الشهود ذوي الصلاح والدين على هـذا الكتاب المزوّر اسماء عمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وعمرو بن الحجاج وعمارة بن عقبة بن أبي معيط وزحر بن قيس وشبث بن ربعي وعـدة من قتلة وقعة كربلاء ، ومن سلف الحنابلة والسلفية الصالح (!!) ونخبه من ذوي الصلاح والحسب والدين من هذا الجنس . وكان ذنبه الذي كان سبباً في تسمية زياد له بالسبأي ، وعليه قتـل : أنه كان من شيعة علي عليه السلام يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويقول : « إن هـذا الأمر لا يصلح إلا في آل علي بن أبي طالب » [3]

وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله : أنه سيقتل بعـذراء أناس يغضب الله لهم ،

---

(١) ذكروا في ترجمته : أنه المعروف بحجر الخير ، وأنه أحد الصحابة العدول ، وأحـد اصحاب محمد (ص) ومستجاب الدعوة، ومن فضلاء الصحابة ، ومن اعيانهم ، كان شريفاً مطاعاً أماراً بالمعروف ، مقدماً على الانكار ، من شيعة علي ، صالحاً عابداً من عباد الله وزهادهم : راجع كتاب : « عبد الله بن سبأ » للعلامة السيد مرتضى العسكري، عن المستدرك ، والاستيعاب وأسد الغابة ، وسير النبلاء ، وتاريخ الاسلام للذهبي وتاريخ ابن كثير .

(٢) تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٢٠٢ مطبعة الاستقامة .

(٣) البداية والنهاية ج ٨ ص ٥١

وأهل السماء [1] .

فقتل حجر رحمه الله في عذراء مع ستة من كبار صحابة أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٥١ هـ . وكان لقتلهم دوي عظيم في المسلمين ، وأنكرته أم المؤمنين عائشة على معاوية ، وكذلك عبد الله بن عمر وغيرهم .

وبهذه النبوءة وببيان العلائم والامارات كان النبي صلى الله عليه وآله يبين للاجيال ، ويميز لهم الفرقة المحقة عن الفرق الباغية ، كقوله صلى الله عليه وآله في عمار : تقتـله الفئة الباغية [2] .

نعم .. وحجر بن عدي هـذا ، وستة من أصحابه هم رؤوس السبأية الأولين !! على ما نبزهم به الداعي زياد بن أبيه ، فشاعت هذه التسمية للشيعة بعد ذلك في القصّاصين ، وأتباع الأمويين، ومؤرّخي الدولة الأموية، والعباسية ثم وصلت إلى أهل الحديث والحنابلة فنبزونا بهذا اللقب مثل هذا الكاتب اتباعاً لسلفه الصالح (!!) زياد ، ومعاوية ، والكذاب الشهير سيف بن عمر ، فكنا كما قال الكميت :

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم فيـا آخراً امدى لـه الغيّ أول

من هو مؤسس التشيع :

وقال الكاتب عن ابن سبأ :

---

(١) المصدر ص ٥٤

(٢) فانظر أي الفرقتين منا يتبع الفرقة الباغية ، وأى الفرقتين يتولى ويتبع فرقة عمار وحجر بن عدي رضوان الله تعالى عليهما .. نحن ؟ أم الفريق الآخر ؟!

(وأول من اخترع فكرة التشيّع) ونقول : لم يكن ابن سبأ أولاً في ذلك بل هو اول من قال بالالوهية في علي وأول من اسس اساس التشيع هو رسول الله ﷺ في أول دعوة للاسلام وتوحيد الله تعالى ورسالة نفسه الشريفة وذلك أنه لما نزل قوله تعالى: «وانذر عشيرتك الاقربين» صنع طعاماً ودعى بني عبدالمطلب فبعدما اكلوا وشربوا تكلم رسول الله (ص) فقال : « يا بني عبد المطلب اني والله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بافضل مما قد جئتكم به اني قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة وقد أمرني الله تعالى أن ادعوكم إليه فايكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون اخي ووصيّي وخليفتي فيكم قال فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت (الراوي القائل هو علي عليه السلام) واني لأحدثهم سناوارمصهم عينا واعظمهم بطناً واحمشهم ساقاً : انا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال : ان هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لأبنك وتطيع .»[1]

الخيانة في نقل قضية الانذار :

وذكر ابن كثير الحنبلي هذه القضية فلما بلغ إلى قوله على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم نقله بهذه الصورة « على ان يكون اخي وكذا وكذا » وفي قوله (ص) ان هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم نقله : « ان هذا أخي وكذا وكذا »[2] وهكذا فقد طغى عليه مرض الاختصار فقط في هذا الموضع الحساس من الحديث وهو المكثار من الاحاديث الباطلة والاسرائيليات كما أن ابن هشام لم يورد القصة في كتابه السيرة النبوية مع انها مأخوذة من سيرة محمد ابن اسحاق وقد كانت هذه القصة مذكورة في سيرة ابن اسحاق اذ ان الطبري ينقلها عن ابن اسحاق كما ان الدكتور محمد حسين هيكل قد أورد الحديث في الطبعة الأولى من كتابه « حياة محمد » وحذفها من الطبعة الثانية .

---

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٣ (٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٤٠

عود على بدء :

هذا كله في بدء الدعوة الاسلامية واوائل بعثة رسول الله ﷺ واما في اواخر أيامه ﷺ فقد كانت قصة الغدير وسنشير إلى بعض مصادرها انشاء الله وفيما بين ذلك صدرت من رسول الله احاديث كثيرة لترشيحة عليه السلام للخلافة بعده مثل قوله ﷺ : أن علياً مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن بعدي ،وقوله: ... فان علياً وليكم بعدي . وقوله ﷺ لعلي : أنت وليّ كل مؤمن بعدي[1].

ومثل قوله (ص) أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي[2] أو بيان علمه كقوله (ص) انا مدينة العلم وعلي بابها أو بيان انه عليه السلام احب الخلق إلى الله تعالى كحديث الطير المشوي وغير ذلك من الصحاح المتواتره أو المستفيضة حتى قال الامام احمد بن حنبل ، بملاحظته لفنّه الحديثي ، داهلاً عن رأيه الشخصي في علي عليه السلام « إنه ما جاء لأحد من الفضائل بالاسانيد الصحاح ، مثل ما جاء لعلي ». فوصلت هذه الصحاح إلى الناس – ولله الحجة البالغة – رغم محاولات محوها وطمسها ، من قبل الملوك والخلفاء من لدن عصر معاوية ، وتبعهم الحشوية[3] من أهل الحديث، ووعاظ السلاطين واتباع الهوى، والمتعصبون إلى الآن ينكرون واضحات الوقائع ، نعياً وتعصباً ، حتى ليقول كاتب مجلة الدعوة بملء فيه : « مما لا يختلف فيه اثنان : أن فكرة التشيع لابن سبأ !! » ويغفل ويتغافل عن هذه المستفيضات والمتواترات ، ويجعل قصة وصاية علي عليه السلام خرافة !!

---

(١) ذكرها بطرقها واسانيدها في البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٤٦

(٢) راجع صحيح البخاري وغيره

(٣) الحشوية بمعنى الحاشية والاتباع ، ولعل تسمية أهل الحديث بالحشوية من جهة انهم اتباع كل من غلب كما قال عمرو بن عبيد المعتزلي في عبدالله بن عمر بن الخطاب : أنه حشوي، وبناء على هذا سموا الشيعة بـ « الرافضة » فان الرافضة في اللغة جند تركوا قائدهم . وذلك لأن الشيعة لا يرون قيادة الخلفاء الزمنيين قيادة محقة .

فلنذكر طرفاً من مدارك ومصادر حديث الغدير اجمالاً ، ليعرف مقدار بغي هذا الكاتب ، وحقده ، فنقول :

حديث غدير خم :

لقد ذكر ابن كثير الحنبلي (وقد عرفت الحنابلة كماعرفنا مراعاةابن كثير أحيانا للصدق في مقابل هواه) فيذكر أنه لما فرغ من بيان المناسك ورجع إلى المدينة بيّن ذلك (أى فضل علي ابن ابي طالب) في اثناء الطريق ، فخطب خطبة عظيمة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عامئذ .. إلى أن يقول : ان ابا جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ اعتنى بأمر هـذا الحديث (حديث الغدير) فجمع فيه مجلدين أورد فيهما طرقه والفاظه ، وساق الغث والسمين والصحيح والسقيم [1].

وقال ابن كثير : « وقد رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غـدير خم في مجلدين ضخمين ، وكتابا جمع فيه طريق حديث الطير [2] ».

ثم إنه ذكر ابن كثير أربعين طريقاً أو أكثر وضعّف منها سبعة ، ويذكر في ثالث الطرق بالإسناد عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله (ص) من حجة الوداع ونزل غدير خم ، أمر بدوحات فقمن ثم قال : كأني قد دعيت فأجبت إني قد تركت فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيـتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ثم قال : الله مولاي ، وأنا ولي كل مؤمن ، ثم أخذ بيد علي فقال : من كنت مولاه فهذا وليه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه . فقلت لزيد : سمعته من رسول الله (ص) ؟ فقال : ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينيه وسمعه بأذنيه ، تفرد النسائي

---

(١) راجع : البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٠٨

(٢) البداية والنهاية ج ١١ ص ١٤٧

من هذا الوجه ، قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي ، وهذا حديث صحيح [1] .

ومقتضى كلام ابن كثير حيث ضعّف سبعة منها ان ثلاثاً وثلاثين من الطرق التي ذكرها صحيحة .. وقد ذكر في مكان آخر من نفس الكتـاب حديث غدير خم فذكر سبعة عشر حديثاً [2] وذكر لكل واحد من غالب هذه السبعة عشر طريقين وأكثر ، وتتداخل في الجملة بعض أحاديث الأربعين المذكورة هناك مع ما ذكره هنا .. وقال : وقد روى هذا الحديث (حديث غدير خم) عن سعد (بن أبي وقاص) وطلحة بن عبيد الله ، وجابر بن عبد الله ، وله طرق عنه وأبي سعيد الخدري ، وحبشي بن جنادة وجرير بن عبد الله وعمر بن الخطـاب وأبي هريرة وله عنه طرق .. » ثم يضعف واحداً منها .

ولكن .. لم يذكر ابن كثير متون روايات هؤلاء الصحابـة وقال : وقد روي عن جماعة من الصحابة غير من ذكرنا في قوله عليه السلام : من كنت مولاه ، والأسانيد اليهم ضعيفة » ومن دأب ابن كثير أنه إذا نقل حديثاً ضعيفاً فإنـه يجرحه ويضعّفه ، ولكنه يعرف ان أسانيد المتون عن الصحابة المـذكورين صحيحة ولكنه لم يذكرها !! وإنما ذكر متون أحاديث صغار الصحابـة ، لا مثل حديث عمر وطلحة وسعد وجابر .

وقد اتبع أثر الطبري إمامان حافظان كبيران :

أحدهما : الحافظ بن عقدة المتوفى سنة ٣٣٣ هـ فعمل في حديث الغـدير كتاباً ، ويظهر انه استدرك على الطبري بعض ما فاته فأخرج هذا الحديث عن مائة وخمسين من الصحابة .

---

(١) البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٠٩

(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٤٧

وثانيهما : الحافظ أبو بكر بن الجعابي المتوفى سنة ٣٥٥ فعمل مثلها كتاباً واستدرك عليهما ، فأخرج الحديث المذكور من مـأة وخمسة طريقاً [١] وغير خفي أنه يكفي عشر واحد من أعشار هذه الكثرة في حصول التواتر القطعي في الحديث فضلاً عن اضافةتسعة أعشار الباقية فأي حديث من أحاديث رسول الله ﷺ بلغ هذه المنزلة الرفيعة من التواتر ؟ ! بحيث يجمع أحـد أئمة الاسلام المتقدمين طرقه الكثيرة في مجلدين ضخمين وقد كان الكتاب معروفاً منذ عصر تأليفه إلى القرون التي تلته عند أئمة أهل الحديث ولم ينكر عليه بشيء إلا ما عرفت من ابن كثير من الأخذ عـلى تبويب الكتاب انه خلط الغث بالسمين والصحيح بالسقيم – ثم تأييده وتذييله بكتابين من امامين حافظين مثله .

وبهذا يعرف ان من لم يورد من أصحاب الصحاح وغيرهم هذا الحديث في كتابه وهو بهـذه الشهرة الحديثية العظيمة فقد سلك سنة اليهود الذين قال الله تعالى فيهم « وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » واتبع هواه وسلك سبيل البغي الذي هو داء دوي في أهل الأديان فكان ممن قال الله تعالى فيهم : «وما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم» وقال تعالى« وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » فأهل الحديثينكرون ما يعلمون ويجحدون ما يتيقنون .

قال الخطيب : وكان ابن البيع الحاكم النيسابوري يميل إلى التشيع (إلى أن قال) قال الارموي جمع الحاكم أبو عبد الله أحاديثزعم انها صحاح علىشرط البخاري ومسلم يلزمهما اخراجهما فيصحيحهما منها حديث الطائر ومن كنت مولاه فعلي مولاه فأنكر عليه أصحاب الحديث ذلك ولم يلتفتوا فيه إلى قوله

(١) راجع الغدير ج ١ و ٢ ص ١٤١ فانه كتاب عظيم طريف عنوانه الغدير في الكتاب والسنة والأدب تأليف العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني رحمه الله .

ولا صوبوه في فعله [١] ومن هذا يعلم إن نزعة النصب كانت غالبة على أهـل الحديث وفي مجتمعهم – ولذا اتهموا ابن جرير الطبري بالتشيعوقال ابن حجر: وانما نبز بالتشيع لانه صحح حديثغدير خم [٢] ولقد آذاه الحنابلة حياً وميتاً ومنعوا عن دفنه نهاراً ونسبوه إلى الالحاد ولكنه قد خلد كلمته الباقية فيهم . فقد قال : لا عصابة في الاسلام كهذه العصابة الخسيسة [٣] وذكر ابن طاوس في كتاب الاقبال ان الطبري سمى ما صنفه في حديث الغدير بكتاب « الرد على الحر قوصية » يعني بذلك أن منكري هذا الحديث مـن الحرقوصية وهم النواصب نسبة إلى ذي الثدية حرقوص بن زهير السعدي رأس المارقين وهـو الذي قال لرسول الله ﷺ في تقسيم الغنائم :اعدل يا محمد فقال ﷺ ويحك من يعدل ان لم اعدل فقتل في وقعة النهروان وان كان قتله علماً من اعلام النبوة وتصديقاً لأخبار الرسول (ص) عنه .

مناشدة علي (ع) في الرحبة حول حديث الغدير :

ولقد جمع علي عليه السلام الناس يوماً في رحبة مسجد الكوفة، ليشهد الصحابة رضي الله عنهم ومن حضر تلك الواقعة على سماعهم لهذا الحديث عن رسول الله ﷺ ، فشهد له به ناس كثير ، منهم اثنا عشر بدرياً .. وفي لفظ آخر قام كثير من الناس فذكر الخطيب بالاسناد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال سمعت علياً بالرحبة ينشد الناس من سمع رسول الله (ص) يقول :من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، فقام اثنا عشر بدرياً فشهدوا أنهم سمعوا

(١) تاريخ بغداد ج ٥ ص ٤٧٤ .

(٢) لسان الميزان ج ٥ ص ١٠٠

(٣) لسان الميزان ج ٦ ص ١٥٩ .

رسول الله (ص) يقول من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه [1] .

ويذكر ابن كثير قصة مناشدة علي عليه السلام في الرحبة في عشرة أحاديث من الأربعين حديثاً التي أوردها في المجلد الخامس من البداية والنهاية الصفحه ٢٠٨ فما بعدها ، ولكنه في المجلد السابع ابتداء من الصفحة ٣٤٧ نجد أن تسعة من أحاديثها السبعة تختلف عما ذكره في المجلد الخامس .

ما سمع لما قام ، فقام ناس كثير فشهدوا ...وفي رواية ابن جرير عن مهاجر ابن مسمار ذكر الحديث وانه (ص) وقف حتى لحقه من بعده وأمر برد من كان تقدم فخطبهم الحديث وفي رواية لابن أبي ليلى انه شهد علياً في الرحبة قال انشد بالله رجلاً سمع رسول الله (ص) وشهده يوم غدير خم الا قام ولا يقوم إلا من قد رآه فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا قد رأيناه وسمعناه حيث أخذ بيده يقول اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله فقام إلا ثلاثة لم يقوموا فدعا عليهم فاصابتهم دعوته أقول ومن الثلاثة انس بن مالك الانصاري فقد ابتلى ببرص لا تواريه العمامة تصديقاً لدعاء علي عليه السلام لما أبى عن أداء الشهادة وكان انس يقول بعد ذلك اصابتني دعوة العبد الصالح . وقد ألّف الامام الشوكاني وهو من أئمة السنة رسالة في ذلك وأسماها « العقد الثمين في اثبات وصاية أمير المؤمنين »[2] يرد فيها على أم المؤمنين عائشة لما ذكروا عندها ان علياً عليه السلام كان وصياً لرسول الله صلى الله عليه وآله فقالت متى أوصى اليه وقد

---

(١) تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٢٣٦ . ومن العجيب أن الخطيب لم يعلق على هذا الخبر بالتضعيف ، ورواه ابن كثير في ص ٢١١ بزيادات ، ولكنه جعله في السبعة المضعفة ، ولعل ضعفه من طريقه المذكور في الكتاب .

(٢) طبعتها ادارة الطباعة المنيرية بمصر وهي الرسالة الثانية من مجموعة الرسائل اليمنية .

مات بين سحري ونحري ويذكر الشوكاني فيها روايات عن أحمد بن حنبل منها عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : وصيي ووارثي ومنجز وعدي علي بن أبي طالب وفيها روايات أخرى عن سلمان وغيره ورد فيها لفظ وصيي ، فمن أرادها فليراجعها ..

جيش العميان من الحنابلة :

ويقول الكاتب : (ومما لا شك فيه ان الجمعيات السرية التي تسمى بالمحافل الماسونية) .. نعم لقد شرع الكاتب في تلفيق تاريخ جديد اختلقت جملة منه على يد يوسف بن عمر والبقية الباقية من كيس هذا الكاتب الذي يقرر العلاقة التامة بل والوحدة أيضا بين الماسونية و السبائية ويعظم ويهوّل بروتوكولات حكماء صهيون وانها أخبث مؤامرة عرفها التاريخ ويخبرنا عن ان اختباء هذه المحافل الماسونية كان لعبد الله بن سبأ وكان له جيش خفي من العميان استطاع بواسطته أن يؤلب الرأي العام على عثمان في مصر والعراق وبمساعدة هذا الجيش أفلت من عقوبة الاحراق على يد علي بن أبي طالب رضى الله عنه وانتشر التشيع انتشار النار في الهشيم ويخبرنا الكاتب عن رموز الماسونية وقوانينها وألقابها ودرجاتها كأنه يحكي عن ابن اخت خالته وعن أهله وعشيرته أما تسمية الناقمين على الخليفة عثمان بالسبائية فكان السابق المجلي فيها هو سيف بن عمر وأما امتياز الكذب الجديد وهو ادعاء ان الماسونية هي السبائية وان المحافل الماسونية كان رئيسها عبد الله بن سبأ ثم المراثي التي أنشدها الكاتب حول هذا الخنجر المسموم حسب تعبيره كلها نعم ان امتياز الكذب الجديد المتمثل بما تقدم وغيره هو لكاتب هذا المقال وحسب وهو وقف عليه لا يشاركه فيه أحد.

ونحن لا ننكر سوء نية الماسونية على الاسلام والمسلمين وان مؤامرتها أخبث مؤامرة عرفها التاريخ ولكن الذي لم يبرهن لنا الكاتب عليه هو أنه هل كانت الماسونية موجودة في ذلك العصر (أواخر عهد الخليفة عثمان) أم أن الكاتب

قد جر مبدء نشوء الماسونية إلى ما قبل تاريخ وجودها على نحو الاستصحاب القهقرائي ليخلق من اكذوباته تاريخا مظلما للشيعة .

وأما جيش العميان الماسوني ، الذي ذكر انه كان لعبد الله بن سبأ ، فان ابن الأثير يذكر ذلك الجيش لحنابلة بغداد فقط ، حيث يذكر فتنة الحنابلة ، ونداء صاحب الشرطة أن لا يجتمع منهم اثنان ، فلم يفد ذلك فيهم ، وزاد شرهم وفتنتهم ، واستظهروا بالعميان ، الذين كانوا يأوون إلى المساجد ، وإذا مر بهم شافعي المذهب أغروا به العميان ، فيضربونه بعصيّهم حتى يكاد يموت [1] .

فان كان جيش العميان الحنابلة من الماسونية ، فلا اعتراض إذ أن الكاتب أعرف بأهل مذهبه ، حيث لا يعرف التاريخ جيش العميان من غير الحنابلة .

ولعل الكاتب قد جرب الماسونية أيضاً ، ولمسها في بعض المتشددين من أهل مذهبه ، المسمين بالاخوان ، وهم فيصل الدرويش ومن أطاعه الذي عاش باسم الدين وخرج بجيشه الوهابي على الملك عبد العزيز بن مسعود وله معه معارك دامية حتى انهزم أخيراً والتجأ إلى السلطات الانجليزية أم الماسونية ومهدها وشفع له المأمور الانجليزي عند الملك عبد العزيز ومن أراد التفصيل فليراجع كتاب « جزيرة العرب في القرن العشرين » لحافظ وهبه

هل قتل عمر بخنجر السبأية :

ويقول الكاتب (وبهذا الخنجر المسموم قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبهذا الخنجر المسموم ... وبهذا الخنجر) ثم يذكر هذا الخنجر المسموم خمس

---

(١) الكامل ج ٨ ص ٣٠٨ ، حوادث سنة ٣٢٣ .

مرات ونقول له نحن مهلا يا أيها النادب فقد أحرقت القلوب واجريت الدموع ولكن ألا يدري ان أول ما ذكر سيف بن عمر عن قصة الخنجر المسموم (السبأية وابن سبأ) لم يتقدم عن أواخر خلافة عثمان فجرّها إلى ما قبل ذلك التاريخ وإلى ما قبل الخليفة عمر ليس إلا جر الماسونية إلى ما قبل عصر وجودها خيال بخيال لا يقوم على أساس من التاريخ حتى ولو اكذوبة من سيف بن عمر .

الكاتب يعتبر قتلة الحسين شهداء :

وقال في مجلة الدعوة :

(وبهذا الخنجر المسموم سقط ملايين الشهداء ... من أمثال المختار الثقفي) وهو كلام عجيب حقاً فان المختار الثقفي رحمه الله هو الذي قتل قتلة الحسين عليه السلام في الكوفة أمثال عمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وسنان بن انس وغيرهم لعنهم الله وأرسل جيشه مع ابراهيم بن الأشتر إلى حرب عبيد الله بن زياد فقتله وهزم جيشه فمن قتل من جيوش الظلام ومن قتلة الحسين عليه السلام ليس من الشهداء ولا من المسلمين ولم نر من يندب شمراً وعمر بن سعد وابن زياد وأشباههم ويسميهم الشهداء إلى الآن إلا هذا الكاتب ... حشره الله معهم

وايضا .. الجنون فنون :

ثم قال : « وأبي الخطاب الاسدي والمغيرة العجلي » .

ونقول : هذان أيضاً من غلاة الشيعة ، ولكن لم يكن لهما جيش حتى يسقط ملايين الشهداء بخنجرهما المسموم ، ولكن مقصود الكاتب ليس إلا التهويش بكل صورة ولا يرى على كلامه رقيباً من وجدان أو التزام بالصدق ولذا يعطف عليهم بابك الخرمي وابن تومرت وأي ربط بينهما وبين الشيعة والأول خارج على الدين والثاني (ابن تومرت) من أهل السنة ولكنه كان

من أهل التنزيه وادعى المهدوية فقتل كثيراً ممن يقول بالتجسيم ولذا يراه الكاتب مثل بابك الخرمي .

ثم عطف عليهم (قائد الزنج) ولعل وجة ادخاله في الشيعة عند الكاتب هو انه ادعى نسباً إلى أمير المؤمنين وأما دعوته وعمله فغير مرتبط بالتشيع والشيعة بل كان إلى الخوارج أقرب منه إلى الشيعة ولقد كانت ثورته ثورة شعبية من قبل السودان ضد الجنس الأبيض .

موقف أهل السنة من الشيعة :

(وانه لمما يبعث الأسى ان يتجاهل العلماء) وهنا يستنصر الكاتب العلماء ورجال الفكر ليهبوا لمقاومة التشيع ويقول لو وجد فينا عشر معشار التعاون الذي كان في أنصار الباطل (يعني الشيعة) لأصبح التشيع في خبر كان ... فنقول له لقد قام في هـــذا الأمر قبلكم معاوية وأجلب على الشيعة بخيله ورجله واعمل كل ما في طاقته من القتل والصلب وسمل العيون وقتل عباد الله الصالحين ونشر اللعن والأكاذيب في علي وآله الطاهرين وصرفوا المأثورات في فضل أمير المؤمنين عليه السلام إلى من سبقه من الخلفاء [1] .

وهذه القداسة البالغة التي ترى للخلفاء الثلاثة الأولين في عامة أهل السنة قد أسس أساسها وشيد أركانها معاوية وهي أول حجر زاوية وضع لمذهب أهـل السنة ، ثم تلى ذلك وضع الأحجار الاخرى من الجبر والتشبيه وغير ذلك على ما عرفت .. وقد استخدم معاوية في ذلك كعب الأحبار ؛ وأبا هريرة وسمرة ابن جندب ، وعمرو بن العاص وابنه عبد الله ، والنعمان بن بشير .. ثم فعل بنو أمية مثل ذلك ، ولعنوا عليا عليه السلام ثمانين سنة إلا في فترة خلافة عمر بن

(١) ذيل العثمانية وشرح النهج للمعتزلي عن الاسكافي .

عبد العزيز فترى الوليد بن عبد الملك وهو أعظم ملك على وجـــه الأرض في عصره يقـــول على المنبر يوم الجمعة ان الحديث الذي روي : أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، صحيح ولكنه اشتبه على السامع وان رسول الله قال أنت مني بمنزلة قارون من موسى [1] كل ذلك لاطفاء نور الله ويأبى الله الا أن يتم نوره ثم جاء دور هشام بن عبد الملك والمنصور الدوانيقي وهارون الرشيد ومحيي السنة المتوكل ، وأدواراً وقرونا بعد ذلك، ولكن لم يزد ذلك التشيع إلا انتشاراً وظهوراً ، وليس ذلك إلا لأن كلام الشيعة مؤيد ببراهين ساطعة من القرآن والسنة الثابتة والصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله والعقل وليس فيه من التناقضات الموجودة في عقائد أهل السنة شيء ..

ألوهية ابليس :

ويستمر الكاتب في خبطه وخلطه فيقول :

« وأبي سعيد الجنابي ، وأبي طاهر القرمطي وعصابات العباسيين ،

والإنصاف ان عطف العبيديين وهم الفاطميون على الجنابي والقرمطي في غاية التعسف ، والجور في الحكم، وانما عطفهم عليهم لأنهم فاطميون وعلويون، ولقد كانت دولهم أرقى دولة إسلامية حكمت مصر وبلاد افريقيا علما ودينا وقوة ، وجامع الأزهر أقدم مدرسة إسلامية إنما هو منهم .. نعم لقد شعبت منهم فرقة باسم الدروز تعتبر خارجة عن الدين لغلوها في الحاكم الفاطمي مثل يزيدية سنجار الذين كانوا في الأصل من أهل السنة فغلوا في الشيطان فجعلوه أحد الآلهة ، وغلوا في يزيد فجعلوه نبيا ، فكان كما قال بعض علماء السنة : ان هذا الاله لا بد أن يكون له مثل هذه النبي .

(١) تاريخ بغداد ج ٨ ص ٢٦٦ .

خاتمة وإنـذار

كانت تلك طائفة مما اختلف فيه أهل السنة ، ولا سيا السلفية الحنابلة مع الشيعة ، ولعل القاريء الكريم يكون قد رأى أن هذه الرسالة التي بين يديه تركز على بيان عمدة موارد الاختلاف بين الشيعة والسلفية والحنابلة وغيرهم ، وتبين أيضاً موارد التجني على الحق والحقيقة عملاً بقوله تعالى : « والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون » ولعل القاريء الكريم يكون أيضاً قد اقتنع بأن أكثر ما يشنعون فيه به على الشيعة كذب واختلاق عليهم ، وأنهم يشنعون على الشيعة بأمور ، هم (أهل السنه والحنابلة) يقولون بها بأشد مما ينسبونها كذباً إلى الشيعة وذلك مثل القول بتحريف القرآن ونقصه فإنه مما ورد فيه صحاح السنة عندهم وبعض روايات ضعاف من أحاديث الشيعة ، ومثل ارتداد الصحابة ، فإن صحاحاً كثيرة عندهم تدل على ذلك فمع قولهم بصحة هذه الأحاديث لأنها في صحيح البخاري وغيره من الصحاح كيف يشنعون على من اعتقد بصحة أحاديثهم في ذلك – وقد عرفت ان الشيعة يترضون على الصحابة رضي الله عنهم جملة إلا من دل الدليل على فسقه أو من لا يثبت عدالته منهم خاصة . ومثل القول بحق التشريع للصحابة ، فإن لأهل السنة غلواً في جعل آرائهم كلهم حجة ثم جعلوا لهم سنناً كسنن رسول الله ﷺ ولكنهم مع ذلك يشنعون على الشيعة بأنهم يقولون بحق التشريع لأئمتهم وذلك كذب على الشيعة كما عرفت وإنما طولنا بعض التطويل في بعض المسائل وهي التشبيه والتجسيم ومسألة القدر والجبر ومسألة خلق القرآن مما يعده الحنابلة شعاراً لمذهبهم ، وذلك دفاعاً عن أصل الدين القويم ، وصراط الله المستقيم فإن ما يدعو اليه

المشائخ ويصححونه من أحاديث التشبيه والجبر والقول بقدم القرآن تعتبر عاراً على الإسلام والقرآن وهذه الأحاديث مع كثرتها ظاهرة الفساد مناقضة للكتاب الكريم والتشدد في إثبات انها من الدين صدّ عن سبيل الله ولا تزيد القائل بصحتها إلا تحيراً وعمى ، إلا أن يصير كل المثقفين وأهل الفكر من المسلمين مثل هؤلاء المشائخ العظام !! متحجري العقل جامدي الفكر يؤمنون بالشيء وضده، وهذا مما لا يكون ، ولذا فإن إلصاقها بالدين الإسلامي ، باسم السنة الصحيحة وقول السلف الصالح ، خطراً عظيماً على أصل الدين ، وهذه الخصائص المذهبية مردودة عند المثقفين وأصحاب الفكر الحر ، وسيكون المثقفون كثيرين بعد ذلك إن شاء الله تعالى ، ولا يمكن إبقاء هؤلاء على الدين بالتهويش والتهويل والإغفال ، وان هؤلاء الشيوخ بتشددهم وإصرارهم على إلصاق هذه السخافات بالدين الإسلامي سيهيؤون شبابنا لأن يكون طعمة سائغة للمدارس الإلحادية واللادينية والماركسية وغيرها ؛ ولذا أشرنا في المقدمة إلى أن من حصل عنده تعقيدات وإشكالات على المذهب الذي يتدين به فليس له الحق في أن ينكر أصل الإسلام ، بل عليه أن يجدد النظر فيما أعتقد أنه من الدين ولعل خلافه من الدين .

وعليه أن يلاحظ الأصول التي مشت على ضوئها أمة عظيمة من المسلمين ذات العدة والعدد والعلم الكثير ، ولها فضل التقدم في أكثر الفنون والعلوم الإسلامية [1] بأنواعها المختلفة ويعتبر ان القرآن الكريم هو أعظم ما يتمسك به في المعارف الدينية ، – وهو في الدرجة الأولى – ولا يقضون بالسنة على الكتاب ، بل يزنون صحة الأحاديث بميزان لا يحيف وهو الكتاب الكريم ، ولهم أئمة في الدين ، يتمسكون بهم وبأقوالهم ، ولكن ليس ذلك منهم جزافاً وبلا برهان ؛ بل إنما اقتدوا بهم بأمر الله تعالى ورسوله ﷺ ، والناقل للدليل على

(١) راجع كتاب « تأسيس الشيعة الكرام لفنون الاسلام » وتلخيصه «الشيعة وفنون الاسلام» للعلامة الحجة السيد حسن الصدر أعل الله مقامه .

لزوم اتباعهم هو خصومهم في صحاحهم ، (بينما لا يوجد لأي من المذاهب الأخرى ولو حديث ضعيف في كتبهم هم أنفسهم يدل على حجية أقوال إمامهم) وليس باب الإجتهاد والبحث والتحقيق في المسائل أصولاً وفروعاً مقفولاً أمامهم كما انسد على سائر الأمة الإسلامية ، وذلك لأنهم يحكّمون العقل فيما كان مجالاً لحكمه ، ولهذا لم يقبلوا أحاديث التشبيه والجبر والقول بقدم القرآن ، وكثير من خصائص السلفية والحنابلة ، والتي هي بالإضافة إلى مناقضتها في نفسها متناقضة أيضاً مع الكتاب الكريم ، ومع ما ثبت مستفيضاً عن اعدال الكتاب آل محمد ﷺ في رد هذه السخافات .

وعلى الناظر الباحث عن الحق أن لا يغتر بما نبزوا به الشيعة من الألقاب والعقائد السخيفة ، وعليه أن يأخذ اطلاعاته ومعارفه من كتب الشيعة فقط ، فإننا نرى ان من كان يعد من العلماء والأتقياء وشيوخ الاسلام من أهل السنة يكذب عند نقل عقائد الشيعة وأحكامهم وتاريخهم فضلاً عن غيرهم – ولسوف يرى المتفحص الباحث أنه ليس هناك لها من الحجج والمصادر في كتب خصومها مثل فرقة الشيعة في محاجتهم لأهل السنة ، كما يرى ان ما يرد به أهل السنة على الشيعة إنما هو محض أكاذيب لا دليل عليها ، ومفتريات يترفع عنها الشيعة ، وليس لها بهم أية صلة أو رابطة ..

وفقنا الله للعمل بكتابه الكريم والسير على نهج خاتم النبيين وأئمة أهل البيت الهداة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

محتويات الكتاب

تقديم	٥
« تمهيد »	٧ — ١١
اختلاف أهل الأديان	٧ — ٨
اختلاف الشيعة والحنابلة	٨ — ٩
هل من جديد ؟	٩ — ١٠
الجهل والتناقض	١٠
الموقف الحق	١٠ — ١١
الخرافات والأكاذيب	١١ - ١٢
مع الشباب الواعي	١٢
« الكلمة الحاقدة المسمومة »	١٣ — ١٩
مزاعم طائفة الشيعة	١٩
براعة الاستهلال	١٩ — ٢١
الإمامة عند أهل السنة	٢١ — ٢٢
النتيجة	٢٢ — ٢٣
التقليد والمحاكاة	٢٣ — ٢٤
علي عليه السلام رابع الخلفاء	٢٤ — ٢٧
تطور آخر في عقيدة الخلافة	٢٧ — ٢٨
بشرى بتطور جديد أيضاً	٢٨ — ٢٩
تشابه ومقارنة	٢٩ — ٣٠
« عدالة الصحابة »	٣١ — ٤٠
هل كان الصحابة عدولا بأجمعهم	٣٣ — ٣٤
اجتهاد معاوية وأضرابه	٣٤ — ٣٥
نظر الشيعة الإمامية إلى الصحابة	٣٦ — ٣٧
الأخبار في عدالة الصحابة	٣٧ — ٤٠
« العدل .. والجبر (القدر) »	٤١ — ٦٠
محل الخلاف في القدر	٤٣
الكاتب وأصول مذهبه	٤٣ — ٤٥
من أحاديث الجبر والقدر	٤٥ — ٤٩
عدل السلفية	٤٩ — ٥٠
مع عقيدة الجبر أيضاً	٥٠ — ٥٢
المشركون وعقيدة الجبر	٥٢
معاوية يحدد عقيدة الجبر	٥٢ — ٥٦
تحكمات جائرة	٥٦ — ٥٧
ابن تيمية : القدر يؤمن به ولا يحتج به	٥٧ — ٥٩
« حفظ القرآن .. وعدالة الصحابة »	٦١ — ٧٤
تحريف القرآن	٦٣ — ٦٤
نظرة الشيعة إلى القرآن	٦٤ — ٦٦
قيمة القرآن عند غير الشيعة	٦٧ — ٦٩
صحاح أهل السنة دالة على تحريف القرآن	٦٩ — ٧٢
الرجل الذي اغتر بأحاديث أهل السنة	٧٣ — ٧٤
« التجسيم . . والتشبيه »	٧٥ — ٩١
التجسيم عند السلفية وأهل السنة	٧٧ — ٧٨
عقيدة التشبيه دخيلة على الإسلام	٧٨ — ٨٠
تأثر المسلمين بأهل الكتاب	٨٠ — ٨٢
أهل الكتاب يؤكدون هيمنتهم	٨٢ — ٨٣
الأمويون .. والإسرائيليات	٨٤ — ٨٥
تأويل أحاديث التشبيه	٨٥ — ٨٦
التشبيه عند ابن خزيمة	٨٦ — ٨٨

الزيادة البشعة ٨٨ — ٩١
الله والمشاق التي يتحملها ٩١
« عقائد اليهود والنصارى تظهر في أهل الحديث » ٩٣ — ١٢٠
العقائد اليهودية ٩٥ — ٩٧
كتابة الحديث ٩٧ — ٩٩
أول مجمع عقائدى ٩٩ — ١٠٠
عقائد النصارى تظهر في المسلمين ١٠٠
مخبأة أموية ١٠١ — ١٠٢
القول في التجسيم كان مضادة لعلي عليه السلام ١٠٢ — ١٠٥
أخذ المعتزلة التنزيه عن علي عليه السلام ١٠٥ — ١٠٧
الاعتزال والتشيع ١٠٧ — ١٠٨
الخطة الأموية لمحو آثار علي عليه السلام ١٠٨ — ١١٠
النصب يدعو إلى التشبيه ١١٠ — ١١١
الحنابلة السابقون والنصب ١١١ — ١١٤
التمسك بحرفية الألفاظ والتشبيه ١١٤ — ١١٧
التشبيه المزيف ١١٧ — ١١٩
« للقرآن ظاهر وباطن » ١٢١ — ١٢٤
أهل السنة وبواطن القرآن ١٢٣ — ١٢٤
« قاعدة التحسين والتقبيح العقليين » ١٢٥ — ١٢٩
لولاكم لعم الإسلام العالم ١٢٧
العقل محكوم بالاعدام عندكم ١٢٧ — ١٢٩
بين الرأي والاستحسان وحكم العقل ١٢٩
« اعتقاد الشيعة في أئمتهم » ١٣١ — ١٥٠
عصمة الأئمة عليهم السلام ١٣٣ — ١٣٤
علومهم عليهم السلام ١٣٤ — ١٣٥

الاستغاثة بالائمة عليهم السلام ١٣٥ — ١٣٦
النذر للأئمة عليهم السلام ١٣٧
زيارة الأئمة عليهم السلام ١٣٨
لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة ١٣٨ — ١٤٠
عدو الانسان ما جهل ١٤٠ — ١٤٢
المآتم الحسينية ١٤٢ — ١٤٣
المهازل والتمثيليات ١٤٣ — ١٤٥
لماذا أنتم تحقدون ١٤٥ — ١٤٧
معاوية وما أدراك ما معاوية ١٤٧ — ١٤٨
وأما يزيد ١٤٨ — ١٤٩
علي قسيم الجنة والنار ١٤٩ — ١٥٠
« قضية خلق القرآن » ١٥١ — ١٦٦
قدم القرآن مع الله تعالى ١٥٣ — ١٥٥
أسماء الله هي الله على زعم أهل السنة ١٥٥ — ١٥٦
كلمات الله التامات ١٥٦ — ١٥٧
الأشعري وعقائد أهل الحديث ١٥٧
رأي ابن تيمية ١٥٨ — ١٦٠
قدم حروف المعجم ١٦٠ — ١٦٢
الكلمات التامات شركاء لله أيضاً ١٦٢ — ١٦٣
القيمة الفكرية للحنابلة في المجتمع الاسلامي ١٦٣ — ١٦٤
الوهابية وآراء ابن تيمية ١٦٤
أحمد الغزالي والشيطان ١٦٤ — ١٦٥
نصيحة مخلصة ١٦٥ — ١٦٦
« فضائل علي عليه السلام » ١٦٧ — ١٧٣
حب علي عليه السلام حسنة ١٦٩ — ١٧٠

الافتراء على الشيعة ١٧٠ — ١٧٢
عيب آخر في الشيعة ١٧٢ — ١٧٣
« المتعة والبداء والتقية والكذب على أهل السنة » ١٧٥ — ١٨٩
إباحة المتعة ١٧٧ — ١٨٨
عمر يحرم ، والسياسة تؤيد ١٧٨ — ١٧٩
المتعة الدورية ١٧٩
تحليل الاستمناء ١٧٩
البداء عند الشيعة ١٧٩ — ١٨١
التقية ١٨١ — ١٨٥
معاملة الشيعة لأهل السنة ١٨٥ — ١٨٦
السلطة وأدوات الفتنة ١٨٦ — ١٨٧
رمتني بدائها وانسلت ١٨٧
كذبة مفضوحة ١٨٧ — ١٨٩
« الفقه الحنبلي » ١٩٢ — ٢٠٢
لا بد من حجة ١٩٣ — ١٩٤
أحمد بن حنبل يعترف بأنه ليس بفقيه ١٩٤ — ١٩٧
وماذا يقول الناس عن فقه أحمد ١٩٧ — ١٩٨
قيمة الفقه الحنبلي ١٩٨ — ١٩٩
كيفية نشوء الفقه الحنبلي ١٩٩ — ٢٠١
الاختلافات الفقهية بين الشيعة وغيرهم ٢٠١ — ٢٠٢
« المذاهب الفقهية وقضايا فقهية أخرى » ٢٠٣ — ٢٢٨
حي على خير العمل في الأذان ٢٠٥
الشهادة بالولاية لعلي عليه السلام في الأذان ٢٠٥ — ٢٠٧
الحكام وراء شيوع المذاهب الأربعة ٢٠٧ — ٢٠٩
المذاهب الاربعة في ميزان الاعتبار ٢٠٩

سؤال لا بد له من جواب ٢١٠
السنة يخالفون القرآن في الوضوء ٢١١ — ٢١٣
أما الاستدلال بالروايات ٢١٣ — ٢١٤
أقوال الصحابة وغيرهم في الوضوء ٢١٤
المشكلة الصعبة وحلها ٢١٥ — ٢١٦
الاجتهاد في مقابل النص ٢١٦ — ٢١٧
أمران .. هما الداء الدوي ٢١٧ — ٢٢١
الصوم والحج بين السنة والشيعة ٢٢١ — ٢٢٢
مسألة ثبوت الهلال ٢٢٢ — ٢٢٤
النصيحة الغالية ٢٢٤ — ٢٢٥
الزكاة عند الشيعة ٢٢٥ — ٢٢٦
أهل السنة والخمس ٢٢٦ — ٢٢٧
ما بقي من السنن ٢٢٧ — ٢٢٨
« حق التشريع لمن ؟ . » ٢٢٩ — ٢٤٠
الائمة وحق التشريع ٢٣١ — ٢٣٢
أقوال الصحابة سنة ٢٣٢ — ٢٣٤
ورأى الصحابي حجة أيضا ٢٣٤ — ٢٣٦
آراء الامراء حجة ٢٣٦ — ٢٤٠
« أكاذيب وغرائب » ٢٤١ — ٢٥٦
علي عليه السلام أفضل الخلق بعد النبي صلى الله عليه وآله ٢٤٣ — ٢٤٤
قاعدة اللطف ٢٤٤ — ٢٤٥
القول بالرجعة ٢٤٥ — ٢٤٧
عذاب الشيعة في الآخرة ٢٤٧ — ٢٤٨
إباحة فروج الاماء عند السنة ٢٤٨ — ٢٤٩
أكاذيب أخرى ٢٤٩ — ٢٥٠

صلاة التراويح والضحى	٢٥٠ – ٢٥٢
الجحود يوجب الخلود في النار	٢٥٢
من مشكلات المسائل	٢٥٢ – ٢٥٣
الرشد في خلافهم	٢٥٣ – ٢٥٤
الذبح لغير الله	٢٥٤
الحلف بغير الله	٢٥٤
« اليهودية في الإسلام ومبدأ التشيع »	٢٥٧ – ٢٨١
ماذا عن ابن سبأ اليهودي	٢٥٩ – ٢٦٠
منشأ الغلط في التسمية	٢٦٠ – ٢٦٢
متى أطلقت كلمة السبأية على الشيعة	٢٦٢ – ٢٦٣
من هو مؤسس التشيع	٢٦٣ – ٢٦٤
الخيانة في نقل قضية الانذار	٢٦٤
عود على بدء	٢٦٥ – ٢٦٦
حديث غدير خم	٢٦٦ – ٢٦٩
مناشدة علي عليه السلام في الرحبة حول حديث الغدير	٢٦٩ – ٢٧١
جيش العميان من الحنابلة	٢٧١ – ٢٧٢
هل قتل عمر بخنجر السبأية ؟	٢٧٢ – ٢٧٣
الكاتب يعتبر قتلة الحسين عليه السلام شهداء	٢٧٣
وأيضاً .. الجنون فنون	٢٧٣ – ٢٧٤
موقف أهل السنة من الشيعة	٢٧٤ – ٢٧٥
الوهية إبليس	٢٧٥
خاتمة وانذار	٢٧٥ – ٢٨١